الجزء الثالث من التكميل في التفسير

الجزء الثالث من التكميل في تفسير القرآن العظيم بعضا لله سبحانه وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

الجزء الثالث من التكميل

بحمده
هذا عارية [illegible] لمولانا
أمير المؤمنين المؤيد بالله
[illegible] محمد [illegible] المنصور بالله
[illegible] شعبان
سنة ١٣٠٥

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكهف مكية

وهي احدى عشرة ومائة آية

ذكر ما ورد في فضلها والعشر الآيات من اولها وآخرها وانها عصمة من الدجال عن ابي اسحق قال
البراء يقول قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة فجعلت تنفر فنظر فاذا ضبابة او سحابة قد غشيته
فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ فلان فانها السكينة نزلت للقرآن رواه احمد واخرجاه في
الصحيحين ع البراء قال كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوطة بشطنين فتغشته
سحابة فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما اصبح اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال تلك
السكينة تنزلت للقرآن وفي رواية اقرأ يا فلان فانها السكينة نزلت عند القرآن او للقرآن وفي
رواية نزلت بالقرآن اخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ك عن ابي الدرداء
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من اول سورة الكهف عصم من الدجال رواه مسلم وابو داود
والترمذي والنسائي ولفظ الترمذي من حفظ الثلاث آيات من اول الكهف وقال حسن
صحيح م طريق اخر عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ العشر الاواخر من سورة الكهف
عصم من فتنة الدجال رواه احمد ومسلم والنسائي وفي لفظ للنسائي من قرأ عشر آيات من الكهف
فذكره طريق اخر وقد رواه النسائي في اليوم والليلة عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال من قرأ العشر الاواخر من سورة الكهف فانه عصمة له من الدجال وعن ابن الجهني عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ اول سورة الكهف وآخرها كانت له نورا ما بين السماء الى الارض
انفرد به احمد ولم يخرجوه وقد روى ابن مردويه باسناد له غريب عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان السماء يضيء
له يوم القيمة وغفر له ما بين الجمعتين وهذا الحديث في رفعه نظر واحسن احواله الوقف هكذا
روى الامام سعيد بن منصور في سننه عن ابي سعيد الخدري انه قال من قرأ سورة الكهف في
يوم الجمعة اضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق هكذا وقع موقوفا وقد اخرجه الحاكم في
مستدركه عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة اضاء له من النور ما بين
الجمعتين ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وروى البيهقي باسناد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من قرأ سورة الكهف كما نزلت كانت له نورا يوم القيمة وفي المختارة للمقدسي عن علي بن الحسين عن
ابيه عن علي عليه السلام مرفوعا من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم الى ثمانية ايام من كل فتنة
وان خرج الدجال عصم منه

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا من
لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر
الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لابائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم
ان يقولون الا كذبا لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم
وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم
يجعل له عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي
الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه

فان قلت بم انتصب قيما قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل
معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي
الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد
اثبت له الاستقامة

فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة
وفي احدهما غنى عن الاخر قلت فائدته التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة و
لا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا
بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما انذر متعد الى
مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين
كفروا باسا شديدا والباس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل باسا
وباسة من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه باسكان الدال مع اشمام الضمة وكسر
النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل

فان قلت لم اقتصر على احد مفعولي انذر
قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه
تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر
به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة ما لهم
به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط
وتقليد للاباء وقد اشتملته اباؤهم من الشيطان وتسويله

فان قلت اتخاذ الله
ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما
يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال
لا يستقيم تعلق العلم به قرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية و
النصب على التمييز اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من
افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان



السورة المكية

كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون
ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه تشوّرا من اظهاره فكيف بمثل هذا
المنكر وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشمام الضمة **فان قلت** الام ترجع الضمير في
كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها ك وقد ذكر
ابن اسحق سبب نزول هذه الاية الكريمة فقال حدثني شيخ قدم علينا منذ بضع واربعين سنة
عن عكرمة عن ابن عباس قال بعثت قريش النضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط الى احبار
يهود المدينة فقالوا لهم سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته واخبروهم بقوله فانهم
اهل الكتاب الاول وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى اتيا المدينة
فسالوا احبار يهود عن رسول الله صلعم ووصفوا لهم امره وبعض قوله وقالوا
لهم انكم اهل التورية وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقالت لهم سلوه عن
ثلاث نامركم بهن فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا
فيه رايكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من امرهم فانه قد كان لهم حديث
عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نباؤه وسلوه عن
الروح ما هو فان اخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وان لم يخبركم فانه رجل متقول فاصنعوا
في امره ما بدا لكم فاقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا يا معشر قريش قد
جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد امرنا احبار يهود ان نساله عن امور فاخبروهم
بها فجاؤا الى رسول الله صلعم فقالوا يا محمد اخبرنا فسالوه عما امروهم به فقال لهم
رسول الله صلعم اخبركم غدا عما سالتم عنه ولم يستثن فانصرفوا عنه ومكث رسول
الله صلعم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا ولا ياتيه جبريل عليه السلام حتى ارجف
اهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد اصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء
مما سالناه عنه حتى احزن رسول الله صلعم مكث الوحي عنه وشق عليه ما تكلم به اهل
مكة ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة اصحاب الكهف فيها معاتبته اياه
على حزنه عليهم وخبر ما سالوه عنه من امر الفتية والرجل الطواف وقول الله عز
وجل ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا
فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا شبههم
واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم عنه
برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم
وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها
وهو للاستقبال فيمن قرا أن لم يؤمنوا بمعنى لئن لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول

له

له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال
رجل اسف واسيف انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها
ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا واحسن العمل الزهد
فيها وتركها اعتزازا بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه
الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة
في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات
والاشجار ونحو ذلك ك قال قتادة عن ابي نضرة عن ابي سعيد عن رسول الله
صلعم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون فاتقوا الله
واتقوا النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت النساء ام حسبت ان اصحاب الكهف و
الرقيم كانوا من آياتنا عجبا اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك
رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا
ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض
بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت يعني
ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في
الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد

وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا
حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل
مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا آية من آياتنا عجبا وصفا بالمصدر او على ذات
عجب من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء
وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين
او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت منك رشدا فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها
حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح
به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امراته يريدون بنى عليها
القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده
كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج الى ان يعد
واذا كثر احتاج الى ان يعد اي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه وروي
ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة

هو بالنون والضاد المعجمة يسمى المنذر بن مالك يروي عن ابي سعيد الخدري
جامع الاصول

كما انه معقول يعلم اى الحزبين المختلفين منهم فى مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا فى ذلك وذلك قوله
تعالى قال قايل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين
قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اى الحزبين المختلفين من غيرهم
واحصى فعل ماض اى ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم **فان قلت** فما تقول فيمن
جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثى المجرد ليس بقياسى
ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ فى غير القران ممتنع فكيف
به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل وافعل لا يعمل واما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه
المعنى فان زعمت انى انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر فى قوله
واضرب منا بالسيوف القوانسا على نصب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب
حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره **فان قلت**
كيف جعل الله العلم باحصائهم المدة غرضا فى الضرب على اذانهم قلت الله عز وجل لم
يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا
ويكون لطفا لمومنى زمانهم واية بينة لكفاره نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم فتية
امنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات
والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هولاء قومنا اتخذوا من دونه
الهة لولا ياتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا واذ
اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته
ويهيئ لكم من امركم مرفقا زدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم
وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم
على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدى الجبار وهو دقيانوس من
غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض
شططا قولا ذا شطط وهو الافراط فى الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه
اشط فى السوم وغيره هولاء مبتدا وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار
فى معنى الانكار لولا ياتون عليهم هلا ياتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان
بين هو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد
وانه لابد فى الدين من الحجة حتى يصح ويثبت افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ
اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون
نصب عطف على الضمير يعنى واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم الا الله يجوز ان
يكون استثناء متصلا على ما روى انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل

مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله عن الفتية انهم لم يعبدوا غير
الله مرفقا قرى بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اى ينتفع به اما ان يقولوا ذلك ثقة
بفضل الله وقوة فى رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان يخبرهم به نبى فى عصرهم واما
ان يكون بعضهم نبيا قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف انهم كانوا من
ابناء ملوك الروم وسادتهم وانهم خرجوا يوما فى بعض اعياد قومهم وكان لهم مجتمع فى
السنة يجتمعون فيه ظاهر البلد وكانوا يعبدون الاصنام والطواغيت ويذبحون لها وكان لهم
ملك جبار عنيد يقال له دقيانوس وكان يامر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم اليه فلما خرج
الناس لمجتمعهم ذلك وخرج هولاء الفتية مع ابائهم وقومهم ونظروا الى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم
عرفوا ان هذا الذى يصنعه قومهم من السجود للاصنام والذبح لها لا ينبغى الا لله الذى خلق
السموات والارض فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز منهم ناحية فكان اول من
جلس منهم وحده جلس تحت ظل شجرة فجاء الاخر فجلس اليه وجاء اخر فجلس اليهما ولا يعرف
واحد منهم الاخر وانما جمعهم الذى جمع قلوبهم على الايمان كما جاء فى الحديث الذى رواه
البخارى تعليقا عن عايشة قالت قال رسول الله صلعم الارواح جنود مجندة فما تعارف
منها ائتلف وما تناكر منها اختلف واخرجه مسلم من حديث ابى هريرة يرفعه وانه جعل
كل واحد منهم يكتم ما هو عليه عن اصحابه خوفا منهم ولا يدرى انهم مثله حتى قال احدهم تعلمون
يا قوم انه ما اخرجكم عن قومكم وافردكم عنهم الا شى فليظهر كل واحد منكم امره فقال
اخر اما انا فانى رايت ما قومى عليه فعرفته انه باطل وانما الذى يستحق ان يعبد وحده ولا يشرك
به شى هو الله الذى خلق كل شى السموات والارض وما بينهما وقال الاخر وانا والله وقع
لى كذلك وقال الاخر كذلك حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة فصاروا يدا واحدة واخوان
صدق فاتخذوا لهم متعبدا يعبدون الله فيه فعرف بهم قومهم فوشوا بامرهم الى الملك فاستحضرهم
بين يديه فسالهم عن امرهم وما هم عليه فاجابوه بالحق ودعوه الى الله عز وجل ولهذا اخبر تعالى
عنهم بقوله وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من
دونه الها ولن لنفى التابيد اى لا يقع هذا منا ابدا لانا لو فعلنا ذلك لكان باطلا ولهذا قال عنهم
لقد قلنا اذن شططا اى باطلا وكذبا وبهتانا هولاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون
عليهم بسلطان بين اى هلا اقاموا على صحة ما ذهبوا اليه دليلا واضحا صحيحا فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا يقولون بل هم ظالمون كاذبون فى قولهم ذلك ويقال ان ملكهم لما دعوه
الى الايمان بالله ابى عليهم وتهددهم وتوعدهم وامر بنزع لباسهم عنهم الذى كان عليهم
من زينة قومهم واجلهم لينظروا فى امرهم لعلهم يراجعون دينهم الذى كانوا عليه وكان
هذا من لطف الله بهم فانهم فى تلك النظرة توصلوا الى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة

ويتبرز عنهم

متعبدا

وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس ان يفر العبد منهم خوفا على دينه كما جاء في
الحديث يوشك ان يكون خير مال احدكم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه
من الفتن ففي هذه الحال تسوغ العزلة عن الناس ولا تشرع فيما عداها لما تفوت بها من
ترك الجماعات والجمع فلما وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم واختار الله لهم ذلك
واخبر عنهم بذلك في قوله واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله اي واذ فارقتموهم
وخالفتموهم بادیانکم في عبادتهم غير الله ففارقوهم ايضا بابدانكم فأووا الى الكهف ينشر
لكم ربكم من رحمته اي يبسط عليكم رحمته يستركم بها من قومكم ويهيئ لكم من امركم اي
الذي انتم فيه مرفقا اي امرا ترتفقون به فعند ذلك خرجوا هرابا الى الكهف فأووا اليه
ففقدهم قومهم من بين اظهرهم وطلبهم الملك فيقال انه لم يظفر بهم وعمى الله عليه خبرهم
كما فعل بنبيه محمد صلعم وصاحبه الصديق حين لجأ الى غار ثور وجاء المشركون من قريش في
الطلب فلم يهتدوا اليه مع انهم يمرون عليه وعندها قال النبي صلى الله عليه حين رأى جزع
الصديق في قوله يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى موضع قدميه لابصرنا فقال يا ابا بكر
ما ظنك باثنين الله ثالثهما وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين
واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من ايات الله من يهد الله
فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا اصله تتزاور فخفف بادغام التاء في
الزاي او حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلاهما من الزور
وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها
الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة وهي الهجران والصرم
قال ذو الرمة

الى ظعن يقرضن اجواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس

وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل طول نهارهم كله لا تصيبهم الشمس
في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم
وقيل في متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهوى وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك
من ايات الله اي ما صنع الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة اية من اياته
يعني ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب
الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة ابدا ومعنى ذلك من ايات الله ان شأنهم و
حديثهم من ايات الله من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا
له وجوههم فلطف بهم واعانهم ولطف ارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص
بالاية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى

الى

الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله عز وجل
ك وقد اخبر الله بذلك واراد منا فهمه وتدبره ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف
في اي البلاد من الارض اذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي وقد تكلف بعض المفسرين
لذلك فذكروا فيه اقوالا فعن ابن عباس هو قريب من ايلة وقيل ببلاد الروم
وقيل ببلاد البلقاء والله اعلم باي بلاد الله هو ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لارشدنا
الله تعالى ورسوله صلعم اليه قال رسول الله صلعم ما تركت شيئا يقربكم الى الجنة ويباعدكم من النار
الا وقد اعلمتكم به وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم
رعبا وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد والايقاظ جمع يقظ كانكاد في نكد قيل
عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم
تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم والضمير لله عز وجل
وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه
قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرا جعفر الصادق وكالبهم اي صاحب كلبهم باسط ذراعيه
حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل الا اذا كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف
حقيقة معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل
الباب وانشد

بارض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر

ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو
الخوف الذي يرعب الصدر اي يملؤه وذلك بما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم
وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معوية انه غزا الروم
فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع
الله من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معوية لا انتهي
حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله
عليهم ريحا فاحرقتهم في بعض الروايات فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو
وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى
طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم
او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم
ادكارا بقدرته على الاماتة والبعث جميعا ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع

الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم الله به عليهم
وكرموا به ﴿قالوا لبثنا يوما او بعض يوم﴾ جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز
الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ ﴿قالوا ربكم اعلم
بما لبثتم﴾ انكار عليهم من بعضهم وان الله اعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالادلة او بالالهام
من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا الكهف
غدوة وكان انتباههم بعد الزوال وظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم
قالوا ذلك **فان قلت** كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذكر حديث المدة قلت
كأنهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم ﴿والورق﴾
الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب
فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله صلعم ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون
الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف
وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده
وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان
حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما
في اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق
عليك نفقتك وما حكي عن بعض العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله وكان يقول
منه ذلك فكانت مياسير اهل بلده كلما عزم فوج منهم على الحج اتوه فبذلوا له ان يحجوه
والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد لهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا
السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ﴿ايها﴾ اي اهلها فحذف الاهل كما في
قوله واسأل القرية ﴿ازكى طعاما﴾ احل واطيب او اكثر وارخص ﴿وليتلطف﴾ وليتكلف اللطف
والنيقة فيما يباشره من المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ﴿ولا يشعرن بكم
احدا﴾ يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم
لانه سبب فيه ﴿انهم﴾ الضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها ﴿يرجموكم﴾ يقتلوكم
اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم ﴿او يعيدوكم﴾ او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف
ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا
يريدون ابتداء الفعل ﴿ولن تفلحوا اذا ابدا﴾ ان دخلتم في دينهم ﴿وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا
ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا
عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا﴾

صعاليكهم

النيقة
الحذق مت

وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلموا الذين
اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها
كحال من يموت ثم يبعث ﴿واذ يتنازعون﴾ متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون
بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون
الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد والارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد
تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف
ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها
كما حفظت تربة رسول الله صلعم بالحظيرة ﴿قال الذين غلبوا على امرهم﴾ من المسلمين وملكهم
وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم ﴿لنتخذن﴾ على باب الكهف ﴿مسجدا﴾ يصلي فيه المسلمون ويتبركون
بمكانهم وقيل يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون
في قصتهم وما اظهر الله من الآية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف
يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روي
ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها
وكان ممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم
بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بالكلب فتبعهم
فطردوه فانطقه الله فقال ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل
مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب
الله على آذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته
في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد
وسأل ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم
الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ثم العصة يحرف وسيأتي ما في تفسير الواحدي من ذلك
ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس
اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة
معه وابصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله
ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم
ثيابه وامر فجعل لكل واحد منهم تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها
من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ﴿ربهم اعلم بهم﴾ من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا
امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا
ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين

او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلعم من اهل الكتاب ك وذكروا انه لما
اراد احدهم الخروج ليذهب الى المدينة في شرى شيء لهم ليأكلوه تنكر وخرج يمشي في غير
الجادة حتى انتهى الى المدينة وذكر ان اسمها دقسوس وهو يظن انه قريب العهد بها وكان الناس
قد تبدلوا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وامة بعد امة وتغيرت البلاد ومن عليها فجعل
لا يرى شيئا من معالم البلد التي يعرفها ولا يعرف احدا من اهلها لا خواصها ولا عوامها
فجعل يتحير في نفسه ويقول لعلي مجنون او ممسوس او انا حالم ويقول والله ما بي شيء من ذلك
وان عهدي بهذه البلد عشية امس على غير هذه الصفة ثم قال ان تعجيل الخروج اولى
ثم عمد الى رجل ممن يبيع الطعام فدفع اليه ما معه من النفقة وسأله ان يبيعه بها
طعاما فلما رآها ذلك الرجل انكرها وانكر ضربها فدفعها الى جاره فجعلوا يتداولونها
بينهم ويقولون لعل هذا وجد كنزا فسألوه عن امره ومن اين له هذه النفقة لعله وجدها
من كنز وممن انت فجعل يقول انا من اهل هذه المدينة وعهدي بها عشية امس وفيها
دقيانوس فنسبوه الى الجنون وحملوه الى والي امرهم فسألوه عن شأنه وعن امره
حتى اخبرهم بامره وهو متحير في امره وما هو فيه فلما اعلمهم بذلك قاموا معه الى الكهف
ومعه متولي البلد واهلها حتى انتهى بهم الى الكهف فقال دعوني حتى اتقدمكم في الدخول
واعلم اصحابي فدخل فيقال انهم لا يدرون كيف ذهب فيه واخفى الله عليهم خبرهم ويقال
بل دخلوا عليهم ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم وكان مسلما فيما قيل واسمه تندوسيس
ففرحوا به وآنسوه في الكلام ثم ودعوه وسلموا عليه ثم عادوا الى مضاجعهم وتوفاهم
الله عز وجل والله اعلم انتهى ❀ وفي تفسير الواحدي ما لفظه قال المفسرون
ان الفتية لما هربوا من ملكهم ودخلوا الكهف امر الملك ان يسد عليهم باب الكهف ويدعوهم
كما في الكهف يموتوا عطشا وجوعا وليكن كهفهم الذي اختاروا قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ
وقد توفى الله ارواحهم وفاة النوم ثم ان رجلين مؤمنين كتبا شأن الفتية وانسابهم
واسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس وجعلا التابوت في
البنيان الذي بنوا على باب الكهف وقالا لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين
قبل يوم القيامة فيعلموا خبرهم حين يقرؤن هذا الكتاب ثم انقرض اهل ذلك الزمان
وخلف بعدهم قرون وملوك كثيرة وملك اهل البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس
وتحزب الناس في ملكه احزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب
فكبر ذلك على الملك الصالح وبكى الى الله وتضرع وقال اي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث
لهم آية تبين لهم ان البعث حق وان الساعة آتية لا ريب فيها فالقى الله في نفس رجل
من اهل ذلك البلد الذي به الكهف ان يهدم البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة

لغنمه ففعل ذلك وبعث الله الفتية من نومهم فارسلوا احدهم ليطلب لهم طعاما فاطلع
الناس على امرهم وبعثوا الى الملك الصالح يعلمونه الخبر فعجل القدوم اليهم ونظر الى آية
من آيات الله جعلها الله في ملكه آية للعالمين فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ اكثر من
ثلثمائة سنة فلما بلغه الخبر حمد الله سبحانه وتعالى وخرج هو واهل مدينته حتى اتوا [illegible]
اصحاب الكهف وذلك قوله تعالى وكذلك اعثرنا عليهم سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم
ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل
ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم
منهم احدا سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلعم من اهل الكتاب
والمؤمنين سألوا رسول الله صلعم عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما
سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن
عباس انا من اولئك القليل وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا
عند النبي صلعم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم
وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم
كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلعم عن لسان جبريل عليه السلام
وعن علي عليه السلام هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك
وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع
الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير
فان قلت لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الآخرين قلت فيه وجهان ان
يدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وان يريد
بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله
ويقذفون بالغيب اي يأتون به او وضع الرجم موضع الظن فكأنه قال ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا
رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم

اي المظنون وقرئ ثلث رابعهم بادغام الثاء في التاء وثلاثة خبر مبتدأ محذوف اي هم ثلثة
وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم
كلبهم وثامنهم كلبهم **فان قلت** فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم
دخلت عليها دون الاولين قلت هي الواو الداخلة على الجملة الواقعة صفة
للنكرة كما تدخل على الجملة الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت
بزيد وبيده سيف ومنه قوله عز وجل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها

تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو
هي التي آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس
ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله عز وجل اتبع القولين الاولين قوله
رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنه
حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم
كلبهم على القطع والبتات ح قوله هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة الخ
قال صاحب الانتصاف هذا هو الصواب لا قول من زعم انها واو الثمانية ويضيف اليها وفتحت
ابوابها في الجنة لان ابواب الجنة ثمانية وعد وامنه والناهون عن المنكر في التوبة وهو الثامن من
قوله التائبون فيعجب ان الواو في اللغة تصحب الثمانية واين ذكر العدد في ابواب الجنة وفي
التوبة ذكرت لربط الامر بالمعروف بالنهي عن المنكر وأمر بالمعروف وانه عن المنكر والآمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ومنهم من عد منه ثيبات وابكارا وهو غلط فاحش فانها
واو التقسيم التي لو حذفت فسد الكلام وقال ابو البقاء الجملة اذا وقعت صفة للنكرة
جاز ان تدخلها الواو هذا هو الصحيح في وثامنهم انتهى وقيل هي في ذلك لعطف جملة على جملة
بان التقدير هم سبعة ثم قيل الجميع من كلامهم وقيل العطف من كلام الله تعالى والمعنى نعم هم
سبعة وثامنهم كلبهم وان هذا تصديق لهذه المقالة كما ان رجما بالغيب تكذيب لتلك المقالة وقيل
هي واو الحال وعلى هذا فيقدر المبتدأ اسم اشارة اي هؤلاء سبعة ليكون في الكلام ما يعمل
في الحال حكى هذين القولين في مغني اللبيب ف قوله الا قليل من اهل الكتاب ق
الصحيح فيقولون على هذا لا اهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب منهم كذا وكذا
ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب
في شأن اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك
فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن
ولا تستفت ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما
عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك
بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا
نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا ولا تقولن لشيء ولا تقولن لاجل شيء
تعزم على فعله اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا
ان يشاء الله متعلق بالنهي اي لا تقل له اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان
معناه الا ان تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على
وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان يأذن لك فيه والثاني ولا تقولنه

بان شاء الله اي الا بمشيئة الله وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وفيه
وجه ثالث وهو ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تأبيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه قوله
وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاءه الله وهذا نهي
تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن
ذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه
وكذبته قريش واذكر ربك اي مشيئة ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى
اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة
ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس هو على
ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة و
عند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا وحكي انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة
خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع
عليك انك تأخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك
فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا
نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك بالتسبيح اذا
نسيت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على
اداء الصلاة المنسية عند ذكرها وهذا اشارة الى نبأ اصحاب الكهف ومعناه لعل الله
ان يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا
من نبأ اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو
اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه
ان تقول عسى ان يهديني ربي لشيء آخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة
ولعل النسيان كان خيرة كقوله او ننسها نأت بخير منها ك وفي الصحيحين عن ابي هريرة
عن رسول الله صلعم انه قال قال سليمان بن داود عليهما لاطوفن الليلة على سبعين وفي رواية
على تسعين امرأة وفي رواية مائة تلد كل امرأة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله فقيل له وفي
رواية فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل فطاف فلم تلد منهن الا امرأة واحدة نصف انسان
قال رسول الله صلعم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته وفي
رواية ولقاتلوا في سبيل الله اجمعين ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا
قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه
من ولي ولا يشرك في حكمه احدا ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين يريد لبثهم فيه احياء
مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف

سنين عددا ومعنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق
ما أخبرك به وعن قتادة أنه حكاية لكلام أهل الكتاب وقل الله أعلم رد عليهم وقال في
حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلاثمائة وقرئ ثلاثمائة سنين بالإضافة على
وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالأخسرين أعمالا وفي قراءة أبي ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا
تسع سنين لأن ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والأرض وخفي
فيها من أحوال أهلها ومن غيرها وأنه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من
إدراكه للمسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عن حد ما عليه
إدراك السامعين والمبصرين لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها حجما وأكثفها
جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لأهل السموات والأرض من ولي
من متول لأمورهم ولا يشرك في حكمه أحدا في قضائه أحدا منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء على
والجزم على النهي *واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه
ملتحدا* كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له واتل ما أوحي إليك من القرآن
ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك أي لا يقدر أحد على تبديلها
وتغييرها إنما يقدر على ذلك هو وحده وإذا بدلنا آية مكان آية ولن تجد من دونه ملتحدا
ملتجأ تعدل إليه إن هممت بذلك *واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن
ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا* قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلم
نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء
المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح أنؤمن لك واتبعك الأرذلون فنزلت واصبر نفسك
أي واحبسها معهم وثبتها قال أبو ذؤيب

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو إذا نفس الجبان تطلع

بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة
وبالغداة أجود لأن غدوة علم في أكثر الاستعمال وإدخال اللام على تأويل التنكير كما
قال: وقد كان منهم حاجب وابن أمه أبو جندل والزيد زيد المعارك
ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه إذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاءني القوم عدا زيدا
وإنما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه
إذا اقتحمته ولم تعلق به **فإن قلت** أي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا
تعدهم عيناك أو ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من
إعطاء معنى فذ ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم

ونحو

ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أي ولا تضموها إليها آكلين لها وقرئ ولا تعد
عينيك ولا تعدّ عينيك من أعداه وعدّاه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله

فعدّ عما ترى إذ لا ارتجاع له وانم القتود على عيرانة أجد

لأن معناه فعد همك عما ترى نهي رسول الله صلم أن يزدري بفقراء المسلمين وأن تنبو
عينه عن رثاثة زيهم طموحا إلى زي الأغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحياة الدنيا في
موضع الحال من أغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان أو وجدناه غافلا
عنه كقولك أجبنته وأفحمته وأبخلته إذا وجدته كذلك أو من أغفل إبله إذا تركها بغير سمة
أي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان وقد أبطل الله توهم المجبرة
بقوله واتبع هواه وقرئ أغفلنا قلبه بإسناد الفعل إلى القلب بمعنى حسبنا قلبه غافلين من
أغفلته إذا وجدته غافلا فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط
متقدم للخيل *ك* عن سعد بن أبي وقاص قال كنا مع النبي صلم ستة نفر فقال المشركون
للنبي صلم اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان
لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله صلم ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أخرجه مسلم وعن أبي أمامة قال خرج رسول
الله صلم على قاص يقص فأمسك فقال رسول الله صلم قص فلأن أقعد غدوة إلى أن تشرق
الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب رواه أحمد وعن أنس قال قال رسول الله صلم لأن
أجالس قوما يذكرون الله من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلي مما طلعت عليه الشمس
ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إلي من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل
دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفا فحسبنا ديتهم ونحن في مجلس أنس فبلغت ستة وتسعين
ألفا وههنا من يقول أربعة من ولد إسماعيل والله ما قال إلا ثمانية دية كل واحد منهم
اثنا عشر ألفا رواه أبو داود الطيالسي في مسنده وعن أنس عن رسول الله صلم قال ما
من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن
قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات تفرد به أحمد *ع* أبو سعيد قال جلست
في عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستتر ببعض من العري وقارئ يقرأ علينا إذ
جاء رسول الله صلم فقام علينا فلما قام علينا رسول الله سكت القارئ فسلم ثم قال ما كنتم
تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارئ لنا يقرأ علينا وكنا نستمع إلى كتاب الله عز وجل فقال
رسول الله صلم الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم وجلس رسول
الله صلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم فما
رأيت رسول الله صلم عرف منهم أحدا غيري ثم قال رسول الله صلم أبشروا صعاليك

عيناك

القتود جمع قتد بالضم وهو القتب ومعنى عيرانة أي شبهها بالعير في نشاطها وشدة عدوها(?) وقوله أجد أي قوية موثقة الخلق

نسيت اسمهما

المهاجرين بالقوة التامة يوم القيمة يدخلون الجنة قبل اغنيا الناس بخمسمائة عام وذلك خمسمائة سنة اخرجه ابو داود

وقل الحق من ربكم فمن شا فليومن ومن شا فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بما كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا

وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى جا الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجي بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شا فكانه مخير مامور بان يتخير ما شا من النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم يغاثوا بما كالمهل كقوله

غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم

وفيه تهكم والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب شوى الوجوه من حرارته عن النبي صلعم هو كعكر الزيت اذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكا من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكا الا ان يكون من قوله

اني ارقت فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح

ك عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلعم انه قال لسرادق النار اربعة جدر كثافة كل جدار مثل مسافة اربعين سنة رواه احمد واخرجه الترمذي في صفة النار وعن ابي سعيد عن رسول الله صلعم انه قال ما كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قربه اليه سقطت فروة وجهه رواه احمد

ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا

اولئك خبر ان وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستانفا بيانا للاجر المبهم **فان قلت** اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير الراجع منه الى المبتدا قلت من احسن عملا والذين امنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم من الاولى لابتدا الغاية والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج والاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص الاتكا لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم

واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل

وجعلنا

وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا

واضرب لهم مثلا رجلين اي ومثل حال الكافرين والمومنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والاخر مومن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة الصافات في قوله تعالى قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المومن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور العين ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مومن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاشد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله صلعم وكافر وهو الاسود بن عبد الاشد جنتين من اعناب بساتين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يوثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها موزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا اطافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيد الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفا الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر وقرى بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص واتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل اتتا على المعنى لجاز وقرى وفجرنا بالتخفيف وقرا عبد الله كل الجنتين اتى اكله برد الضمير على كل وكان له ثمر اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شا واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسالته فما احار كلمة يعني قطروس اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه

فان قلت

لم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدا منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن رددت الى ربي اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية **قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا** خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسل كافرا لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قوله

وترمينني بالطرف اي انت مذنب ... وتقلينني لكن اياك لا اقلي

اصله لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرأ ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي **فان قلت** هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ما شاء الله يجوز ان تكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما

شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الاية حتى يخرج من قرأ انا اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب اي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر ك عن انس قال قال رسول الله صلعم ما انعم الله على عبد نعمة من اهل ومال او ولد فيقول ما شاء الله لا قوة الا بالله فيرى فيه آفة دون الموت وكان يتلو هذه الاية ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله رواه ابو يعلى وعن ابي هريرة عن النبي صلعم انه قال الا ادلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة الا بالله تفرد به احمد وقد ثبت في الصحيح عن ابي موسى ان رسول الله صلعم قال الا ادلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة الا بالله **واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا** واحيط به عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا لهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعروشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها يا ليتني تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان وقرئ ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة ترونهم **فان قلت** ما معنى قوله ينصرونه من دون

الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد
غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذل وما كان منتصرا وما كان
ممتنعا بقوته عن انتقام الله هنالك الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك
وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره
ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك
السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن
به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه
من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها
اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما
فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها
حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة
الى الآخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة
للولاية او لله وقرأ عمرو بن عبيد رحمه الله عليه ورضي الله عنه بالنصب على التاكيد كقولك
هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس
وانصحهم وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة
واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح
هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا فاختلط به نبات الارض
فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي
ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كلا
مختلطين موصوف بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم الواحد هشيمة وقرئ
تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها
وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان
لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا الباقيات الصالحات اعمال
الخير التي تبقى ثمرتها للانسان وتفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل
هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة
كل ما اريد به وجه الله خير ثوابا اي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل
لان صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الآخرة ويوم نسير الجبال وترى
الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك صفا لقد

جئتمونا

جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا قرئ تسير من سيرت
ونسير من سيرنا وتسير من سارت اي تسير في الجو او يذهب بها بان تجعل هباء منبثا وقرئ
وترى الارض على البناء للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم جميعا
الى الموقف وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك
الوفاء والغدير ما غادره السيل وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا
مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا اي قلنا لهم لقد
جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم
كما انشأناكم اول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى
فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة على ان
حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظائم كانه قيل وحشرناهم
قبل ذلك موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور ووضع
الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا
الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين
الهلكات صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني
لا يترك شيئا من المعاصي الا احصاها اي احصاها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا
لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز ان يريد وما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل
لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم
والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل
كان اذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها
ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب
عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب
اطفال المشركين بذنوب آبائهم ك روى الطبراني باسناده الى سعد بن جنادة قال
لما فرغ رسول الله صلعم من حنين نزلنا قفرا من الارض ليس فيه شيء فقال النبي صلعم اجمعوا
من وجد عودا فليأت به ومن وجد حطبا او شيئا فليأت به قال فما كان الا ساعة حتى جعلناه
ركاما فقال النبي صلعم اترون هذا فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا فليتق
الله رجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فانها محصاة عليه وعن عبد الله بن انيس سمعت رسول
الله صلعم يقول يحشر الله الناس يوم القيمة او قال العباد عراة غرلا بهما قلت وما بهما قال
ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك الديان لا ينبغي

ود في موضع

المعترض

لاحد من اهل النار ان يدخل النار وله عند احد من اهل الجنة حق حتى اقصه منه ولا ينبغي
لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة وله عند احد من اهل النار حق حتى اقصه منه الحديث
رواه احمد مع قصة واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من
الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس
للظالمين بدلا كان من الجن كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من
الساجدين كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفاء للتسبيب
ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لادم لم يفسق
عن امر الله لان الملئكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال تعالى
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام تعمد من الله عز وجل لصيانة الملئكة
عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده وقال
وزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملئكة بعضا فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس
ومعنا فسق عن امر ربه خرج عما امره به من السجود قال

فواسقا عن قصدها جوائرا ✿ او صار فاسقا كافرا بسبب ترك امر ربه

الذي هو قوله اسجدوا لادم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجب كانه قال اعقيب
ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله
ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ك وقوله فسجدوا الا ابليس كان من الجن
اي خانه اصله فانه خلق من مارج من نار وذلك انه كان قد توسم بافعال الملئكة وتشبه بهم
وتعبد وتنسك فلهذا دخل في خطابهم وعصى بالمخالفة قال الحسن ما كان ابليس من الملئكة
طرفة عين وانه لاصل الجن كما ان ادم عليه السلام اصل البشر رواه ابن جرير باسناد صحيح
عنه ثم ذكر ابن كثير اقوال من زعم ان ابليس كان من الملئكة وقال عقيب ذلك وقد
روى في ذلك اثار كثيرة عن السلف وغالبها من الاسرائيليات التي تنقل لينظر فيها والله
اعلم بحال كثير منها ومنها ما يقطع بكذبه لمخالفته الحق الذي بايدينا وفي القران غنية
عن كل ما عداه من الاخبار المتقدمة لانها لا تكاد تخلو عن تبديل وزيادة ونقصان انتهى
ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين
عضدا ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما
كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم
خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم
خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين عضدا يعني وما كنت متخذهم
عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا

لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله
صلعم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقرئ على رضي الله عنه متخذا
المضلين بالتنوين على الاصل وقرأ الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين
وقرئ عضدا بالفتح وسكون الضاد وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم
ورصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم
فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا انهم
مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا يقول بالياء والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم
توبيخا لهم واراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك
واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالموعد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية
جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة
والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء
البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ويجوز ان يريد الملئكة وعزيرا
وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط
بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها
واقعون فيها مصرفا معدلا قال

ازهير هل عن شيبة من مصرف ام لا خلود لباذل متكلف

ح زهير ترخيم زهيرة ك عن ابي سعيد عن رسول الله صلعم انه قال ان الكافر ليرى
جهنم فيظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة رواه ابن جرير وعنه ايضا قال قال
رسول الله صلعم ينصب الكافر مقدار خمسين الف سنة كما لم يعمل في الدنيا وان الكافر ليرى جهنم
فيظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة رواه احمد ولقد صرفنا في هذا القران للناس
من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء التي يأتي منها
الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز
يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين وما منع الناس ان
يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم العذاب
قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل
ليدحضوا به الحق واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها
مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تأتيهم سنة
الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان يأتيهم العذاب يعني عذاب الاخرة قبلا يعني عيانا
وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من

ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها وما انذروا يجوز ان يكون ما موصولة ويكون
الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ
هزؤا بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر
مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض
عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم
وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع
اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي
عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن
لا بد لهما من جزاء ثم علل نسيانهم واعراضهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد
حملا على لفظ من ومعناه فلن يهتدوا اذا فلا يكون منهم اهتداء البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم
ابدا مدة التكليف كلها واذا جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول صلعم
بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه او على انه جواب
للرسول على تقدير قوله مالي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى
فلن يهتدوا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل
لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا
لمهلكهم موعدا الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد
على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول
الله صلعم بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجا ولا ملجأ يقال وأل
اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى اهلكناهم يريد قرى الاولين من ثمود وقوم
لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى صفته لان اسماء الاشارة توصف
باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة
التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا
وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك
الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم او وقت
هلاكهم والموعد وقت او مصدر واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين
او امضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما
جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ارأيت اذ اوينا
الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله
في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا

آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي
وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي ع ابو هريرة ان رسول الله صلعم قال لا يقولن احدكم عبدي
وامتي ولا يقولن المملوك ربي وربتي ليقل المالك فتاي وفتاتي وليقل المملوك سيدي وسيدتي
فانكم المملوكون والرب الله عز وجل وفي رواية لم يذكر رسول الله صلعم وقال وليقل سيدي
ومولاي اخرجه ابو داود وفي رواية البخاري ومسلم ان رسول الله صلعم قال لا يقولن احدكم
اطعم ربك وضئ ربك اسق ربك وليقل سيدي ومولاي وفي اخرى له لا يقولن احدكم عبدي
فكلكم عبيد ولا يقول العبد ربي ولكن ليقل سيدي زاد في رواية فان مولاكم الله تعالى
وفي اخرى لا يقولن احدكم عبدي وامتي كلكم عباد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي
وجاريتي وفتاي وفتاتي ف وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه
وقيل كان يأخذ منه العلم **فان قلت** لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان
فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا
ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر
واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد
ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو ان يكون المعنى لا يبرح مسيري
حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم
فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح
ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان
ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر وهو ملتقى بحري فارس والروم مما
يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما
كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بالكسر وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع
من يفعل او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة روي انه لما ظهر موسى
على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام
فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس
اعلم قال انا فعتب الله عليه حيث لم يرد العلم الى الله فاوحى الله اليه بل اعلم منك عبد لي عند
مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة
ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سأل ربه اي عبادك احب اليك
قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى
قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على
هدى او ترده عن ردى وقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فدلني عليه قال اعلم منك

الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في
مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد
موسى فاضطرب الحوت فوقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه
بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وانى بارضنا
السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه
الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في البحر فقال الخضر
ما نقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما
اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع
ان يقدم الحوت ونسي موسى ان يامره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل
ان يوشع حمل الخبز والحوت في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحيوة
ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضأ
يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء سربا امسك الله تعالى جرية
الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى او للخضر
فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع
ان يذكر لموسى ما راى من حيوته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة
الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع حين جاوزا الموعد ولم يعيا
ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا نصبا اشارة اليهما
[illegible] الصخرة **فان قلت** كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما
على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين بينتين وهما حيوة السمكة المملوحة المأكول
منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب
منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب
موسى الحوت **قلت** قد شغله الشيطان بوسواسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه
النسيان وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة امثاله عند موسى من العجائب واستانس
باخواته فاعان الالف على قلة الاهتمام **فان قلت** وارايت بمعنى اخبرني
ماوجه التئام هذا الكلام فان كل واحد من ارايت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت
لا متعلق له **قلت** لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما راى منه وما اعتراه من نسيانه
الى تلك الغاية فدهش وطفق يسال موسى عن سبب ذلك كانه قال ارايت ما دهاني اذ اوينا
الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وان اذكره
بدل من الهاء في انسانيه اي وما انساني ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله ان اذكركه

وعجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب
او قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين
وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل
ان عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذاك ذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي
كنا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها
احسن وهي قراءة ابي عمرو واما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف فارتدا
فرجعا في ادراجهما فقصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين
رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا علما مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن
الغيوب ع سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالي يزعم ان موسى صاحب
بني اسرائيل ليس هو صاحب الخضر فقال كذب عدو الله سمعت ابي بن كعب يقول سمعت رسول
الله صلعم يقول قام موسى عليه السلام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم قال
فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو اعلم
منك فقال موسى اي رب كيف لي به فقيل له احمل حوتا في مكتل فحيث تفقد الحوت فهو ثمه
فانطلق وانطلق معه فتاه وهو يوشع بن نون فحمل موسى حوتا في مكتل وانطلق هو
وفتاه يمشيان حتى اتيا الصخرة فرقد موسى وفتاه فاضطرب الحوت في المكتل حتى خرج من
المكتل فسقط في البحر قال وامسك الله عز وجل عنه جرية الماء حتى كان مثل الطاق فكان
للحوت سربا وكان لموسى وفتاه عجبا فانطلقا بقية يومهما وليلتهما ونسي صاحب موسى ان
يخبره فلما اصبح موسى عليه السلام قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم
ينصب حتى جاوز المكان الذي امر به قال يوشع ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني
نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال موسى
ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا قال يقصان آثارهما حتى اتيا الصخرة فراى رجلا
مسجى عليه بثوب فسلم عليه موسى فقال له الخضر انى بارضك السلام قال انا موسى قال
موسى بني اسرائيل قال نعم قال انك على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وانا على علم من علم الله
علمنيه الله لا تعلمه قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن
تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا
ولا اعصي لك امرا قال له الخضر فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا
قال نعم فانطلق الخضر وموسى يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلماهم ان
يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فعمد الخضر الى لوح من الواح السفينة فنزعه
فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا

لا اعلمه صح

إمرًا قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري
عسرًا ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ
الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال موسى أقتلت نفسًا زكية بغير نفس لقد جئت شيئًا
نكرًا قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا قال وهذه أشد من الأولى قال إن سألتك
عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرًا فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما
أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض يقول مائل قال الخضر بيده
هكذا فأقامه قال له موسى قوم أتيناهم فلم يضيفونا ولم يطعمونا لو شئت لاتخذت عليه
أجرًا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرًا قال رسول الله صلعم
يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى كان يقص علينا من أخبارهما قال وقال رسول
الله صلعم كانت الأولى من موسى نسيانًا قال وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة ثم
نقر في البحر فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر
زاد في رواية وعلم الخلائق ثم ذكر نحوه قال سعيد بن جبير وكان يقرأ وكان أمامهم
ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرًا وفي رواية قال
بينا موسى عليه السلام في قومه يذكرهم بأيام الله وأيام الله نعماؤه وبلاؤه إذ قال ما أعلم
في الأرض رجلًا خيرًا أو أعلم مني قال وذكر الحديث وفيه حوتًا مالحًا وفيه مسجّى ثوبًا
مستلقيًا على القفا أو على حلاوة القفا وفيه أن رسول الله صلعم قال رحمة الله علينا وعلى
موسى لولا أنه عجّل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة قال إن سألتك عن شيء
بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرًا ولو صبر لرأى العجب قال وكان إذا ذكر
أحدًا من الأنبياء بدأ بنفسه قال ثم انطلقا حتى أتيا أهل قرية لئامًا فطافا في المجالس
فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما إلى قوله هذا فراق بيني وبينك قال وأخذ بثوبه
ثم تلا إلى قوله أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر إلى آخر الآية فإذا جاء الذي يسخرها
وجدها منخرقة فتجاوزها فأصلحوها بخشبة وأما الغلام فطبع يوم طبع كافرًا وكان
أبواه قد عطفا عليه فلو أنه أدرك أرهقهما طغيانًا وكفرًا فأردنا أن يبدلهما ربهما
خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا وفي رواية وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة
لا يصيب من مائها شيء إلا حيي فأصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل
وذكر نحوه وفي رواية أنه قيل له خذ حوتًا ميتًا حيث ينفخ فيه الروح فأخذ حوتًا
فجعله في مكتل فقال لفتاه لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت فقال ما
كلفت كثيرًا وذكر الحديث وفيه فوجد خضرًا على طنفسة خضراء على كبد البحر وأن
الخضر قال لموسى أما يكفيك أن التوراة بيدك وأن الوحي يأتيك يا موسى إن لي علمًا

حلاوة القفا وسط القفا

لا ينبغي لك أن تعلمه وإن لك علمًا لا ينبغي لي أن أعلمه وفيه في [illegible] حمل الغلام [illegible]
[illegible] المساكين [illegible] كانوا [illegible] وكان [illegible] آية [illegible] أن [illegible]
[illegible] صاحبه على أن [illegible] على [illegible] أن [illegible]
أقتلت نفسًا زكية ثم [illegible] إلى [illegible] الأولى الذي [illegible] الخضر وفي رواية
[illegible] وفي رواية عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس أنه تمارى
هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى عليه السلام فقال ابن عباس هو الخضر
فمر بهما أبي بن كعب فدعاه ابن عباس فقال إني تماريت أنا وصاحبي هذا في
صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل إلى لقيه فهل سمعت رسول الله صلعم
يذكر شأنه فقال إني سمعت رسول الله صلعم يقول بينا موسى في ملأ من بني إسرائيل
إذ جاءه رجل فقال له هل تعلم أحدًا أعلم منك قال موسى لا فأوحى الله إلى موسى بلى عبدنا
الخضر فسأل موسى السبيل إلى لقيه فجعل الله له الحوت آية وذكر الحديث إلى قوله فارتدا
على آثارهما قصصًا فوجدا الخضر فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه هذه رواية
البخاري ومسلم ثم
قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدًا قال إنك
لن تستطيع معي صبرًا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرًا قال ستجدني إن شاء الله صابرًا
ولا أعصي لك أمرًا قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرًا

فائدة

رشدًا أي [illegible] و[illegible] وسكون [illegible] [illegible]
[illegible] من [illegible] على الله [illegible] موسى من [illegible] موسى بن
عمران [illegible] النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم المرجوع إليه في [illegible]
قلت [illegible] في الحضر [illegible] النبي في أخذ العلم من نبي مثله و[illegible] منه أن يأخذ ممن
دونه وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس إن نوفًا البكالي يزعم أن الخضر
ليس بصاحب موسى وأن موسى هو موسى بن ميشا قال كذب عدو الله [illegible]
[illegible] على [illegible] كأنها [illegible] ولا [illegible] وعلل ذلك بأنه [illegible]
[illegible] الصالح [illegible] الكمال [illegible]
[illegible] ذلك و[illegible] في الإنكار [illegible] لم تحط [illegible] أو لا [illegible] به
[illegible] ولا أعصي في محل النصب عطف على صابرًا أي
ستجدني صابرًا وغير عاص أو لا في محل [illegible] على ستجدني [illegible] موسى عليه السلام [illegible] على العلم
و[illegible] أن يستطيع معه صبرًا بعد [illegible] الخضر عليه السلام عن حقيقة الأمر [illegible]
معلقًا بمشيئة الله تعالى [illegible] وإن [illegible] التي [illegible]
[illegible] الظاهر [illegible] ظاهرها [illegible] الذي [illegible] أمره الله [illegible]

اليه واتباعه واقتباسه العلم منه ترى من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما
يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم وقرئ فلا تسألنّي بالنون الثقيلة يعني
فمن شرط اتباعك لي انك اذا رأيت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته
فحميت وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني في السؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك
وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة
خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي
صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فانطلقا على ساحل
البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب
السفينة اري وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر
الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق
بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرئ لتغرّق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق
واهلها مرفوع جئت شيئا امرا اتيت شيئا عظيما من أمِر الامر اذا عظم قال
داهية دهياء اداً امرا ◊ بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته او بنسياني
اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة
بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى
بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابراهيم عليه السلام هذه اختي واني سقيم او اراد
بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة يقال رهقه اذا غشيه
وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياك يعني ولا تعسر علي متابعتك
ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسُرا بضمتين فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما
فقتله قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن
تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا
فقتله قيل كان فتله فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم
ذبحه بالسكين **فان قلت** لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا
غلاما فقتله بالفاء قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه
والجزاء قال اقتلت **فان قلت** فلم خولف بينهما قلت لان خرق السفينة لم يتعقب
الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرئ زاكية وزكيّة وهي الطاهرة من الذنوب
اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث
بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه
كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلعم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان

ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل نكرا وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر اقل من
الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا
انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه
فان قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية
والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية بعدها اي بعد هذه الكرة او المسألة فلا
تصاحبني فلا تقارنّي وان طلبت صحبتك ولا تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تكن
صاحبي وقرئ تُصحِبني اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك من لدني عذرا قد اعذرت
وقرئ بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضُد عضْد وعن
رسول الله صلعم رحم الله اخي موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى
لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما
اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت
لتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا
اهل قرية هي انطاكية وقيل الأبلّة وهي ابعد الارض من السماء ان يضيفوهما يقال ضافه
اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار
واضافه وضيّفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلعم كانوا اهل قرية لئاما وقيل
شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان ينقض
استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي

في مهمهٍ قلقت به هاماتها ... قلق الفؤوس اذا اردن نصولا ◊

وقال: يريد الرمح صدر ابي براء ... ويعدل عن دماء بني عقيل ◊

وقال حسان: ان دهرا يلف شملي بجمل ... لزمان يهم بالاحسان ◊

وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفأ وطلب ان يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية
والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك
مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قال ◊

اذا قالت الانساع للبطن الحق ◊ ... تقول سني للنواة طني ◊

لا ينطق اللهو حتى ينطق العود ◊

وازور من وقع القنا بلبانه ... وشكا الي بعبرة وتحمحم ◊

ان يك ظني صادقا وهو صادق ... بشملة يحبسهم بها محبسا وعرا ◊

ولما سكت عن موسى الغضب تمرد مارد وعز الابلق وليعضهم ◊

وقرئ يضيفوهما

ومن أبيات الحماسة

يأبى على أجفانه إغفاءة همّ إذا انقاد الهموم تمرّجا
أبيت ادّان وادف والندى لقبضها من البطون وأن تمتطي ظهورا

قالتا أتينا طائعين ولقد بلغني أن بعض المحرفين لكلام الله تعالى ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لأن ما كان منه من آفة الجهل وسقم الفهم أراه أعلى الكلام طبقة أدناه منزلة فتمحل ليرده إلى ما هو عنده أصح وأفصح وعنده أن كل ما كان أبعد من المجاز كان أدخل في الإعجاز ح وانقض إذا أسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعلّ من النقض كاحمرّ من الحمرة وقرئ أن ينقضّ من النقض وأن ينقاص من انقاصت السن إذا انشقت طولا قال ذو الرمة

يغشى الكناس بروقيه ويهدمه من هائل الرمل منقاص ومنكثب

بالصاد غير معجمة فأقامه قيل أقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل أقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم وقد لزّتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهي المسألة فلم يجدا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا وطلبت على عملك جعلا حتى تنتعش به وتستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ أصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الأخذ في شيء **فإن قلت** هذا إشارة إلى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فأشار إليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه كما تقول هذا أخوك فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ ويجوز أن تكون إشارة إلى السؤال الثالث أي هذا الاعتراض سبب الفراق والأصل فراق بيني وبينك وقد قرأ ابن أبي عبلة فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا لمساكين قيل كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم أمامهم كقوله ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندى **فإن قلت** قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التأخير وإنما قدم للعناية به ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة أبي وعبد الله كل سفينة صالحة وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا

المطعم ح

منه زكاة وأقرب رحما قرئ الجحدري وكان أبواه مؤمنان على أن كان فيه ضمير الشأن فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فخشينا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الإيمان وإنما خشي الخضر منه ذلك لأن الله عز وجل أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وأمره إياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة أبي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لأهب لك وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف روي أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا قيل اسما الغلامين أصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحيسور واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لإطلاقه أنه مال ح وعن قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا أراد قوله والذين يكنزون الذهب والفضة الآية ح وكان أبوهما صالحا اعتدّ بصلاح أبيهما وحفظا لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح أبيهما قال فأبي وجدي خير منه قال قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون رحمة مفعول له أو مصدر منصوب بأراد ربك لأنه في معنى رحمهما وما فعلته عن أمري وما فعلت ما رأيت عن اجتهادي ورأيي وإنما فعلته بأمر الله ح

ك وقوله رحمة من ربك وما فعلته عن أمري أي هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله وما فعلته عن أمري أي لكني أمرت به ووقفت عليه وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر عليه السلام مع ما تقدم من قوله فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وقال آخرون كان رسولا وقيل بل كان ملكا نقله الماوردي

وأمره إياه

في تفسيره وذهب كثيرون الى انه لم يكن نبياً بل كان ولياً والله اعلم وذكر ابن قتيبة في المعارف
ان اسم الخضر بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح قالوا وكان يكنى
ابا العباس ويلقب بالخضر وكان من ابناء الملوك ذكره النواوي في تهذيب الاسماء وحكى هو
وغيره في كونه باقيا الى الان ثم الى يوم القيمة قولين ومال هو وابن الصلاح الى بقائه
وذكروا في ذلك حكايات وآثارا عن السلف وغيرهم وجاء ذكره في بعض الاحاديث ولا
يصح شيء من ذلك واشهرها حديث التعزية واسناده ضعيف ورجح آخرون من المحدثين
وغيرهم خلاف ذلك واحتجوا بقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وبقول النبي عليه السلام
يوم بدر اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض وبانه لم ينقل انه جاء الى رسول الله
صلعم ولا حضر عنده ولا قاتل معه ولو كان حيا كان من اتباع النبي صلعم واصحابه لانه عليه السلام
كان مبعوثا الى جميع الثقلين الجن والانس وقد قال لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما
الا اتباعي واخبر قبل موته بقليل انه لا يبقى ممن هو على وجه الارض الى مائة سنة من ليلته
تلك عين تطرف الى غير ذلك من الدلائل قال ______ الامام احمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا
ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن ابي هريرة عن النبي صلعم انه قال انما سمي خضرا
لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضرا وثبت نحوه في صحيح البخاري والمراد
بالفروة ههنا الحشيش اليابس وهو الهشيم من النبات قاله عبد الرزاق وقيل المراد
بذلك وجه الارض ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا
مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك
الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمن وكافران نمرود وبخت نصر وكان
بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه الله العلم والحكمة
والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة
من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين
فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي
انه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احبه الله فاحبه
وسأله ابن الكوا فقال ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا
صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات
فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله وقيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه
فيحييه الله وعن النبي صلعم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها
وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس
وعن وهب لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا

يعني نفسه عليه السلام

رأسه

رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب
بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كأنه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد
غيره والسائلون هم اليهود سألوه على وجه الامتحان وقيل سأله ابو جهل واشياعه
والخطاب في عليكم لاحد الفريقين من كل شيء من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده
في ملكه خ ذو القرنين هو الاسكندر وقيل في حق ذي القرنين الاسكندر اشكال قوي
لان الاسكندر كان تلميذا لارسطاطاليس وكان على مذهبه فتعظيم الله اياه يوجب ان
مذهب ارسطاطاليس حق وذلك مما لا سبيل اليه ك وقد اورد ابن جرير ههنا حديثا
والاموي في مغازيه اسنده وهو ضعيف عن عقبة بن عامر ان نفرا من اليهود جاؤوا
يسألون النبي صلعم عن ذي القرنين واخبرهم بما جاؤوا له ابتداء فكان فيما اخبرهم به انه
كان شابا من الروم وانه بنى الاسكندرية وانه علا به ملك في السماء وذهب به الى السد
ورأى اقواما وجوههم مثل وجوه الكلاب وفيه طول ونكارة ورفعه لا يصح واكثر
ما فيه انه من اخبار بني اسرائيل والعجب ان ابا زرعة الرازي مع جلالة قدره ساقه
بتمامه في كتابه دلائل النبوة وذلك غريب منه وفيه من النكارة انه من الروم وانما الذي
كان من الروم الاسكندر الثاني وهو ابن فيلبس المعروف الذي يؤرخ به الروم
فاما الاول فقد ذكر الازرقي وغيره انه طاف بالبيت مع ابرهيم الخليل عليه السلام اول ما بناه
وآمن به واتبعه وكان وزيره الخضر عليه السلام واما الثاني فهو اسكندر بن فيلبس المعروف اليوناني
وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف المشهور والله اعلم وهو الذي
من مملكته مملكة الروم وقد كان قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة فاما الاول المذكور
في القرآن فقد كان في زمن الخليل عليه السلام كما ذكره الازرقي وغيره وروي ان معوية قال
لكعب الاحبار انت تقول ان ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا فقال كعب ان كنت قلت ذلك
فان الله قال وآتيناه من كل شيء سببا وهذا الذي انكره معوية على كعب هو الصواب
والحق مع معوية في الانكار فان معوية كان يقول عن كعب انا كنا لنبلوا عليه الكذب
يعني فيما ينقله لا انه يتعمد نقل ما ليس في صحفه ولكن الشان فيما في صحفه من الاسرائيليات
التي غالبها مبدل مصحف محرف مختلق ولا حاجة بنا مع خبر الله ورسوله الى شيء منها بالكلية
فانه دخل على الناس منها شر كثير وفساد عريض الى آخر ما ذكره فاتبع سببا حتى اذا
بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين
اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى
ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول
له من امرنا يسرا سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او

كذا ذا القرنين الثاني

تدبيره او آلة فاذا اراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اذا اراد المشرق فاتبع سببا واذا اراد بلوغ السدين فاتبع سببا وقرئ فاتبع ﴿حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾ ذات حمأة من حمئت البئر اذا صار فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر كنت رديف رسول الله صلعم على جمل فراى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عامر والحسن وقرأ ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معوية فقرأ معوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ فقال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية وروي في ثاط فوافق قول ابن عباس وكان ثمة رجل فانشد قول تبع

فراى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثاط حرمد

اي في عين ماء ذي طين وحماء اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجاز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا ﴿ووجد عندها قوما﴾ كانوا كفرة فخيره الله عز وجل بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال ﴿اما من ظلم﴾ دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين ﴿واما من آمن﴾ وعمل ما يقتضيه الايمان ﴿فله جزاء الحسنى﴾ وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله ان يجازى المثوبة الحسنى او فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى اي فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه ﴿من امرنا يسرا﴾ اي لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكوة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين ﴿ثم اتبع سببا﴾ وقوله حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي فسلك طريقا حتى وصل الى اقصى ما يسلك فيه من الارض من ناحية المغرب وهو مغرب الارض واما الوصول الى مغرب الشمس من السماء فمتعذر وما يذكره اصحاب القصص والاخبار من انه سار في الارض مدة والشمس تغرب من ورائه شيء لا حقيقة له واكثر ذلك من خرافات اهل الكتاب واختلاق زنادقتهم وكذبهم وقوله وجدها تغرب في عين حمئة اي راى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط وهذا شان كل من انتهى الى ساحله يراها كانها تغرب فيه وهي لا تفارق الفلك الرابع التي هي مثبتة فيه لا تفارقه انتهى وفي تفسير الحاكم ابي سعد ما لفظه واختلفوا في معناه وجدها كانها تغيب في عين حمئة وان كانت تغيب وراءها عن ابي علي وابي مسلم والقاضي لان الشمس لا تزايل الفلك ولا تدخل في الماء عين الماء ولانه قال وجد عندها قوما ولا يمكن المقام عند غروب الشمس لعظم حرها ولكن لما كان

ذلك الموضع غاية ما احاط به نظر ذي القرنين ولم يجد وراءه سببا تراءى له كانها تغرب في عين حمئة كمن يرى انها تغرب خلف جبل او شجر ونحو ذلك ها هنا فيقول غربت خلف جبل كذا ولان الشمس اكبر من الارض بكثير فكيف تسع لها عين وانكر احمد بن علي هذا القول وقال بل هي في عين حمئة في الحقيقة على ظاهر هذا القول لكون الفلك يدور على تلك العين او يكون الفلك عبارة عن مجرى الشمس فلا يلزم ما قاله ابو علي انتهى ﴿ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا﴾ وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله

كان مجر الرامسات ذيولها عليه قضيم نمقته الصوانع

يريد كان اثار مجر الرامسات ﴿على قوم﴾ قيل هم الزنج ﴿لم نجعل لهم من دونها سترا﴾ والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض ﴿كذلك﴾ اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره ﴿وقد احطنا بما لديه﴾ من الجنود والآلات واسباب الملك ﴿خبرا﴾ تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي مثل ما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم ﴿ك﴾ وفي اخبار بني اسرائيل انه غاب الغار وسماه سنة تحوب الارض طولها والعرض انتهى وفي تفسير الحاكم واذا اراد بلوغه مطلع الشمس بلوغ مطرح شعاع الشمس في اول ما تبدو ومما يلي وراءه احد من الناس ﴿ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا﴾ بين السدين بين الجبلين

فما حيلات سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو
مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو
مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول
به مبلوغ كما انجر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد
تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسما وظروفا وهذا المكان في منقطع ارض
الترك مما يلي المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون
يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون اي لا يفهمون
السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة يأجوج ومأجوج اسمان اعجميان بدليل
منع الصرف وقرئا مهموزين وقرئ رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل يأجوج
من الترك ومأجوج من الجيل والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا يأكلون الناس
وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه
وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول الله صلعم لا يموت احد منهم حتى
ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو
الطول وقصار مفرطو القصر فهل نجعل لك خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما
النول والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه
مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال
سليمان صلوات الله عليه فما آتاني الله خير مما آتاكم قرئ بالادغام وبفكه فاعينوني
بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات ردما حاجزا حصينا موثقا والردم
اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل
الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد
ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب
على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين
مائة فرسخ وقرئ سوى وسوى وعن رسول الله صلعم ان رجلا اخبره به فقال كيف
رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته والصدف بفتحتين
جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة
وسكون والصدفين بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لانه يقطر وقطرا منصوب
بافرغ تقديره آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ
قال ائتوني اي جيئوني ك وقد بعث الخليفة الواثق في دولته بعض امرائه
معه جيشا سرية لينظر الى السد ويعاينوه وينعتوه له اذا رجعوا فتوصلوا من

وضعفهم

بلاد الى بلاد ومن ملك الى ملك حتى وصلوا اليه ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس
وذكروا انهم رأوا فيه بابا عظيما وعليه اقفال عظيمة ورأوا بقية اللبن والعسل في برج
هناك وان عنده حرسا من الملوك المتاخمة له وانه عال منيف شاهق لا يستطاع ولا ما
حوله من الجبال ثم رجعوا الى بلادهم وكانت غيبتهم اكثر من سنتين وشاهدوا اهوالا
وعجائب فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي
فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في
بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا فما اسطاعوا بحذف التاء تخفيفا لان التاء قريب
المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرأ بادغام التاء في
الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد ان يظهروه ان يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من صعوده
لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله
ربي ورحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربي يعني فاذا
دنا مجيء يوم القيامة وشارف ان يأتي جعل السد دكا اي مدكوكا مبسوطا مستوى بالارض
وكلما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اي
ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا وجعلنا بعضهم
بعض الخلق يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان
يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين
في البلاد وروي انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر
ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة
وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في اقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون ك فما اسطاعوا
ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا وهذا دليل على انهم لم يقدروا على نقبه ولا شيء منه
فاما الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن ابي عروبة عن قتادة
حدثنا ابو رافع عن ابي هريرة عن رسول الله صلعم قال ان يأجوج ومأجوج ليحفرون
السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه
غدا فيعودون اليه كاشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله ان يبعثهم على
الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه
غدا ان شاء الله فيستثني فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على
الناس فيستقون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم الى السماء
فترجع وعليها كهيئة الدم فيقولون قهرنا اهل الارض وعلونا اهل السماء فيبعث الله
نغفا في اقفائهم فيقتلهم بها قال رسول الله صلعم والذي نفس محمد بيده ان دواب

الارض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم رواه ابن ماجة والترمذي ثم قال
غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وهذا اسناد جيد قوي ولكن متنه في رفعه نكارة لان
ظاهر الاية يقتضي انهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه لاحكام بنائه وصلابته
وشدته ولكن هذا قد روي عن كعب الاحبار انهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لا يبقى
منه الا القليل فيقولون غدا نفتحه فيأتون من الغد وقد عاد كما كان فيلحسونه حتى لا
يبقى منه الا القليل فيقولون كذلك ويصبحون وهو كما كان فيلحسونه ويقولون غدا
نفتحه ويلهمون ان يقولوا ان شاء الله تعالى فيصبحون وهو كما فارقوه فيفتحونه وهذا
متجه ولعل ابا هريرة تلقاه من كعب فانه كثيرا ما كان يجالسه ويحادثه فحدث به ابا هريرة
فتوهم بعض الرواة عنه انه مرفوع فرفعه والله اعلم ويؤكد ما قلناه من
انهم لم يتمكنوا من نقبه ولا نقب شيء منه ومن نكارة هذا المرفوع قول الامام احمد
حدثنا سفين عن الزهري عن عروة عن زينب بنت ابي سلمة عن حبيبة بنت ام حبيبة
بنت ابي سفين عن امها ام حبيبة عن زينب بنت جحش زوج النبي صلعم قال سفين اربع
نسوة قالت استيقظ النبي صلعم من نوم وهو محمر وجهه وهو يقول لا اله الا الله
ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق
باصبعه الابهام والتي تليها قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا
كثر الخبث رواه احمد هذا حديث صحيح اتفق البخاري ومسلم على اخراجه لكن البخاري
اسقط ذكر حبيبة وفيه اشياء عزيزة نادرة قليلة الوقوع في صناعة الاسناد منها
رواية الزهري عن عروة وهما تابعيان ومنها اجتماع اربع نسوة في سنده كلهن
يروي بعضهن عن بعض ثم كل منهن صحابية ثم ثنتان ربيبتان وثنتان زوجتان
رضي الله عنهن وقد روي نحو هذا عن ابي هريرة ايضا عن النبي صلعم انه قال
فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذا وعقد تسعين رواه البزار
واخرجه البخاري ومسلم وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم
في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا افحسب الذين كفروا ان يتخذوا
عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا وعرضنا جهنم وبرزناها
لهم فرأوها وشاهدوها عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن
القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا
يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم
اصميت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع عبادي من دوني اولياء هم الملائكة يعني
انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقرأ ابن مسعود

في المصابيح وفي حديث ياجوج وماجوج وان دواب الارض تسمن وتشكر شكرا من لحومهم اي تسمن وتمتلئ لحما يقال شكرت الشاة بالكسر تشكر شكرا اذا سمنت وامتلأ ضرعها لبنا ه لمت

افحسب الذين كفروا وقراءة علي افحسب الذين كفروا اي أفكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم
اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد
على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم
ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة النزل ما يقام للنزيل
وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل
سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا
بايات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك جزاؤهم
جهنم بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان
عن علي كقوله عاملة ناصبة وعن علي ان ابن الكوا سأله عنهم فقال منهم اهل حروراء
وعن ابي سعيد الخدري يأتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة
فاذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن
ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من
الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء **فان قلت** الذين ضل سعيهم في اي محل هو
قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال
ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم
ك عن ابي هريرة عن رسول الله صلعم قال انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم
القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا
اخرجه مسلم ورواه البخاري تعليقا وروى ابن ابي حاتم وابن جرير نحوه ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها
حولا الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقوله عادني حبها عودا يعني لا مزيد عليها
حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم وامانيهم وهذا غاية الوصف لان الانسان
في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتأكيد
الخلود ك روي مرفوعا الفردوس ربوة الجنة هي اوسطها واحسنها وفي الصحيحين
اذا سألتم الله الجنة فسلوه الفردوس فانه اعلى الجنة ومنه تفجر انهار الجنة
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو
جئنا بمثله مددا المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط
ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا
لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثله بمثل البحر مدادا
لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد

وهو ما يمد به وعن ابن عباس مثله مددا وقرأ الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهو
ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني
ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما
الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يامل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضا وقبول وقد
فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي
بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن
زهير قال لرسول الله صلعم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل
ما شورك فيه وروي انه قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد
ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء
ك عن طاوس قال قال رجل يا رسول الله اني اقف الموقف اريد وجه الله واريد ان
يرى موطني فلم يرد عليه رسول الله صلعم شيئا حتى نزلت هذه الاية فمن كان يرجو لقاء
ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا رواه ابن ابي حاتم وعن شداد
بن اوس سمعت رسول الله صلعم يقول من صلى يرائي فقد اشرك ومن صام يرائي
فقد اشرك ومن تصدق يرائي فقد اشرك وعنه ايضا سمعت رسول الله صلعم يقول
ان الله يقول انا خير قسيم لمن اشرك بي من اشرك بي شيئا فان عمله قليله وكثيره لشريكه الذي اشرك
به انا عنه غني وعنه ايضا انه بكى فقيل له ما يبكيك فقال شيء سمعته من رسول الله صلعم
فابكاني سمعت رسول الله صلعم يقول اتخوف على امتي الشرك الخفي والشهوة الخفية
قلت يا رسول الله اتشرك امتك من بعدك قال نعم اما انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا
ولا حجرا ولا وثنا ولكن يراؤون باعمالهم والشهوة الخفية ان يصبح احدهم صائما فتعرض
له شهوة من شهواته فيترك صومه روى هذه الثلاثة الاحاديث احمد ومع بعضها
قصة وروى الثالث ابن ابي حاتم وعن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلعم يقول الله يوم القيمة انا خير شريك من اشرك بي احدا فهو له كله رواه البزار
ولاحمد نحوه وعن محمود بن لبيد ان رسول الله صلعم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك
الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله يوم القيمة اذا جزي
الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم
جزاء رواه احمد وعن ابي سعيد بن ابي فضالة الانصاري وكان من الصحابة انه
قال سمعت رسول الله صلعم يقول اذا جمع الله الاولين والاخرين ليوم القيمة ليوم

لا ريب فيه نادى مناد من كان اشرك في عمل عمله لله احدا فليطلب ثوابه من عند غير الله
فان الله اغنى الشركاء عن الشرك رواه احمد واخرجه الترمذي وابن ماجه وعن ابي بكرة
قال قال رسول الله صلعم من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به رواه احمد وله عن
ابي سعيد عن رسول الله صلعم من يرائي يرائي الله به ومن يسمع يسمع الله به وعن
عبد الله بن عمرو انه سمع رسول الله صلعم يقول من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه
وصغره وحقره رواه احمد وعن انس قال قال رسول الله صلعم تعرض اعمال بني ادم
بين يدي الله عز وجل يوم القيمة في صحف مختمة فيقول الله القوا هذا واقبلوا هذا فيقول
الملائكة يا رب والله ما رأينا الا خيرا فيقول ان عمله كان لغير وجهي ولا اقبل اليوم
من العمل الا ما اريد به وجهي رواه البزار وعن عبد الله بن قيس الخزاعي ان
رسول الله صلعم قال من قام رياء وسمعة لم يزل في مقت الله حتى يجلس رواه من هب
وعن ابي مسعود قال قال رسول الله صلعم من احسن الصلوة حيث يراه الناس واساءها
حين يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه عز وجل رواه ابو يعلى وعن عمر بن الخطاب
قال قال رسول الله صلعم من قرأ في ليلة من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا كان له من النور من عدن ابين الى مكة حشوه الملائكة
رواه البزار وهو غريب جدا

سورة مريم وهي ثماني وقيل تسع وتسعون آية وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب اني
وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا قرأ
بفتح الهاء وكسر الياء حمزة ويكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرأ الحسن ذكر رحمة ربك اي
هذا المتلو ذكر من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الامر راعى سنة الله في
اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الرياء
وادخل في الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان
الكبر والشيخوخة او اسره من مواليه الذين خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه
كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل ستون
وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون وقرئ وهن بالحركات
الثلاث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى
وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده

لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذى هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصداً الى معنى اخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها وادغام السين فى الشين عن ابى عمرو شبه الشيب بشواظ النار فى بياضه وانارته وانتشاره فى الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس واخرج الشيب مميزاً ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا فمن ثمة فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة توسل الى الله بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال انا الذى احسنت الىّ فى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته **وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا** كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بنى اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته وطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به فى احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه **من ورائى** بعد موتى وقرأ ابن كثير من وراى بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية فى الموالى اى خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائى او خفت الذين يلون الامر من ورائى وقرأ عثمن ومحمد بن علي وعلى بن الحسين رضى خفت الموالى من ورائى وهذا على معنيين احدهما ان يكون ورائى بمعنى خلفى وبعدى فيتعلق الظرف بالموالى اى قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولى يرزقه والثانى ان يكون بمعنى قدامى فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد **من لدنك** تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده والا فهب لى وليا يرثنى كاف او اراد اختراعا منك بلا سبب لانى وامرأتى لا نصلح للولادة **يرثنى ويرث** الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردا يصدقنى وعن ابن عباس والجحدرى يرثنى وارث آل يعقوب نصب على الحال وعن الجحدرى اويرث على تصغير وارث وقال غليم صغير وعن على وجماعة وارث من آل يعقوب اى يرثنى به وارث ويسمى التجريد فى علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثنى الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق وقيل

هو

هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمن بن داود عليهما السلام **يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا** لم يسم احد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامى السنع جديرة بالاثرة واياها كانت العرب تنتحى فى التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز حتى قال القائل فى مدح قوم

سنع الاسامى مسبلى ازر حمر تمس الارض بالهدب

وقال رؤبة للنسابة البكرى وقد سأله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمى لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمى لصاحبه ونحو يحيى فى اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل فى انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا **قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا** اى كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه

فان قلت لم طلب اولا وهو وامرأته على صفة العتى والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا واخرا كان على منهاج واحد فى ان الله غنى عن الاسباب اى بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة فى المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر والطعن فى السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائى بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ ابى ومجاهد عسيا **كذلك** الكاف رفع اى الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ قال ربك او نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو على هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن وهو على هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اى الامر كما قلت وهو على ذلك يهون على وجه اخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف فى كلتا القراءتين اى قال هو على هين قال وهو على هين وان شئت لم تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق **شيئا** لان المعدوم ليس بشىء او شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شىء وقوله

بالغين المعجمة

وضاقت الارض حتى صار هاربهم اذا رأى غير شي ظنه رجلا

وقرا الاعمش والكسائي وانا خلقناك قال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اجعل لي علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به قال علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوى الخلق ما بك خرس ولا بكم دل ذكر الليالي هنا والايام في ال عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلثة ايام ولياليهن اوحى اشار عن مجاهد وشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض سبحوا صلوا او على الظاهر وان هي المفسرة يا يحيى خذ الكتاب بقوة واتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا اي خذ التورية بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد الحكم الحكمة ومنه

واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام شراع وارد الثمد

يقال حكم حكما كحلم حلما وهو الفهم للتورية والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لان الله احكم عقله في صباه واوحى اليه حنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد سيبويه

وقالت حنان ما اتى بك ههنا اذو نسب ام انت بالحي عارف

وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكوة الطهارة وقيل الصدقة ان يعطف على الناس ويصدق عليهم سلم الله عليه في هذه الاحوال قال ابن عيينة انها اوحش المواطن واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها معتزلة عنهم الناس وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشي يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة ادمي شاب وضي الوجه جعد الشعر
امرد

سويا سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الادمية شيئا او حسن الصورة مستوى الخلق والتمثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها استعاذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة لتفلي راسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبريل عليه السلام لان الدين يحيا به وبوحيه او سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي وقرا ابو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم او لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا اذا رت ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مومنين اي انما انا رسول من استعذت به لاهب لك لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني ان اهب لك او هي حكاية لقول الله عز وجل ولم يمسسني بشر عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء والزنا ليس كذلك انما يقال فجر بها وخبث بها وما اشبه ذلك وليس بقمن ان تراعى فيه الكنايات والاداب والبغي العاهرة التي تبغي الرجال وهو فعول عند المبرد بغوي فادغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر ح نهو عن المنكر شاذ لان الواو والياء اذا اجتمعتا وسبقت احديهما الاخرى بالسكون فالقياس قلب الواو ياء وادغامها فبطل استدلال ابن جني ف ولنجعله اية تعليل معلله محذوف اي ولنجعله اية للناس فعلنا ذلك او هو معطوف على تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله اية ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لابد لك من جريه عليك او كان امرا حقيقا بان يكون ويقضى لكونه اية ورحمة والمراد بالاية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين وعن ابن عباس فاطمانت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى جوفها

تعوذت

في الجبل

سوتا

النفخة الى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة اشهر وعن عطا وابي العالية والضحاك
سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل ثلث ساعات وقيل حملته
في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت
مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلث عشرة سنة وقد كانت حاضت
حيضتين قبل ان تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره **فحملته فانتبذت به مكانا
قصيا فاجاها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا**
فانتبذت به اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله

تدوس بنا الجماجم والتريبا

اي تدوس الجماجم والترائب ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعالى تنبت بالدهن اي تنبت
ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى
الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل
الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه جبريل فقال انه من روح
القدس فلا تقتلها فتركها اجا منقول من جا الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى
معنى الالجا الا تراك لا تقول جئت المكان واجانيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره اتى
حيث لم يستعمل الا في الاعطا ولم تقل اتيت المكان واتانيه فلان قرا ابن كثير في رواية
المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد في بطنها طلبت الجذع لتستتر
به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في الصحرا ليس لها راس ولا ثمرة ولا
خضرة وكان الوقت شتا والتعريف لا يخلو اما ان يكون من تعريف الاسما الغالبة كتعريف
النجم والصعق كان تلك الصحرا كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فاذا قيل جذع
النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل واما ان يكون تعريف الجنس اي جذع
هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما ارشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو
خرسة النفسا الموافقة لها ولان النخلة اقل شي صبرا على البرد وثمارها انما هو من جمارها
فلموافقتها لها مع جمع الايات فيها اختارها لها والجاها اليها قري مت بالضم والكسر
يقال مات يموت ومات يمات النسي ما من شانه ان ينسى ويطرح كخرقة الطامث
ونحوها كالذبح اسم ما من شانه ان يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس
العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا انساكم اي الشي اليسير كالعصا والقدح
والشظاظ تمنت ان تكون شيئا تافها لا يوبه له من شانه وحقه ان ينسى في العادة
وقد نسي واطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحيا والتشور
من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله او لشدة التكليف عليها اذا بهتوها

وقيل بنت عشرين

وهي عارفة ببراءة ساحتها وبضد ما قرفت به من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام
لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر
تستحق به المدح وتستوجب به التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف
بسببه او لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها وقرا ابن وثاب والاعمش وحمزة نسيا
بالفتح قال الفرا هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون مسمى
بالمصدر كالحمل وقرا محمد بن كعب القرظي نسا بالهمز وهو الحليب المخلوط بالما ينسؤه اهله لقلته و
نزارته وقرا الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر **فناداها من تحتها الا
تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا
فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن
صوما فلن اكلم اليوم انسيا** من تحتها هو جبريل عليه السلم قيل كان يقبل الولد وقيل
عيسى وهي قراة عاصم وابي عمرو وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الانهار
وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة فصاح بها لا تحزني وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص
من تحتها وفي ناداها ضمير الملك او عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرا زر وعلقمة
فخاطبها من تحتها سئل النبي صلعم عن السري فقال هو الجدول قال لبيد

فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها

الضمير في توسطا للعير والاتان والعرض الجانب والسري النهر ومعنى فصدعا
شقا والمسجورة المملوة وهي صفة عين والقلام ضرب من النبت والمعنى فتوسط العير
فتوسط العير والاتان جانب النهر الصغير فشقا عينا مملوة ما اي وردا فدخلا
من جانب النهر اليها وقد التف قلامها وقيل هو من السرو اي الرفعة والمراد عيسى عليه السلم
وعن الحسن كان والله عبدا سريا **فان قلت** ما كان حزنها لاجل الطعام
والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب
بل من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان
مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة عن العادات خارقة لما
الفوا واعتادوا واحتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شانها تساقط
فيه تسع قرات تساقط بادغام التا في السين وتتساقط باظهار التائين وتساقط بطرح
الثانية ويساقط بالبا وادغام التا وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط
التا للنخلة واليا للجذع ورطبا تمييز او مفعول على حسب القراة وعن المبرد جواز
انتصابه بهزي وليس بذاك والبا في بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله ولا تلقوا بايديكم
او على معنى افعلي الهز به كقوله

كالقابلة

وابن كثير وابن عامر [illegible]

وان تعتذرن بالحمل من ذي ضر وعهما الى الضيف يخرج في عراقيبها نصلي

قالوا التمر للنفسا عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقالوا ما للنفسا خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطبة عن طلحة بن سليمن جنيا بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب فايدتين احدهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا اي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما اهمك واحزنك وقري وقرئ بالكسر لغة نجد ترين بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا لغة من يقول لبات بالحج وحلات السويق وذلك لتاخ بين الهمزة وحروف اللين في الابدال صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل صياما الا انهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلعم عن صوم الصمت لانه نسخ في امته امرها الله تعالى ان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في كلام لمعنيين احدهما ان عيسى عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفها ومناقلتهم وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل اخبرتهم انها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق انسيا اي اكلم الملائكة دون الانس ك عن ابن عباس سمعت رسول الله صلعم يقول ان السري الذي قال الله لمريم قد جعل ربك تحتك سريا نهر اخرجه الله لتشرب منه رواه الطبراني وهو غريب جدا وفي اسناده ضعيف متروك وعن علي عليه قال قال رسول الله صلعم اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من الطين الذي خلق منه ادم وليس من الشجر شي يلقح غيرها وقال رسول الله صلعم اطعموا نساكم الولد من الرطب فان لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة اكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران رواه ابن ابي حاتم وهو حديث منكر جدا فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا الفري البديع وهو من فري الجلد هرون كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وقيل هو اخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلعم انما عنوا هرون النبي صلعم وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة ح اي كانت بمعنى هرون في مرتبة الاخوة وذلك بان تكون من نسل اخت هرون او اخيه وقيل في طبقة خيركان اي كانت في طبقة الاخوة من جهة اعقابه اي اخلافه في النسك والعبادة ومن ابنه ابنته قف وبينها وبينه الف سنة واكثر وعن السدي كانت من اولاده وانما قيل يا اخت هرون كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح في زمانها او طالح شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب

ذكر ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا باسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا وقرا عمر بن لجا التيمي ما كان اباك امرا سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جات تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها ك عن المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله صلعم الى نجران فقالوا ارايت ما تقرون يا اخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلعم فقال الا اخبرتهم انهم كانوا يسمون بالانبيا والصالحين قبلهم رواه احمد واخرجه مسلم والترمذي والنسائي فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا فاشارت اليه اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم تصلح لقريبه وبعيده وهو هنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه اخر ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفوليته اكمل الله عقله واستنباه طفلا نظرا في ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضايه او جعل الاتي لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما كنت عن رسول الله صلعم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير وقرئ وبرا عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل في معنا اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلوة وكلفنيها واحد والسلام علي قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاني رجل وكان من فعل الرجل كذا والمعنى وذلك السلام الموجه الي يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام واعدايهما من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليهم ومثله قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى

وكان المقام مقام سكوت وعبادة وعبودية تحوص هذا التعريض ك قال سفيان الثوري
الحنان الشفيق الذي يحن على غضب وقال بعض السلف لا تجد احدا عاقا لوالديه الا
وجدته جبارا شقيا ثم قرا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا قال ولا تجد سيئ الملكة
الا وجدته مختالا فخورا ثم قرا وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا
ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم
قرا عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن
الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول
فمعنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او
مبتدا محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله او على انه مصدر مؤكد لمضمون
الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله حقا اي الحق لا الباطل وانما قيل
لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة
اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسما والنجم بالندى ويحتمل اذا اريد بقوله
الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل وان يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده
قوله الذي فيه يمترون اي امره حق يقين وهم فيه شاكون يمترون يشكون والمرية
الشك او يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث
ثلاثة وقرا علي بن ابي طالب تمترون على الخطاب وعن ابي بن كعب قول الحق الذي كان
الناس فيه يمترون كذب النصارى ويكذبهم بالدلالة على انتفا الولد عنه وانه مما لا يتاتى
ولا يتصور في المعقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال غير المستقيم ان تكون ذاته كذات
من ينشا منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيا من الاجناس كلها احدثه بكلمة
يكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول هاهنا مجاز ومعناه ان ارادته للشي
يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامتثال المامور المطاع اذا ورد على المامور
الممتثل قرا المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله
وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والاسناد وابو عبيدة بالكسر على الابتدا
الاسناد وهو كسر الهمزة بحهات وهو في كلام العرب عبارة عن ارتفعت من عشى
واحد قال جرير

ان الفرزدق والبعيث وامه وابا الفرزدق شر ما اسناد

وقال الكميت

الخ

الخ يزيد واسمعيل مالكة ومنذرا وابا وشر اسناد
وانا دوا لاسناد هاهنا عاصما وحمزة والكسائي والاعمش وقيل بدل الاعمش ابن عامر
ف وفي حرف ابي ان الله بغير واو وبان الله اي بسببه كذلك فاعبدوه الاحزاب
اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلث فرق نسطورية ويعقوبية
وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبيا لما قص عليهم قصة عيسى واختلفوا فيه
من بين الناس من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الحساب والجزا في يوم القيمة
او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم
عليهم وان تشهد عليهم الملكة والانبيا والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسو
الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوا وشهدوا به في عيسى وامه عليهما السلام
ك قال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة في قوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم قول الحق
الذي فيه يمترون قال اجتمع بنو اسرائيل فاخرجوا منهم اربعة نفر اخرج كل قوم
عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع فقال احدهم هو الله هبط الى الارض فاحيا من احيا
وامات من امات ثم صعد الى السما وهم اليعقوبية فقال الثلثة كذبت ثم قال اثنان
منهم للثالث قل انت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال اثنان كذبت ثم قال احد الاثنين
للاخر قل فيه قال هو ثالث ثلاثة الله اله وهو اله وامه اله وهم الاسرائيلية ملوك
النصارى قال الرابع كذبت هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون
فكان لكل رجل اتباع على ما قال فاقتتلوا فظهر على المسلمين وذلك قول الله تعالى
ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس وقد تقدم ذكر قصة قسطنطين مع النصارى
وقد جا في الحديث الصحيح المتفق على صحته عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله
صلعم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان
عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار
حق ادخله الله الجنة على ما كان من العمل اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم
لا يؤمنون انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون لا يوصف الله تعالى بالتعجب
وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما
عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوء بصرهم ويصدع
قلوبهم اوقع الظاهر اعني الظالمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من
ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد
بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع وفي الامر فرغ من الحساب وتصادر

الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلعم انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان
ينظران اذ قضي الامر بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله
في ضلال مبين عن الحسن واذ زهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي انذرهم على
هذه الحال غافلين غير مومنين نحتمل الله بيتهم ونخرب ديارهم والله يفني اجسادهم
ويفنى الارض ويذهب بها ك عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلعم اذا دخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار يجاء بالموت كانه كبش املح فيوقف بين الجنة والنار
فيقال يا اهل الجنة هل تعرفون هذا قال فيشرئبون ويقولون نعم هذا الموت قال فيقال
يا اهل النار هل تعرفون هذا قال فيشرئبون فينظرون ويقولون نعم هذا الموت
قال فيؤمر به فيذبح ويقال يا اهل الجنة خلود ولا موت ويا اهل النار خلود ولا
موت ثم قرا رسول الله صلعم وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة واشار
بيده قال اهل الدنيا في غفلة هكذا رواه الامام احمد وقد اخرجه البخاري ومسلم في
صحيحيهما ولفظهما قريب من ذلك واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا
اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا ابت اني قد جاءني
من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحمن عصيا يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان
وليا الصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه
وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في
هذا التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا لجميع الانبيا وكتبهم وكان نبيا في نفسه
كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة
الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا
بين المبدل منه وبدله اعني ابرهيم واذ قال كقولك رايت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز
ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبيا حين
خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك
على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبا ابرهيم والا فالله عز وجل هو ذاكره
ومورده في تنزيله التا في يا ابت عوض عن يا الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع
بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا لكون الالف عوضا بدلا من اليا وشبه
سيبويه ذلك باينق وتعويض اليا فيه مكان الواو الساقطة انظر حين اراد نصح
اباه ووعظه فيما كان متورطا فيه من الخطا العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى
فيه امر العقل وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها كيف رتب

الكلام

الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف و
الرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا
حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلعم اوحى الله الى ابرهيم عليه السلم انك خليلي حسن
خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان اظله
تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري وذلك انه طلب منه اولا العلة
في خطابه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا
سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل
من اهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان
اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملايكة والنبيين قال الله تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملايكة
والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك لان العبادة هي غاية التعظيم
فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه
اصول النعم وفروعها فاذا وجهتها الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة
لغيره لم تكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد
المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس له حس ولا شعور فلا يسمع يا عابد ذكرك
له وثناك عليه ولا يرى هيات خشوعك وخضوعك له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلا
فيدفعه او تسنح لك حاجة فيكفيكها ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم
اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفايق ولكنه قال ان معي طايفة من العلم وشيا منه ليس
معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي معرفة
بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه
بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك
الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك ادم وابنا جنسك كلهم هو
الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت ان حققت النظر عابد الشيطان
الا ان ابرهيم عليه السلم لامعانه في الاخلاص ولارتقا همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان
الا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لادم
وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه ثم ربع
بتخويفه سو العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن
الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف
ان يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله
في جملة اشياعه واوليائه اكبر من العذاب وذلك ان رضوان الله اكبر من الثواب نفسه

في غيته م

وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز
العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب نفسه
واعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا والعلية
ما في قوله ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز ان تكون موصولة وموصوفة والمفعول في
ما لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا ابصار وشيا يحتمل
وجهين احدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيا من الغناء ويجوز ان يكون يقدر مثله
مع الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به من قولك اغن عني وجهك فقد جاني
فيه تجدد العلم عندي قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم لئن لم تنته لارجمنك
واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا واعتزلكم
وما تدعون من دون الله وادعوا ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا
لما اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة
مع تلك الملاطفة اقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت
بيا بني وقدم الخبر على المبتدا في قوله اراغب انت عن الهتي لانه كان اهم عنده
وهو عنده اعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن الهته وان الهته ما ينبغي
ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلعم عما كان يلقى من
مثل ذلك من كفار قومه لارجمنك لارمينك بلساني يريد به الشتم والذم ومنه الرجيم
المرمي باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك رميا بالحجارة واصل الرجم الرمي
بالرجام وهي الحجارة الضخمة مليا زمانا طويلا من الملاوة ومنه الحين من الدهر او
مليا بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح يقال فلان ملي بكذا
اذا كان مطيقا له مضطلعا به **فان قلت** علام عطف واهجرني
قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك
تهديد وتقريع سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
لا نبتغي الجاهلين وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز
متاركة المنصوح والحال هذه ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى
انه وعده الاستغفار **فان قلت** كيف جاز له ان يستغفر للكافر وان
يعده ذلك قلت قالوا اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي
الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يومر المحدث والفقير بالصلوة
والزكوة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر
لابي انه كان من الضالين لانه وعده ان يومن واستشهدوا عليه بقوله تعالى وما

كان

كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ولقايل ان يقول الذي منع من
الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا تاباه فيجوز ان يكون الوعد
بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بنا على قضية العقل والذي يدل على صحته
قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا
ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابرهيم لا آزر
اي ما قال واغفر لابي الا عن قوله لاستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها
اباه الحفي البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى به اذا بره الاعتزال المهاجرة الى الشام
والمراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسائطها ومنه قوله عليه السلم الدعاء هو العبادة ويدل
عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز ان يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة
الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء الهتهم في قوله عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا مع
التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس فلما اعتزلهم وما يعبدون من
دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا
وجعلنا لهم لسان صدق عليا ما خسر على الله احد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه اولادا
مؤمنين انبيا من رحمتنا هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون
عامة في كل خير ديني ودنيوي اوتوه لسان الصدق الثنا الحسن وعبر باللسان
عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال

اني اتتني لسان لا اسر بها ... من علو لا عجب منها ولا سخر

يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لي لسان
صدق في الاخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة
ابيكم ابرهيم وملة ابرهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته
فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا
وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ووهبنا له
من رحمتنا اخاه هرون نبيا المخلص بالكسر الذي اخلص العبادة عن الشرك والريا
واخلص نفسه واسلم وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله الرسول الذي معه كتاب
من الانبيا والنبي الذي ينبي عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع الايمن
من اليمين اي من ناحيته اليمنى او من اليمن صفة للطور او الجانب شبهه بمن قربه بعض العظما
للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن ابي العالية قربه حتى سمع صريف القلم الذي
كتبت به التورية من رحمتنا من اجل رحمتنا وترؤفنا عليه ووهبنا له هرون او بعض
رحمتنا كما في قوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا الوجه بدل وهرون

لوجهه صح

عطف بيان كقولك رايت رجلا اخاك ذئبا وكان هذه وب اكثر من موتى فوقعت الهيبة على مخافته
وموادته كذا عن ابن عباس **واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا**
نبيا وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا ذكر اسمعيل عليه السلم بصدق
الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبيا تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو الحليم والاواه
والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره
في مكان فانتظره سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفا حيث قال ستجدني ان
شا الله من الصابرين وكان يبدأ باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراهم
ولانهم اولى من سائر الناس وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم
واهليكم نارا الم تر انهما حق بالتصدق عليهم فالاحسان الديني اولى وقيل اهله امته
كلهم من القرابة وغيرهم لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان لا يألوا
نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا
يفرط في شي من ذلك ك وصدق الوعد من الصفات الحميدة كما ان خلفه من الصفات
الذميمة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله
ان تقولوا ما لا تفعلون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب
واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا كانت هذه صفات المنافقين كان التلبس
بضدها من صفات المومنين ولذلك اثنى الله على عبده ورسوله اسمعيل بصدق الوعد
وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعد احدا شيئا الا وفى به وقد روى ابو داود في
سننه والخرائطي في كتابه مكارم الاخلاق عن عبد الله بن ابي الحمسا قال بايعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث فبقيت له علي بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه ذلك
قال فنسيت يومي والغد فاتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه ذلك فقال لي يا فتى لقد
شققت علي انا ههنا منذ ثلث انتظرك لفظ الخرائطي ● واثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على
ابي العاص بن الربيع زوج ابنته زينب فقال حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي
ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم قال الخليفة ابو بكر الصديق من كان له عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم عدة او دين فليأتنا قال جابر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو جا مال البحرين
اعطيتك هكذا وهكذا وهكذا يعني ملء كفيه فلما جا مال البحرين امر الصديق
جابرا فغرف بيده من المال ثم امره بعده فاذا هو خمس مائة درهم فاعطاه
مثليها معها ● وفي له وكان يأمر اهله بالصلوة لانه جا في الحديث عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وايقظ امرأته فان

ابت نضح في وجهها الما رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وايقظت زوجها فان ابى
نضحت في وجهه الما اخرجه ابو داود وابن ماجه وعن ابي سعيد وابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا استيقظ الرجل من الليل وايقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين
الله كثيرا والذاكرات رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ له **واذكر في**
الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا قيل سمي ادريس
ادريس لكثرة دراسته كتاب الله وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا
من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل
العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا
اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال
هذه الهنات ويجوز ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي
مشتقا من الدرس ☐ المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله سبحانه وقد انزل
الله عليه ثلثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من
خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن مالك يرفعه انه رفع الى السما
الرابعة وعن ابن عباس الى السما السادسة وعن الحسن الى الجنة لا شي اعلا من الجنة وعن
النابغة الجعدي انه لما انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذي اخره ●

بلغنا السما مجدنا وسناؤنا ۝ وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة ح روي ان النابغة الجعدي اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده قصيدة منها قوله ●

ولا خير في حلم اذا لم يكن له ۝ بوادر تحمي صفوه ان يكدرا

ولا خير في جهل اذا لم يكن له ۝ حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

ومنها قوله بلغنا السما البيت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى فقال الى الجنة بك يا رسول
الله فقال صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك فيروى انه عاش مائة وعشرين سنة واسنانه كالبرد ببركة
دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ك قد تقدم في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بادريس ليلة الاسرا وهو في
السما الرابعة وقد روى ابن جرير ههنا اثرا عجيبا عن هلال بن يساف قال سال ابن عباس كعبا
وانا حاضر فقال له ما قول الله عز وجل لادريس ورفعناه مكانا عليا فقال كعب اما
ادريس فان الله اوحى اليه اني ارفع لك كل يوم مثل عمل جميع بني ادم فاحب ان يزداد
عملا فاتاه خليل له من الملائكة فقال ان الله اوحى الي كذا وكذا فكلم لي ملك الموت
فليؤخرني حتى ازداد عملا فحمله بين جناحيه ثم صعد به الى السما فلما كان في السما
الرابعة تلقاهم ملك الموت فكلمه في الذي كلمه فيه ادريس فقال واين ادريس

رفع مجدنا على بدل الاشتمال من الضمير في بلغنا والنصب على انه مفعول لاجله او بحذف الباء منه

تعال هو حملا على ظهري قال ملك الموت فالعجب بعثت وقيل لي اقبض روح ادريس في السماء
الرابعة فجعلت اقول كيف اقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الارض فقبض روحه
هناك فذلك قوله عز وجل ورفعناه مكانا عليا هذا من اخبار كعب الاحبار الاسرائيلي
وفيه نكارة والله اعلم وقد رواه ابن ابي حاتم من وجه اخر بنحوه عن ... قال
لذلك الملك هل لك ان تسأله يعني ملك الموت كم بقي من اجلي لكي ازداد من العمل وذكر
باقيه وفيه انه لما سأله كم بقي من اجله قال لا ادري حتى انظر فنظر ثم قال انك تسألني
عن رجل ما بقي من عمره الا طرفة عين فنظر الملك الى تحت جناحه الى ادريس فاذا
هو قد قبض وهو لا يشعر به ثم روي من وجه اخر ان ادريس كان خياطا فكان
لا يغرز ابرة الا قال سبحان الله فكان يمسي حين يمسي وليس على وجه الارض احد
افضل عملا منه وذكر بقيته نحو الذي قبله وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى
ورفعناه مكانا عليا قال ادريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى اولئك الذين انعم الله
عليهم من النبيين من ذرية ادم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل
وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا
اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من لدن زكريا الى ادريس ومن في من النبيين
للبيان مثلها في قوله تعالى في اخر سورة الفتح وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة واجرا عظيما لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس
من ذرية ادم لقربه منه لانه جد ابي نوح وابرهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من
ولد سام بن نوح واسمعيل من ذرية ابرهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية
اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى
والثانية ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة كان
خبرا وقرأ شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير لان التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصلة
البكي جمع باك كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد وعن رسول الله صلعم اتلوا
القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرأت القران على رسول الله صلعم
في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان
فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلعم
ان القران نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا وقالوا يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها
فان قرأ اية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك
واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني
من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرأ هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم

المهديين

المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة
واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك
يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي
عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس
هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن
ابرهيم ومجاهد اضاعوها بالتاخير وينصر الاول قوله الا من تاب وامن يعني الكفار وعن
علي في قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن
قتادة هو في هذه الامة وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع كل شر
عند العرب غي وكل خير رشاد قال

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق اثاما اي مجازاة اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل
غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها وقرئ الاخفش يلقون قرئ يدخلون ويدخلون
اي لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم
اذا تابوا من ذلك من قولك ما ظلمك ان تفعل كذا بمعنى ما منعك او لا يظلمون البتة
اي شيئا من الظلم في الحديث بين العبد وبين الشرك ترك الصلوة وفي الحديث الاخر
العهد الذي بيننا وبينهم الصلوة فمن تركها فقد كفر وقال كعب الاحبار والله
اني لاجد صفة المنافقين في كتاب الله عز وجل شرابين القهوات تراكين الصلوات
لعابين بالكعبات رقادين عن العتمات مفرطين في الغدوات تراكين للجماعات ثم
تلا هذه الاية فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون
غيا وقال ابو الاشهب العطاردي اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام حذر وانذر اصحابك
اكل الشهوات فان القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة واني اهون
ما اصنع بالعبد من عبيدي اذا اثر شهوة ان احرمه طاعتي وعن ابن مسعود فسوف يلقون غيا
قال واد في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم جنات عدن التي وعد الرحمن عباده
بالغيب انه كان وعده ماتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا لما كانت
الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالي
وعدن معرفة علم بمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن
لم يصرفه اعلاما لمعاني الفينة والسحر والامس فجرى مجرى العدن لذلك او هو علم
لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة

الشديد

الموصوفة ولما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتدا اي وعدها
وهي غايبة عنهم غير حاضرة او وهم غايبون عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان
به قيل في ماتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه انما لوعد هو الجنة وهم ياتونها وهو من قولك
اتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا اللغو فضول الكلام وما لا طايل تحته وفيه
تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقايه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها
وما احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض
فيهما بعينينا اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملئكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا
الا ذلك فهو من وادي قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب

او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثنا المنقطع او
لان معنى السلام هو الدعا بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة واهلها عن الدعا
بالسلامة اغنيا فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فايدة الاكرام
ثم التاني من ياكل الوجبة ومنهم من ياكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من
يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثمة ليل ولا نهار ولكن على
التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد غدا وعشا وقيل اراد دوام الرزق ودروره
كما تقول انا عند فلان صباحا ومسا وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين
المعلومين نورث وترى نورث استعارة اي نبقي عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال
الموروث ولان الاتقيا يلقون ربهم يوم القيمة وقد انقضت اعمالهم وثمرتها باقية وهي
الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى
وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلعم اول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون
فيها ولا يمتخطون فيها ولا يتغوطون فيها وامشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم
الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من ورا اللحم
من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا
رواه احمد واخرجاه في الصحيحين وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم الشهدا على
بارق نهر بباب الجنة فيه قبة خضرا يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا رواه
احمد ○ وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان
ربك نسيا رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم

كذا

له سميا وما نتنزل الا حكاية قول جبريل صلوات الله عليه حين استبطاه رسول الله
صلعم روي انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما وذلك حين سيل عن قصة
اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحي الله فيه فشق
عليه ذلك مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل قال له النبي
صلعم ابطات حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا
بعثت نزلت واذا حبست احتبست وانزل الله هذه الاية وسورة الضحى والتنزل على
معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق قال

فلست لانسي ولكن لملاك تنزل من جو السما يصوب

لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدرج واللايق بهذا الموضع هو النزول
على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله وعلى ما يراه
صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان
ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بامر المليك ومشيته وهو الحافظ العالم بكل
حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى
لنا ان نتقلب في ملكوته الا اذا راى ذلك مصلحة وحكمة واطلق لنا الاذن فيه وقيل
ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك وما بين النفختين
وهو اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها
وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنايبنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسما
التي ورانا وما بين السما والارض والمعنى انه المحيط بكل شي لا يخفى عليه خافية ولا
يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويامرنا به
وياذن لنا فيه وقيل معنى وما كان ربك نسيا وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك ربك
وما قلى اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما احتباس الوحي فلم يكن
عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين
حين يدخلون الجنة اي وما ننزل الجنة الا بامر من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها
وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف في اعمال الخير و
الموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك نسيا لاعمال
العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السموات
والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلعم حين عرفه على هذه الصفة فاقبل على العمل
واعبده يثبك كما اثاب غيرك من المتقين وقرا الاعرج وما يتنزل بالياء على الحكاية
عن جبريل والضمير للوحي وعن ابن مسعود الا بقول ربك ○ يجب ان يكون الخلاف

الاثم

في النسبي مثله في البقي رب السموات والارض بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدأ
محذوف اي هو رب السموات والارض فاعبده كقوله

وقائلة خولان فانكح فتاتهم ۞ واكرومة الحيين خلو كما هيا

وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب
العزة فان قلت هلا عدي اصطبر بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر
عليها قلت لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت
له فيما يورد عليك من شداته اريد ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها
ولا تهن ولا يضق صدرك عن القاء عداتك من اهل الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس
الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك هل تعلم له سميا اي لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم
آلهة والعزى اله واما الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به
المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غيره ووجه اخر هل
تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا
تسمية وقيل مثلا وشبيها اي اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العبادة الا هو وحده
لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها ك عن ابن عباس قال قال رسول
الله صلعم لجبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا قال فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك
رواه احمد واخرجه البخاري وعنه ايضا عن النبي صلعم ان جبريل ابطا عليه فذكر ذلك له
فقال وكيف وانتم لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم
رواه احمد والطبراني وعن ابي الدرداء يرفعه قال ما احل الله في كتابه فهو حلال وما حرم
فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فان الله تعالى لم يكن لينسى شيئا ثم تلا هذه الاية وما كان
ربك نسيا رواه ابن ابي حاتم ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف اخرج حيا اولا يذكر
الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا يحتمل ان يراد بالانسان الجنس باسره وان يراد
بعض الجنس وهم الكفرة فان قلت لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم
غير قائلين ذلك قلت لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى
جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم وقال الفرزدق

فسيف بني عبس وقد ضربوا به ۞ نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

فقد اسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة
العبسي تنبيه المعروف ان البيت لابي فراس الحرث بن سعيد الحمداني
ولعله اشتبه ذلك على بعض الناقلين من حيث ان كنية الفرزدق ابو فراس وانما
القصة المشار اليها فهي ان جعفر بن خالد بن كلاب اعتنق زهير بن جذيمة العبسي

في بعض

في بعض حروب هوازن وغطفان فوقعا الى الارض وعلا خالد على زهير فاستغاث زهير
ببنيه فاتاه ابنه ورقاء فضرب خالدا بسيفه اثنتين وعشرين ضربة فلم يصنع شيئا لانه كان
مظاهرا بين درعين وقتل زهير يومئذ والقصة معروفة ف فان قلت ما الناصب ل
اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم قلت فعل مضمر يدل
عليه المذكور فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال
فكيف جامعت حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة في يا
الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكانهم قالوا
أحقا انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد
والمراد الخروج من الارض او من حال الفناء او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج
شجاعا اذا كان نادرا في ذلك يريد ساخرج حيا نادرا على سبيل الهزء وقرأ الحسن وابو حيوة
لسوف اخرج وعن طلحة بن مصرف لساخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك وتقديم الظرف
وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء
انكارهم فهو كقولك للمسيء الى المحسن احين تمت عليك نعمة فلان اسات اليه أولا يذكر الواو عطفت لا يذكر
على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني ايقول ذلك
ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب وادل على قدرة
الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع التاليف مشحونا
بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا
وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما الثانية فقد تقدمت نظيرتها
وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تاليف الموجودة الباقية وتركيبها وردها
الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا
المعنى وكذلك قوله وهو اهون عليه على ان رب العزة سواء عليه النشأتان لا تفاوت
في قدرته السهل والصعب ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ذلك ولا استعانة بحكيم ولا نظر
في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله
القراء كلهم على لا يذكر الا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفي حرف ابي يتذكر
من قبل من قبل تلك الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه ك في الصحيح يقول الله تعالى
كذبني ابن ادم ولم يكن له ان يكذبني واذاني ولم يكن له ان يوذيني اما تكذيبه اياي فقوله
لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من اخره واما اذاه اياي فقوله ان
لي ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فوربك
لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة ايهم

الاجزاء

أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا في إقسام الله تعالى باسمه
تقدست أسماؤه مضافا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه
كما رفع من شأن السماء والأرض في قوله فورب السماء والأرض إنه لحق والواو في
والشياطين يجوز أن تكون للعطف وبمعنى مع أوقع والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين
الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة **فإن قلت** هذا إذا أريد
بالإنسان الكفرة خاصة فإن أريد الأناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين
قلت إذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع
الشياطين كما حشروا مع الكفرة **فإن قلت** هلا عزل السعداء عن الأشقياء في
المحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر وأحضروا حيث تجاثوا حول
جهنم وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا
لذلك غبطة إلى غبطة وسرورا إلى سرور ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم فتزداد مساءتهم
وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم **فإن قلت** ما معنى إحضارهم
جثيا قلت أما إذا فسر الإنسان بالخصوص فالمعنى أنهم يعتلون من المحشر إلى شاطئ جهنم
عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم
وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية على العادة المعهودة
في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي أهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز
والقلق وإطلاق الحبى خلاف الطمأنينة أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون
معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثوا وإن فسر بالعموم فالمعنى أنهم
يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين
لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب ثم المراد بالشيعة
وهي الفرقة وفعلة كالطائفة التي شاعت أي تبعت غاويا من الغواة قال الله إن الذين فرقوا
دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم فأعصاهم
وأعتاهم فأعتاهم فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب
فأولاهم أو أراد بالذين هم أولى بها صليا المنتزعين كأنه قال ثم لنحن أعلم
بتصلية هؤلاء وهم أولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم
أشد ويجوز أن يريد بأشدهم عتيا رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم
ضلالا مضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا
فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم واختلف
في إعراب أيهم أشد فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم

أيهم أشد

أيهم أشد وسيبويه على أنه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلة حتى لو جيء به لأعرب
وقيل أيهم هو أشد ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم
من رحمتنا أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد على
الرحمن عتيا وأيهم بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء
فإن قلت بم يتعلق على والباء فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه قلت هما
للبيان لا الصلة أو يتعلقان بأفعل أي عتوهم أشد على الرحمن وصليهم أولى بالنار
كقولك هو أشد على خصمه وهو أولى بكذا وإن منكم إلا واردها كان على ربك
حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وإن منكم إلا واردها
التفات إلى الإنسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وإن منهم أو خطاب للناس من
غير التفات إلى الإنسان المذكور فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها
وهي خامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس يردونها كأنها إهالة
وروي دوابة ح الإهالة الودك والدوابة جليدة تعلو المرق واللبن والماء الراكد
ف وعن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلعم عن ذلك فقال إذا دخل أهل الجنة
الجنة قال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي
خامدة وعنه أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلعم يقول الورود الدخول
لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم
حتى إن للنار ضجيجا من بردها وأما قوله أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن
ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لأن الصراط ممدود عليها وعن
ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولا يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد
وإن لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا
لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز أن يراد
بالورود جثوهم حولها وإن أريد الكفار خاصة فالمعنى بين الحتم مصدر حتم الأمر
إذا أوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الأمير أي كان ورودهم واجبا على الله
أوجبه على نفسه وقضى به وعزم على أن لا يكون غيره قرئ ننجي وننجي وينجي وينجى على
ما لم يسم فاعله إن أريد الجنس بأسره فهو ظاهر وإن أريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي
الذين اتقوا أن المتقين يساقون إلى الجنة عقيب ورود الكفار لا أنهم يواردونهم ثم
يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن أبي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء
أي هناك وقوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على أن المراد بالورود الجثو حولها
وأن المؤمنين يفارقون الكفرة إلى الجنة بعد تجاثيهم ويبقى الكفرة في مكانهم جاثين

ك عن جابر بن عبد الله واهوى باصبعيه الى اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعت رسول
الله صلعم يقول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت
على ابرهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا
رواه احمد وهو غريب ولم يخرجوه وعن عبد الله هو ابن مسعود وان منكم الا واردها
قال رسول الله صلعم يرد الناس كلهم ثم يصدرون باعمالهم رواه احمد والترمذي
وقد روي موقوفا وروي عنه قال يرد الناس جميعا الصراط ورودهم قيامهم حول
النار ثم يصدرون عن الصراط باعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من
يمر مثل الريح ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم من يمر كاجود الخيل ومنهم من
يمر كاجود الابل ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى ان اخرهم مرا رجل نوره على
موضع ابهامي قدميه يمر يتكفأ به الصراط والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك
السعدان حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس وذكر تمام
الحديث رواه ابن ابي حاتم وروى ابن جرير عنه باسناده في قوله وان منكم الا واردها
قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الاولى كالبرق والثانية كالريح
والثالثة كاجود الخيل والرابعة كاجود البهائم ثم يمرون والملائكة يقولون اللهم
سلم سلم ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما من رواية انس وابي سعيد وابي هريرة
وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم وعن حفصة قالت قال رسول الله صلعم
اني لارجو ان لا يدخل النار ان شاء الله احد شهد بدرا والحديبية قالت فقلت اليس
الله يقول وان منكم الا واردها قالت فسمعته يقول ثم ننجي الذين اتقوا ونذر
الظالمين فيها جثيا رواه احمد وفي الصحيحين قال رسول الله صلعم لا يموت لاحد من
المسلمين ثلثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وفي رواية ابي داود الطيالسي
عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلعم يقول لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار
الا تحلة القسم قال الزهري كانه يريد هذه الاية وان منكم الا واردها كان على ربك
حتما مقضيا وعن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلعم يعود رجلا من اصحابه وعكا
وانا معه ثم قال ان الله تعالى يقول هي ناري اسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من
النار في الاخرة رواه ابن جرير ولم يخرجوه من هذا الوجه وعن معاذ بن انس الجهني
عن ابيه عن رسول الله صلعم قال من قرا قل هو الله احد حتى يختمها عشر مرات بنى
الله له قصرا في الجنة فقال عمر اذن نستكثر يا رسول الله فقال رسول الله الله اكثر واطيب
وقال رسول الله صلعم من قرا الف اية في سبيل الله كتب يوم القيمة مع النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ان شاء الله ومن حرس من وراء المسلمين في سبيل الله

متطوعا لا باجرة سلطان لم ير النار بعينيه الا تحلة القسم قال الله تعالى وان منكم الا
واردها وان الذكر في سبيل الله يضعف فوق النفقة بسبعمائة ضعف وفي رواية سبعمائة
الف ضعف رواه احمد قلت وفي اسناده ابن لهيعة وبقية مقال والله اعلم واذا تتلى
عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن
نديا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا بينات مرتلات الالفاظ
ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او
بتبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يعارض او
حججا وبراهين والوجه ان يكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا اذ لا تكاد الايات
تكون الا واضحة وحججا للذين امنوا لاجلهم او يخاطبون المؤمنين بذلك ويردون عليهم
به او اللام يقولون به لا حاجة لهم في معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه قرأ ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل
والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع
القوم وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الايات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا
من الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين بالايات والجاحدين
لها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة
ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة
ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم كم ردا عليهم اهلكنا
ومن تبيين اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم
وهم احسن في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على
الوصفية الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها
انشد الحسن بن علي الطوسي

تقادم العهد من ام الوليد بنا ... دهرا وصار اثاث البيت خرثيا

والرئي المنظر فعل بمعنى مفعول من الرؤية وقرأ نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة ياء وادغامها
او على انه من الري الذي هو النعمة والترفه وقرأ ابو بكر رئيا على القلب وقرئ ريا على حذف الهمزة وزيا
من الزي وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون

من هو شر مكانا واضعف جندا اي مد له الرحمن يعني امهله واملى له في العمر فاخرج
على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل لتقطع معاذير
الضال ويقال له يوم القيمة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله انما نملي لهم ليزدادوا
اثما او من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا يعني في معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس في مدة حيوته
في هذه الاية وجهان احدهما ان تكون متصلة بالاية التي هي رابعتها والايتان اعتراض
بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا
يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه
الى ان يشاهدوا الموعود رأي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم
اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله على ايديهم واما يوم القيمة وما ينالهم من
الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا
واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المومنين على خلاف صفتهم والثاني ان
تتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاحق
بهم لعلم الله بهم وبان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها والمراد بالضلالة ما
دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم الى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالهم الى
ان يعاينوا نصرة الله المومنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها **فان قلت**
حتى هذه ما هي قلت هي التي تحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي
قوله اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا في مقابلة خير مقاما
واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم
وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا** ويزيد معطوف على موضع فليمدد لانه
واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مد او يمد له الرحمن ويزيد اي يزيد في
ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه والباقيات الصالحات اعمال
الاخرة كلها وقيل الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
اي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم
ليس لهذا الامر مرد

وهل يرد بكاي زندا ... ما ان جزعت ولا هلعت

فان قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه قلت
كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله

غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم — وقوله
شجعاء جرتها الذميل تلوكه اصلا اذا راح المطي غراثا — وقوله
وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع
ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ للمهدد من ان يقال له عقابك
النار ح الزند مثل في القلة والنسار موضع ويوم النسار من ايام حروبهم والصيلم
الداهية والشجعاء الجريئة والجرة بالكسر ما تخرجه الابل من اجوافها من العلف
والذميل ضرب من سير الابل واللوك مضغ الشيء وادارته في الفم والغرثان الجياع
يريد ان سير هذه الناقة بمنزلة الاجترار لغيرها اذا كانت المطايا لا تسير لجوعها
ف فان قلت فما وجه التفضيل في الخبر كان لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا
من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره من الشتاء في برده
**افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند
الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول وياتينا
فردا** لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها
استعملوا ارايت في معنى اخبر والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كانه قيل
اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك اطلع الغيب من قولهم
اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع الثنية قال جرير

اني اذا مضر علي تحدبت لاقيت مطلع الجبال وعورا

ويقال مر مطلعا لذلك الامر اي مالكا له عاليا له ولاختيار هذه الكلمة شان يقول
اوقد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى
والمعنى ان ما ادعى ان يؤتاه وتالى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم
الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك قرا حمزة والكسائي ولدا
وهو جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر ولدا
بالكسر وقيل في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك
ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله اليه انه يؤتيه ذلك وعن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة
والمشهور انها في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته
فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال
فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثمة مال وولد فاعطيك
وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة
ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ كلا ردع وتنبيه

على الخطأ اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه **فان قلت** كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله

اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ولم تجدي من ان تقري به بدا

اي تبين وعلم بالانتساب اني لست بابن لئيمة والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستأخر فجرد ههنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب اي نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزئون او نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى ويدل عليه قراءة علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه ونرثه ما يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فتقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان تألى على ذلك في قوله لاوتين مالا وولدا لانه جواب قسم مضمر ومن يتألى على الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك ك عن خباب بن الارت قال كنت رجلا قينا وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته اتقاضاه فقال لي لا والله لا اقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا اكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فاني اذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فاعطيك فانزل الله تعالى افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الى قوله ونرثه ما يقول ويأتينا فردا رواه احمد واخرجه صاحبا الصحيحين وغيرهما من غير وجه وفي لفظ البخاري كنت قينا بمكة فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت اتقاضاه فذكر الحديث

واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون

عليهم

عليهم ضدا ألم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا اي ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا ردع لهم وانكار لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون للآلهة اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين اي ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم وكأن العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه **فان قلت** لم وحد قلت وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اي اعداءهم ضدا اي كفرة بها بعد ان كانوا يعبدونها الأز والهز والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلعم بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار واقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسول واستهزاءهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم تعجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس انه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك

اهلك اخو العبد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المامون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس
بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا نصب يوم
بمضمر اى يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز
ان ينتصب بلا يملكون ذكر المتقين بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته
وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفود على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي عليه السلم
ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سرجها ياقوت
وذكر الكافرين بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء
والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال
ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الما
يسمى به الواردون وقرا الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون الواو في لا يملكون
ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز
ان يكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل
من اتخذ رفع على البدل او على الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف
اي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان
والعمل وعن ابن مسعود ان النبي صلعم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ
كل صباح ومسا عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومسا اللهم فاطر
السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك
لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر و
تباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عهدا توفينيه يوم القيمة انك
لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى
مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة ويكون
من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة الماذون
له فيها وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيا
الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة
الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا عن الاسود بن يزيد قال قرا عبد الله يعني ابن
مسعود هذه الاية الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ثم قال اتخذوا عند الله عهدا فان الله
يقول يوم القيمة من كان له عهد فليقم قالوا يا ابا عبد الرحمن فعلمنا قال قولوا اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة فاني اعهد اليك في هذه الحيوة الدنيا

انك ان تكلني الى عملي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك
فاجعل لي عندك عهدا تؤديه الي يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد رواه ابن ابي حاتم
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا
قرئ ادا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم المنكر والادة
الشدة وادني الامر واداني اثقلني وعظم علي ادا وقرأ يكاد قرأه الكسائي ونافع بالياء
وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر
الفعل فيه وقرا ابن مسعود ينصدعن اي تهد هدا او مهدودة او مفعول له
اي لانها تهد فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور
الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه
يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني
على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني ان يكون
استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده
وان مثال ذلك الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر
منه وتنشق وتخر وفي قوله لقد جئتم شيا ادا وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي
يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجراة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه
على عظم ما قالوه في ان دعوا ثلثة اوجه ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله
على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم
ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اي هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد
بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص
الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من
قبل ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم
فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله
كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن ان دعوا هو من دعا بمعنى سمى المتعدى
الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي له
ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلم من ادعى الى غير مواليه
وقول الشاعر
انا بني نهشل لا ندعي لاب عنه ولا هو بالابناء يشرينا

اذا طلب

اي لا تنتسب اليه انبغى مطاوع بغى اي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما يتطلب لو طلب مثلا لانه
محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها واما التبني فلا يكون
الا فيما هو من جنس المتبني وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا
كبيرا ك عن ابي موسى قال قال رسول الله صلعم لا احد اصبر على اذى يسمعه من الله
انه يشرك به ويجعل له الولد وهو يرزقهم ويعافيهم رواه احمد واخرجاه في الصحيحين
وفي لفظ انهم يجعلون له الولد وهو يرزقهم ويعافيهم ان كل من في السموات والارض
الا اتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيمة فردا
من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله

رب من انضجت غيظا صدره قد تمنى لي موتا لم يطع

وقرا ابن مسعود وابو حيوة آت الرحمن على اصله قبل الاضافة الاحصا الحصر والضبط
يعني حصرهم بعلمه واحاطهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا في الملئكة وعيسى وعزير انهم اولاد
الله كانوا بين كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا والثاني اشراك الذين
زعموهم لله اولادا في عبادته كما يخدم الناس ابنا الملوك خدمتهم لابائهم فهدم الله الكفر الاول
فيما تقدم من الايات ثم عقبه بهدم الكفر الاخر والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض
من الملئكة ومن الناس الا وهو ياتي الرحمن اي ياوي اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا
مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هولاء الضلال
ونحوه قوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم
وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شي من احوالهم وكل واحد منهم
ياتيه يوم القيمة منفردا ليس معه من هولاء المشركين احد وهم برآء منهم ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين
وتنذر به قوما لدا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع
لهم ركزا قرا جناح بن حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها
لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي يكتسب بها الناس مودات القلوب
من قرابة او صداقة او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتدا اختصاصا
منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم
واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكان المومنون يومئذ بين
الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دجا الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم
الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروي ان النبي صلعم

قال لعلي يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المومنين مودة فانزل الله
هذه الاية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلعم يقول
الله عز وجل يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السما ان الله قد
احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السما ثم يضع له المحبة في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد
الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل
او بشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه
لتبشر به وتنذر واللد الشداد الخصومة بالباطل الاخذون في كل لديد اي في كل شق من
المرا والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار وقرئ تحس من
حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرا حنظلة تسمع مضارع اسمعت والركز الصوت
الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون ك عن ابي هريرة
عن النبي صلعم قال ان الله اذا احب عبدا دعا جبريل فقال يا جبريل اني احب فلانا فاحبه قال
فيحبه جبريل قال ثم ينادي في اهل السما ان الله يحب فلانا قال فيحبه اهل السما قال ثم يوضع له القبول
في الارض وان الله اذا ابغض عبدا دعا جبريل فقال يا جبريل اني ابغض فلانا فابغضه قال فيبغضه
جبريل ثم ينادي في اهل السما ان الله يبغض فلانا فابغضوه قال فيبغضه اهل السما ثم يوضع
له البغضا في الارض رواه احمد ومسلم ورواه احمد ايضا والبخاري من طريق اخر بنحوه وعن
ابي هريرة قال اذا احب الله عبدا نادى جبريل اني قد احببت فلانا فاحبه فينادي في السما ثم
ينزل له المحبة في اهل الارض فذلك قول الله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا رواه مسلم وابن ابي حاتم والترمذي وعن قتادة كان عثمان يقول
ما من عبد يعمل خيرا او شرا الا كساه الله رداء عمله وعن الحسن البصري قال قال الرجل
والله لاعبدن الله عبادة اذكر بها فكان لا يرى في حين صلوة الا قائما يصلي وكان اول
داخل الى المسجد واخر خارج منه فكان لا يعظم فلبث بذلك سبعة اشهر فكان لا يمر على
قوم الا قالوا انظروا الى هذا المرائي فاقبل على نفسه فقال لا اراني اذكر الا بشر لاجعلن
عملي كله لله عز وجل فلم يزد على انه قلب نيته ولم يزد على العمل الذي كان يعمل فكان
يمر بعد بالقوم فيقولون رحم الله فلانا الان الان وتلا الحسن ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا

سورة طه مكية وهي اربع وثلثون ومائة

ك عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ان الله قرا طه ويس قبل ان يخلق ادم بالفي عام
فلما سمعت الملئكة قالوا طوبى لامة ينزل هذا عليهم وطوبى لمن تكلم بهذا رواه ابن خزيمة

طه كذا خلق

وهو حديث وفيه نكارة وفي اسناده من تكلم فيه

بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى

أبو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الأصل والباقون أمالوهما وعن الحسن طه وفسر بأنه أمر بالوطء وأن النبي كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه فأمر بأن يطأ الأرض بقدميه معا وأن الأصل طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت ألفا في يطأ فيمن قال

راحت بمسلمة البغال عشية فارعي فزارة لا هناك المرتع

ثم بنى عليه الأمر والهاء للسكت ويجوز أن يكتفى بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين

ح أي يكتفى بنصف كل واحد من طا وها لأنهما اسمان مسماهما طا ها فاسقطت الألف من كل واحد منهما فقيل طه وقد تقدم في أول سورة البقرة أن حروف التهجي أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة ف والله أعلم بصحة ما يقال إن طه في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا واقتصروا على ها وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به وهو

طه هو

إن السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله أخلاق الملاعين

والأقوال الثلاثة في الفواتح أعني التي قدمتها في أول الكاشف هي المعول عليها عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الألباء المتقنون ما أنزلنا إن جعلت طه تعديدا لأسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وإن جعلتها اسما للسورة احتمل أن يكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن ظاهر أوقع موقع الضمير لأنها قرآن وأن يكون جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل أتعب من رائض مهر وأشقى من رائض مهر أي ما عليك إلا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد أن لم تفرط في أداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل إن أبا جهل والنضر بن الحارث قالا له إنك شقي لأنك تركت دين آبائك فأريد رد ذلك بأن دين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي أنه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل عليه السلام أبق على نفسك فإن لها عليك حقا أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت إلا

بالحنيفية

بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل إلا أن الأول وجب مجيئه مع اللام لأنه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماع الشرائط فيه **فإن قلت** أما يجوز أن تقول ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى كقوله أن تحبط أعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه وأما النصبة التي في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لأنه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها **فإن قلت** هل يجوز أن تكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي إلا فيه بمعنى لكن ويحتمل أن يكون المعنى إنا أنزلنا عليك القرآن لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الإسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول أمره إلى الخشية ولمن يعلم الله منه أنه يبدل بالكفر إيمانا وبالقسوة خشية في نصب تنزيلا وجوه أن يكون بدلا من تذكرة إذا جعل حالا لا إذا كان مفعولا له لأن الشيء لا يعلل بنفسه وأن ينصب بنزل مضمرا وأن ينصب بأنزلنا لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة أنزلناه تذكرة وأن ينصب على المدح والاختصاص وأن ينصب بيخشى مفعولا به أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن وإعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدأ محذوف ما بعد تنزيلا إلى قوله له الأسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته إلى من هذه أفعاله وصفاته ولا يخلو من أن يكون متعلقه إما تنزيلا نفسه فيقع صلة له وإما محذوفا فيقع صفة له **فإن قلت** ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب قلت غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها أن هذه الصفات إنما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها أنه قال أولا أنزلنا ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه ووصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع أحسن لأنه إما أن يكون مبتدأ مشارا بلامه إلى من خلق وإما أن يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن **فإن قلت** الجملة التي هي قوله على العرش استوى ما محلها إذا جررت الرحمن أو رفعته على المدح قلت إذا جررت فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير وإن رفعت جاز أن تكون كذلك وأن تكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة قالوه أيضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وإن كان أشرح

على المدح على تقدير هو الرحمن ...

وابسط واذل على موقع الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه
جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال او لم تكن له
يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت
اليهود يد الله مغلولة اى هو بخيل بل يداه مبسوطتان اى هو جواد من غير تصور يد ولا
غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان
مسيرة اعوام وما تحت الثرى وما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدى هو
الصخرة التى تحت الارض السابعة اى يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطر
ببالك او ما اسررته فى نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم ان اخفى فعل يعنى
انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه وهو كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون
به علما وليس بذاك **فان قلت** كيف طابق الجزاء الشرط قلت معناه ان تجهر بذكر
الله من دعاء او غيره فاعلم انه غنى عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك
فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله
وانما هو لغرض اخر الحسنى تانيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك
الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن اياتنا الكبرى والذى فضلت به اسماؤه فى
الحسن سائر الاسماء دلالتها على معانى التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال
التى هى النهاية فى الحسن **تنبيه** قد اورد الحافظ ابن كثير فى هذا الموضع احاديث
واثارا وذكر فى بعضها انه عز ربك حدا وهى كما قال فلا ينبغى نقلها وحكى عن الصحيحين قوله
صلعم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وهل اتاك حديث موسى اذ راى نارا فقال
لاهله امكثوا انى انست نارا لعلى اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى قفاه لقصة
موسى عليه ليتاسى به فى تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد
حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود يجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث
او لمضمر اي حين اذ راى نارا كان كيت وكيت او اذكر مفعولا لا ذكر استاذن موسى شعيبا عليه
فى الخروج الى امه وخرج باهله فولد له فى الطريق ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد
ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فراى النار عند ذلك قيل
كانت ليلة جمعة امكثوا اقيموا فى مكانكم الايناس الابصار البين الذى لا شبهة فيه ومنه انسان
العين لانه يتبين به الاشياء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار
ما يونس به لما وجد منه الايناس وكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم
ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع
وقال لعلى ولم يقطع فيقول انى اتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به القبس النار المقتبسة

فى راس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة او نحوها هدى
اي قوما يهدوننى الطريق او ينفعوننى بهداهم فى ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك
لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية فى جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوى
هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء فى على النار ان اهل النار
يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد
اولان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه
قول الاعشى ٭ تشب لمقرورين يصطليانها ٭ وبات على النار الندى والمحلق ٭
فلما اتاها نودى يا موسى انى انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا
اخترتك فاستمع لما يوحى اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلوة لذكرى
ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن
بها واتبع هواه فتردى قرا ابو عمرو وابن كثير انى بالفتح اى نودى بانى انا ربك
وكسر الباقون اي نودى فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته
تكرير الضمير فى انى انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى
انه لما نودى يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انى انا ربك وان ابليس وسوس اليه لعلك
تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع جهاتى الست واسمعه بجميع
اعضائى وروى انه حين انتهى راى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد
وسمع تسبيح الملائكة وراى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودى وكانت الشجرة
عوسجة وروى كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استاخر
عنه فلما راى ذلك رجع واوجس فى نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم قيل
امر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدى وقتادة وقيل ليباشر
الوادى بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثمة طاف السلف بالكعبة حافين
ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقران
يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروى انه خلع نعليه والقاهما
من وراء الوادى طوى بالضم والكسر منصرف بتاويل المكان والبقعة وقيل طوى مرتين
نحو ثنى اى نودى نداءين او قدس الوادى كرة بعد كرة اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا
حمزة وانا اخترناك لما يوحى للذى يوحى او للوحى تعلق اللام باستمع او باخترتك لذكرى
لتذكرنى فان ذكرى ان اعبد ويصلى لى او لتذكرنى فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار
عن مجاهد او لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك
لسان صدق او لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى او لاخلاص ذكرى وطلب وجهى

وغير منصرف صح

ولا تذكرني فيها ولا تشغل بها عن شيء آخر ولتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم
ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وأفكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر
الله أو لأن أوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة كقوله إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى يا ليتني
قدمت لحياتي وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلوة
أو نسيها فليقضها إذا ذكرها وكان حق العبارة أن يقال لذكرها كما قال رسول الله
صلعم فليصلها إذا ذكرها ومن يتمحل له يقول إذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله أو يقدر
حذف المضاف أي لذكر صلوتي أو لأن الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة وقرأ
رسول الله صلعم للذكرى أي أكاد أخفيها فلا أقول هي آتية لفرط إرادتي إخفاءها ولولا ما
في الإخبار بإتيانها مع تعميته وقتها من اللطف لما أخبرت به وقيل معناه أكاد أخفيها من نفسي
ولا دليل عليه في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم
منه أن في مصحف أبي أكاد أخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف أكاد أخفيها من نفسي
فكيف أظهركم عليها وعن أبي الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها بالفتح من خفاه إذا أظهره
أي قرب إظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه
وبه فسر بيت امرئ القيس

فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

فأكاد أخفيها محتمل للمعنيين لتجزى متعلق بآتية بما تسعى بسعيها أي لا يصدنك عن تصديقها
والضمير للقيامة ويجوز أن يكون للصلوة **فإن قلت** العبارة لنهي من لا يؤمن عن
صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث أو أمره بالتصديق به فكيف صلحت هذه
العبارة لأداء هذا المقصود قلت فيه وجهان أحدهما أن صد الكافر عن التصديق بها
سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني أن صد الكافر مسبب عن رخاوة
الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا أرينك ههنا المراد نهيه
عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته إياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كأنه
قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع في صدك
عما أنت عليه يعني أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير إذ لا شيء أطم على الكفرة ولا هم
أشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم ولا عظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة
قدمك واعلم أنهم وإن كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان
وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وإنذار بأن الهلاك والردى
مع التقليد وأهله عن أنس عن النبي صلعم قال إذا رقد أحدكم عن الصلوة أو غفل عنها

فليصلها

فليصلها إذا ذكرها فإن الله قال أقم الصلوة لذكري رواه أحمد وفي الصحيحين عن أنس
قال قال رسول الله صلعم من نام عن صلوة أو نسيها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها لا كفارة لها
إلا ذلك وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي
فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها
سيرتها الأولى تلك بيمينك كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الإشارة ويجوز أن
يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك إنما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة
من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه وينبهه
على قدرته الباهرة ونظيره أن يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة
حديد ثم يريك بعد أيام لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما ترى من عجيب الصنعة
وأنيق السرد وقرأ ابن أبي إسحق عصي على لغة هذيل ومثله يا بشرى إذ أرادوا كسر ما قبل ياء المتكلم
فلم يقدروا عليه فقلبوا الألف إلى أخت الكسرة وقرأ الحسن عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين
وهو مثل قراءة حمزة بمصرخي وعن ابن أبي إسحق بسكون الياء أتوكأ عليها أعتمد عليها إذا أعييت
أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة وأهش الورق خبطه أي أخبطه على رؤوس غنمي تأكله
وعن لقمان بن عاد أكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة مخب وسيلا دفع والحمد لله
من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونخب وادي قريب من الطائف كثير السدر وفي
قراءة النخعي أهش وكلاهما من هش الخبز يهش إذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة أهس
بالسين أي أنحي عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم ثم ذكر في التفصيل والإجمال المنافع المتعلقة
بالعصا كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي إلا عصا
لا تنفع إلا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه
من فحوى كلام ربه ويجوز أن يريد عز وجل أن يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا
ليذكرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كأنه يقول له أين أنت عن هذه
المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحفل
بشأنها وقالوا إنما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب
فيزيد في إكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل في المآرب
كانت ذات شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين
وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها وإذا
كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل وإذا قصر
رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي
بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وإذا ظهر عدو

خاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ذكرها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت
تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام [illegible]
وخفة حركة **فان قلت** كيف ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان قلت
اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير واما الثعبان والجان فبينهما
تناف لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان احدهما انها كانت وقت
انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد
بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها والثاني انها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان
والدليل عليه قوله تعالى فلما رآها تهتز كأنها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل
كان بين لحييها اربعون ذراعا لما راى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار
ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر و
الشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف منه ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما لقي آدم
منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه ان ادخل يده في
فمها واخذ بلحييها [illegible] السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة
ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على
الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا وان يكون اعاد منقولا
من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير

فصرم حبلها اذ صرمته وعادك ان تلاقيها عداء

فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث احسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق
بسيرتها بمعنى انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها
بعد الذهاب كما انشأناها اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى يعني
سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها

واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى
اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل
عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري
واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قيل لكل ناحيتين
جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا
الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل عليه
قوله تخرج السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة
بالسوأة وكان جذيمة صاحب الزباء ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شيء الى

العرب

العرب ونفوسهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى احسن
ولا الطف ولا احز للمفاصل من كنايات القرآن وادابه يروى انه كان آدم فاخرج يده
من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يعشي البصر بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء
من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو ان يكون باضمار
خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام عليه وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك اي
خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى
او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك لما امره بالذهاب
الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف انه كلف امرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما
لا يحتمله الا ذو جأش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه
ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر
ويجعل الضنى وحسن الثبات وان يسهل عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله في ارضه
وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب **فان قلت** لي في
قوله اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والكلام بدونه مستتب قلت قد ابهم الكلام
اولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما
فكان آكد لطلب الشرح والتيسير من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج
لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل عن ابن عباس كان في لسانه رتة
لما روي من حديث الجمرة ويروى ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها
فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن
بعضهم انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة
واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله
ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلعم ورثها
من عمه موسى وقيل زال ذلك لقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وفي تنكير العقدة وان لم يقل
عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان يفقه عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة
ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني الوزير من الوزر لانه يتحمل اوزاره
ومؤنته او من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلجئ اليه اموره او من الموازرة وهي المعاونة
عن الاصمعي قال وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى
مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في اخيه
قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر واخواته والى الموازرة
ووزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل لي قدم ثانيهما على الاول عناية بامر الوزارة

لصدره وامره صح

عن الكمال صح

أولي ووزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير وأخي في الوجهين بدل من هرون وإن
جعل عطف بيان آخر جاز وحسن قرئ واجعلنا أشدد وأشركه على الدعاء وابن عامر
وحده أشدد وأشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود أخي واشدد وعن أبي
بن كعب أشركه في أمري واشدد به أزري ويجوز فيمن قرأ على لفظ الأمر أن يجعل أخي مرفوعا
على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هرون الأزر القوة وآزره قواه أي اجعله
شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فإن التعاون لأنه مهيج الرغبات
يتزايد به الخير ويتكاثر إنك كنت بنا بصيرا أي عالما بأحوالنا وبأن التعاضد مما
يصلحنا وأن هرون نعم المعين والشاد لعضدي فإنه أكبر مني سنا وأفصح لسانا قال
قد أوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة أخرى إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى
أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي
وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني إذ تمشي أختك فتقول هل
أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا
فنجيناك من الغم وفتناك فتونا السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز
بمعنى مخبوز وأكل بمعنى مأكول الوحي إلى أم موسى إما أن يكون على لسان نبي في وقتها
كقوله وإذ أوحيت إلى الحواريين أو يبعث إليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث إلى مريم
أو يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه أو يلهمها كقوله وأوحى ربك إلى النحل أي أوحينا إليها
أمرا لا سبيل إلى التوصل إليه ولا إلى العلم به إلا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب أن
يوحى ولا يخل به أي هو مما يوحى لا محالة وهو أمر عظيم مثله يحق بأن يوحى أن هي المفسرة
لأن الوحي بمعنى القول القذف مستعمل في معنى الإلقاء والوضع ومنه قوله تعالى
وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك والرمي قال

غلام رماه الله بالحسن يافعا ... له سيمياء لا تشق على البصر

أي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها إليه
وبعضها إلى التابوت فيه هجنة لما يؤدي إليه من تنافر النظم **فإن قلت**
المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى إلى الساحل قلت ما ضرك لو قلت المقذوف
والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو
أم إعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر
لما كانت مشيئة الله وإرادته أن لا تخطى جرية ماء اليم الوصول به إلى الساحل وإلقاءه فيه
سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كأنه ذو تمييز أمر بذلك ليطيع الأمر ويمتثل رسمه
فقيل فليلقه اليم بالساحل روي أنها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه

وجصصته

وجصصته وقيرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير فبينا
هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فإذا صبي أصبح الناس
وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه وظاهر اللفظ أن البحر ألقاه
بساحله وهو شاطئه لأن الماء يسحله أي يقشره وقذف به ثمة فالتقط من الساحل إلا أن
يكون قد ألقاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم أداه النهر إلى حيث
البركة مني لا يخلو إما أن يتعلق بألقيت فيكون المعنى على أني أحببتك ومن أحبه
الله أحبته القلوب وإما أن يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة أي محبة حاصلة أو واقعة
مني قد ركزتها أنا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك يروى
أنه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يصبر عنه من رآه على عيني لتربى
ويحسن إليك وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به وتقول
للصانع اصنع هذا على عيني أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي ولتصنع
معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترام ونحوه أو حذف معلله أي ولتصنع
فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر وقرئ ولتصنع بفتح
التاء والنصب أي وليكون عملك وتصرفك على عين مني العامل في إذ تمشي ألقيت أو
تصنع ويجوز أن يكون بدلا من إذ أوحينا **فإن قلت** كيف يصح البدل و
الوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وإن اتسع الوقت وتباعد طرفاه أن يقول
لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وأنا لقيته إذ ذاك وربما لقيه هو في أولها وأنت
في آخرها يروى أن أخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة
يقبل ثديها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل أدلكم فجاءت بالأم فقبل ثديها
ويروى أن آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي أشفقت عليه وطلبت له المراضع
وقتلت نفسا هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي قتله وهو ابن ثنتي عشرة
سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره
حين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون أن ينشب به أظفاره حين هاجر به
إلى مدين فتونا يجوز أن يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور
والكفور وجمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كحجوز وبدور في حجزة
وبدرة أي فتناك ضروبا من الفتن وسأل سعيد بن جبير ابن عباس فقال خلصناك من
محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير وألقته
أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق
وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة فكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير

المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال تعالى ونبلوكم بالشر
والخير فتنة ك عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام
وفتناك فتونا فسألته عن الفتون ما هو فقال استأنف النهار يا ابن جبير فان لها حديثا
طويلا فلما اصبحت غدوت الى ابن عباس لانتجز منه ما وعدني من حديث الفتون فقال
تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد ابرهيم عليه السلام ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فقال
بعضهم ان بني اسرائيل ينتظرون ذلك ما يشكون فيه وكانوا يظنون انه يوسف بن يعقوب
فلما هلك قالوا ليس هكذا كان وعد ابرهيم فقال فرعون فكيف ترون فأتمروا واجمعوا
امرهم على ان يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا
ذكرا الا ذبحوه ففعلوا ذلك فلما رأوا ان الكبار من بني اسرائيل يموتون بآجالهم والصغار
يذبحون قالوا يوشك ان تفنوا بني اسرائيل فتصيروا الى ان تباشروا من الاعمال والخدمة
الذي كانوا يكفونكم فاقتلوا عاما كل مولود ذكر فيقل ابناؤهم ودعوا عاما فلا
تقتلوا منهم فيشب الصغار مكان من يموتون من الكبار فانهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم
فتخافوا مكاثرتهم اياكم ولن يفنوا بمن تقتلون وتحتاجون اليهم فاجمعوا امرهم على ذلك فحملت
ام موسى بهرون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة فلما كان من
قابل حملت بموسى عليه السلام فوقع في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير ما دخل
عليه في بطن امه مما يراد به فاوحى الله اليها ان لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه
من المرسلين فامرها اذا ولدته ان تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم فلما ولدته فعلت
ذلك فلما توارى عنها ابنها اتاها الشيطان فقالت في نفسها ما فعلت بابني لو ذبح عندي
فواريته وكفنته كان احب الي من ان القيه الى دواب البحر وحيتانه فانتهى به الماء حتى
اوفى به عند فرضة مستقى جواري امرأة فرعون فلما رأينه اخذنه واردن ان يفتحن
التابوت فقال بعضهن ان في هذا مالا وانا ان فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا
فيه فحملنه كهيئته لم يخرجن منه شيئا حتى دفعنه اليها فلما فتحته رأت فيه غلاما فالقي عليه
منها محبة لم يلق مثلها على احد قط واصبح فؤاد ام موسى فارغا من ذكر كل شيء الا من
ذكر موسى فلما سمع الذباحون بامره اقبلوا بشفارهم الى امرأة فرعون ليذبحوه وذلك
من الفتون يا ابن جبير فقالت لهم اقروه فان هذا الواحد لا يزيد في بني اسرائيل حتى آتي فرعون
فاستوهبه منه فان وهبه مني كنتم قد احسنتم واجملتم وان امر بذبحه لم الومكم فاتت
فرعون فقالت قرة عين لي ولك فقال فرعون يكون لك فاما لي فلا حاجة لي فيه فقال رسول
الله صلعم والذي يحلف به لو اقر فرعون ان يكون قرة عين له كما اقرت امرأته لهداه الله
كما هداها ولكن حرمه ذلك فارسلت الى من حولها الى كل امرأة لها لبن لتختار له ظئرا

فجعل

فجعل كلما اخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل على ثديها حتى اشفقت امرأة فرعون ان
يمتنع من اللبن فيموت فاحزنها ذلك فامرت به فاخرج الى السوق ومجمع الناس ترجو
ان تجد له ظئرا تأخذه منها فلم يقبل واصبحت ام موسى والها فقالت لاخته قصيه واطلبيه
هل تسمعين له ذكرا أحي ابني ام قد اكلته الدواب ونسيت ما كان الله وعدها فيه فبصرت
به اخته عن جنب وهم لا يشعرون والجنب ان يسمو بصر الانسان الى شيء بعيد وهو الى جنبه لا
يشعر به فقالت من الفرح حين اعياهم الظؤورات انا ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم
وهم له ناصحون فاخذوها فقالوا ما يدريك ما نصحهم هل يعرفونه حتى شكوا في ذلك وذلك
من الفتون يا ابن جبير فقالت نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في ظهر الملك ورجاء منفعة
الملك فتركوها فانسلت فانطلقت الى امه فاخبرتها الخبر فجاءت امه فلما وضعته في حجرها
نزا الى ثديها فمصه حتى امتلأ جنباه ريا وانطلق البشير الى امرأة فرعون يبشرها ان
قد وجدنا لابنك ظئرا فارسلت اليها فاتيت بها وبه فلما رأت ما يصنع بها قالت امكثي
ترضعي ابني هذا فاني لم احب شيئا حبه قط قالت ام موسى لا استطيع ان ادع بيتي وولدي
فيضيع فان طابت نفسك ان تعطينيه فاذهب به الى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرا فعلت
فاني غير تاركة بيتي وولدي وذكرت ام موسى ما كان الله وعدها فيه فتعاسرت على امرأة
فرعون وايقنت ان الله منجز موعوده فرجعت الى بيتها من يومها وانبته الله نباتا حسنا
وحفظ لما قد قضى فيه فلم يزل بنو اسرائيل وهم في ناحية القرية ممتنعين من السخرة والظلم
ما كان فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لام موسى احب ان تريني ابني فوعدتها يوما
تزيرها اياه فيه وقالت امرأة فرعون لخزانها وقهارمتها لا يبقين احد منكم الا استقبل
ابني اليوم بهدية وكرامة لارى ذلك فيه وانا باعثة امينا يحصي كلما يصنع كل انسان منكم فلم تزل
الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت امه الى ان دخل على امرأة فرعون
فلما دخل عليها نحلته واكرمته وفرحت به ونحلت امه لحسن اثرها عليه ثم قالت لآتين به
فرعون فلينحلنه وليكرمنه فلما دخلت به عليه جعله في حجره فتناول موسى لحية فرعون
فمدها الى الارض فقال الغواة من اعداء الله لفرعون الا ترى الى ما وعد الله ابرهيم
نبيه انه زعم انه يرثك ويعلوك ويصرعك فارسل الى الذباحين ليذبحوه وذلك
من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلي به واريد به فتونا فجاءت امرأة فرعون فقالت
ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي فقال الا تريه يزعم انه يصرعني ويعلوني
فقالت اجعل بيني وبينك امرا تعرف فيه الحق ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن اليه
فان بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت انه يعقل وان تناول الجمرتين ولم يرد
اللؤلؤتين علمت ان احدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فقربه اليه فتناول

الجزع بين فينا ولوهما منه مخافة ان يحرقا بعده فقالت المراة الا ترى فص فه الله عنه بعد
ما كان قد هم به وكان امه بالعافية امره فلما بلغ اشده وكان من الرجال لم يكن احد
من ال فرعون يخلص الى احد من بني اسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع
فبينما موسى عليه السلام في ناحية المدينة اذا هو برجلين يقتتلان احدهما فرعوني والاخر
اسرائيلي فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوني فغضب موسى غضبا شديدا لانه تناوله وهو
يعلم منزلته من بني اسرائيل وحفظه لهم لا يعلم الناس الا انما ذلك من الرضاع الا ام موسى
الا ان يكون الله اطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره فوكز موسى الفرعوني
فقتله وليس يراهما الا الله عز وجل والاسرائيلي فقال موسى حين قتل الرجل هذا
من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو
الغفور الرحيم فاصبح في المدينة خائفا يترقب الاخبار فاتى فرعون فقيل له ان بني اسرائيل
قتلوا رجلا من ال فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فقال ابغوني قاتله ومن يشهد عليه
فان الملك وان كان صفوه مع قومه لا يستقيم له ان يقيد بغير بينة فاطلبوا لي علم ذلك
(في الهامش: ولا ثبت صح)
اخذ لكم بحقكم فبينما هم يطوفون لا يجدون ثبتا ولا بينة اذا موسى من الغد قد راى
ذلك الاسرائيلي وهو يقاتل رجلا من ال فرعون فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوني
فصادف موسى قد ندم على ما كان منه وكره الذي راى فغضب للاسرائيلي وهو يريد
ان يبطش بالفرعوني فقال للاسرائيلي لما فعل بالامس واليوم انك لغوي مبين فنظر
الاسرائيلي الى موسى بعدما قال له ما قال فاذا هو غضبان كغضبه بالامس الذي قتل
فيه الفرعوني فخاف ان يكون بعدما قال له انك لغوي مبين ان يكون اياه اراد ولم يكن
اراده انما اراد الفرعوني فخاف الاسرائيلي فقال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس
وانما قال له مخافة ان يكون اياه اراد موسى ليقتله فتتاركا فانطلق الفرعوني فاخبرهم بما
سمع من الاسرائيلي من الخبر حين يقول اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس فارسل
فرعون الذباحين ليقتلوا موسى فاخذ رسل فرعون الطريق الاعظم يمشون على هيئتهم
يطلبون موسى × عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين
تذودان يعني حابستين غنمهما فقال لهما ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس
قالتا ليس لنا قوة نزاحم القوم وانما ننتظر فضول حياضهم فسقى لهما فجعل يغترف
في الدلو ماء كثيرا حتى كان اول الرعاء × وانصرفتا بغنمهما الى ابيهما وانصرف موسى عليه السلام
فاستظل بشجرة وقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير واستنكر ابوهما سرعة صدورهما
بغنمهما حفلا بطانا فقال ان لكما اليوم لشانا فاخبرتاه بما صنع موسى فامر احداهما

تدعوه فاتت موسى فدعته فلما كلمه قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس لفرعون
ولا لقومه علينا سلطان ولسنا في مملكته فقالت احداهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت
القوي الامين فاحتملته الغيرة على ان قال لها ما يدريك ما قوته وما امانته قالت اما
قوته فما رايت منه في الدلو حين سقى لنا لم ار رجلا قط اقوى في ذلك السقي منه واما الامانة
فانه نظر الي حين اقبلت اليه وشخصت له فلما علم اني امراة صوب راسه فلم يرفعه حتى
بلغته رسالتك ثم قال لي امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلم يفعل هذا الا وهو امين فسري
عن ابيها وصدقها وظن به الذي قالت فقال له هل لك ان انكحك احدى ابنتي هاتين
على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني
ان شاء الله من الصالحين ففعل فكانت على نبي الله موسى ثماني حجج واجبة وكانت سنتان عدة
منه فقضى الله عنه عدته فاتمها عشرا فلما سار موسى باهله كان من امر النار والعصا
واليد ما قص الله عليك في القران فشكا الى الله تعالى ما يتخوف من ال فرعون في القتيل
وعقدة لسانه فانه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسال ربه ان
يعينه باخيه هارون يكون له ردءا ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فاتاه الله سؤله
وحل عقدة من لسانه واوحى الله الى هارون وامره ان يلقاه فاندفع موسى بعصاه
حتى لقي هارون عليهما السلام فانطلقا جميعا الى فرعون فاقاما على بابه حينا لا يؤذن
لهما ثم اذن لهما بعد حجاب شديد فقالا انا رسولا ربك قال فمن ربكما فاخبراه بالذي
قص الله عليك في القران قال فما تريدان وذكره القتيل فاعتذر اليه بما قد سمعت
قال اريد ان تؤمن بالله وترسل معي بني اسرائيل فابى عليه وقال ائت باية ان كنت من الصادقين
فالقى عصاه فاذا هي حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة الى فرعون فلما راها فرعون قاصدة
اليه خافها فاقتحم عن سريره واستغاث بموسى ان يكفها عنه ففعل ثم اخرج يده من جيبه
فراها بيضاء من غير سوء يعني من غير برص ثم ردها فعادت الى لونها الاول
فاستشار الملا حوله فيما راى فقالوا له هذان ساحران يريدان ان يخرجاكم من
ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش وابوا
على موسى ان يعطوه شيئا مما طلب وقالوا له اجمع لهما السحرة فانهم بارضك كثير حتى تغلب
بسحرك سحرهما فارسل الى المدائن فحشر له كل ساحر متعالم فلما اتوا فرعون قالوا
بم يعمل هذا الساحر قالوا بالحيات قالوا فلا والله ما احد في الارض يعمل بالسحر
بالحيات والحبال والعصي الذي نعمل وما اجرنا ان نحن غلبنا قال لهم انتم اقاربي
وخاصتي وانا صانع اليكم كل شيء احببتم فتواعدوا يوم الزينة وان يحشر الناس
ضحى قال سعيد فحدثني ابن عباس ان يوم الزينة اليوم الذي اظهر الله فيه موسى على

فرعون والسحرة هو يوم عاشورا فلما اجتمعوا في صعيد قال الناس بعضهم لبعض انطلقوا
فلنحضر هذا الامر لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين يعنون موسى وهرون
استهزا بهما فقالوا لموسى لنقذف بسحرهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين
قال بل القوا فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فراى موسى
من سحرهم ما اوجس منه في نفسه خيفة فاوحى الله اليه ان الق عصاك فلما القاها
صارت ثعبانا عظيما فاغرة فاها فجعلت العصي تلتبس بالحبال حتى صارت جرزا على الثعبان
تدخل فيه حتى ما ابقت عصا ولا حبلا الا ابتلعته فلما عرف السحرة ذلك قالوا لو كان
هذا سحرا لم يبلغ من سحرنا كل هذا ولكنه امر من الله عز وجل آمنا بالله وبما جاء به موسى
ونتوب الى الله مما كنا عليه فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن واشياعه وظهر الحق
وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وامراة فرعون بارزة متبذلة
تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون واشياعه فمن راها من ال فرعون ظن انها ابتذلت
للشفقة على فرعون واشياعه وانما كان حزنها وهمها لموسى فلما طال مكث موسى
لمواعيد فرعون الكاذبة كلما جاء باية وعده عندها ان يرسل معه بني اسرائيل فاذا مضت
اخلف موعده وقال هل يستطيع ربك ان يصنع غير هذا فارسل الله على قومه الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات كل ذلك يشكو الى موسى ويطلب
اليه ان يكفها عنه ويواعده على ان يرسل معه بني اسرائيل فاذا كف ذلك عنه اخلف
موعده ونكث عهده حتى امر موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلا فلما اصبح فرعون
وراى انهم قد مضوا ارسل في المداين حاشرين فتبعه بجنود عظيمة كثيرة واوحى الله
الى البحر اذا ضربك عبدي موسى بعصاه فانفلق اثنتي عشرة فرقة حتى يجوز موسى
ومن معه ثم التق على من بقي بعد من فرعون واشياعه فنسي موسى ان يضرب البحر
بالعصى وانتهى الى البحر وله قصيف مخافة ان يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير
عاصيا لله فلما تراءى الجمعان وتقاربا قال اصحاب موسى انا لمدركون افعل ما امرك
به ربك فانه لم يكذب ولم تكذب قال وعدني ربي اذا اتيت البحر انفرق اثنتي عشرة فرقة
حتى اجاوزه ثم ذكر العصا فضرب البحر بعصاه حين دنى اوايل جند فرعون من
اواخر جند موسى فانفرق البحر كما امره ربه وكما وعد موسى واصحابه كلهم فلما ان جاوز
موسى واصحابه البحر قال اصحاب موسى قالوا انا نخاف ان لا يكون فرعون غرق ولا نؤمن
بهلاكه ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها
كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون ان هولاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قد
رايتم من العبر وسمعتم ما يكفيكم ومضى فانزلهم موسى منزلا وقال اطيعوا هرون

ودخل فرعون واصحابه كلهم البحر فلما عاودوا من البحر الخروج انطبق عليهم

فاني

فاني قد استخلفته عليكم فاني ذاهب الى ربي واجلهم ثلثين يوما ان يرجع اليهم فيها فلما اتى ربه
واراد ان يكلمه في ثلثين يوما وقد صامهن ليلهن ونهارهن وكره ان يكلم ربه وريح فيه
ريح فم الصايم فتناول موسى من نبات الارض شيا فمضغه فقال له ربه حين اتاه لم افطرت
وهو اعلم بالذي كان قال يا رب اني كرهت ان اكلمك الا وفي طيب الريح قال او ما علمت يا موسى
ان ريح فم الصايم اطيب من ريح المسك ارجع فصم عشرا ثم ائتني ففعل موسى عليه السلم ما
امره به فلما راى قوم موسى انه لم يرجع اليهم في الاجل ساءهم ذلك وكان هرون قد
خطبهم وقال انكم قد خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عواري وودايع ولكم فيهم مثل
ذلك وانا ارى ان تحتسبوا ما لكم عندهم ولا احل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية ولسنا
برادين اليهم شيا من ذلك ولا ممسكيه لانفسنا فحفر حفيرا وامر كل قوم عندهم من ذلك
من متاع او حلية ان يقذفوه في ذلك الحفير ثم اوقد عليه النار فاحرقه فقال لا يكون
لنا ولا لهم وكان السامري من قوم يعبدون البقر جيران لبني اسرائيل لم يكن من بني
اسرائيل فاحتمل مع موسى وبني اسرائيل حين احتملوا فقضي له ان راى اثرا فقبض منه
قبضة فمر بهرون فقال له هرون يا سامري الا تلقي ما في يدك وهو قابض عليه لا يراه
احد طوال ذلك فقال هذه قبضة من اثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا القيها لشيء
الا ان تدعو الله اذا القيتها ان يكون ما اريد فالقاها ودعا له هرون فقال اريد ان يكون
عجلا فاجتمع ما كان في الحفيرة من متاع او حلية او نحاس او حديد فصار عجلا اجوف
ليس فيه روح له خوار قال ابن عباس لا والله ما كان له صوت قط انما كان الريح تدخل
في دبره وتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك فتفرق بنو اسرائيل فرقا فقالت فرقة
يا سامري ما هذا وانت اعلم به قال هذا ربكم ولكن موسى اضل الطريق فقالت فرقة لا
نكذب بهذا حتى يرجع الينا موسى فان كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رايناه
فانا نتبع قول موسى وقالت فرقة هذا عمل الشيطان وليس بربنا ولن نؤمن به ولا نصدق
واشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل واعلنوا التكذيب به فقال
لهم هرون يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن قالوا فما بال موسى وعدنا ثلثين يوما
ثم اخلفنا هذه اربعون يوما قد مضت فقال سفهاؤهم اخطا ربه فهو يطلبه ويتبعه
فلما كلم الله موسى وقال له ما قال اخبره بما لقي قومه من بعده فرجع الى قومه غضبان
اسفا فقال لهم ما سمعت في القران واخذ براس اخيه يجره اليه والقى الالواح من
الغضب ثم انه عذر اخاه بعذره واستغفر له فانصرف الى السامري فقال له ما حملك
على ما صنعته قال قبضت قبضة من اثر الرسول وفطنت لها وعميت عليكم فقذفتها وكذلك
سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه

وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا فلو كان الها
لم تخلص الى ذلك منه فاستيقن بنو اسرائيل بالفتنة واغتبط الذين كان رأيهم
فيه مثل رأي هرون فقالوا لجماعتهم يا موسى سل لنا ربك ان يفتح لنا باب توبة نصنعها
فيكفر عنا ما عملنا فاختار موسى قومه سبعين رجلا لذلك لا يألوا الخير خيار بني
اسرائيل ومن لم يشرك في العجل فانطلق بهم يسأل لهم التوبة فرجفت بهم الارض
فاستحيا نبي الله من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل فقال لو شئت اهلكتهم
من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا وفيهم من كان الله اطلع منه على ما اشرب
قلبه من حب العجل وايمان به فلذلك رجفت بهم الارض فقال رحمتي وسعت كل شيء
فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين
يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
فقال يا رب سألتك التوبة لقومي فقلت ان رحمتي كتبتها لقوم غير قومي فليتك اخرتني
حتى تخرجني في امة ذلك الرجل المرحومة فقال ان توبتهم ان يقتل كل رجل منهم من لقي
من والد وولد فيقتله بالسيف لا يبالي من قتل في ذلك الموطن وتاب اولئك الذين
كان خفي على موسى وهرون ما اطلع الله عليه من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما
امروا وغفر الله للقاتل والمقتول ثم سار بهم موسى متوجها نحو الارض المقدسة
واخذ الالواح بعد ما سكت عنه الغضب فامرهم بالذي امر به ان يبلغهم من
الوظائف فثقل ذلك عليهم وابوا ان يقروا بها فنتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ودنا
منهم حتى خافوا ان يقع عليهم فاخذوا الكتاب بايمانهم وهم مصغون ينظرون الى
الجبل والكتاب بايديهم وهم من وراء الجبل مخافة ان يقع عليهم ثم مضوا حتى اتوا
الارض المقدسة فوجدوا مدينة فيها قوم جبارون خلقهم خلق منكر وذكر من ثمارهم
امرا عجيبا من عظمها فقالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين لا طاقة لنا بهم ولا ندخلها
ما داموا فيها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون
قيل ليزيد هكذا قرأه قال نعم من الجبارين آمنا بموسى وخرجا اليه فقالا نحن اعلم
بقومنا ان كنتم انما تخافون ما رأيتم من اجسامهم وعددهم فانهم لا قلوب لهم
ولا منعة عندهم فادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون ويقول
اناس انهما من قوم موسى فقال الذين يخافون بني اسرائيل قالوا يا موسى انا لن
ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فاغضبوا
موسى فدعا عليهم وسماهم فاسقين ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى من المعصية
واساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب الله له وسماهم كما سماهم فاسقين فحرمها عليهم

اجسامهم

اربعين

اربعين سنة يتيهون في الارض يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار ثم ظلل عليهم الغمام
في التيه وانزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين ظهرانيهم
حجرا مربعا وامر موسى فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية ثلاث
اعين واعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها فلا يرتحلون من منقلة الا وجدوا ذلك
الحجر منهم بالمكان الذي كان فيه بالامس رفع ابن عباس هذا الحديث الى النبي صلعم
وصدق ذلك عندي ان معوية سمع ابن عباس حدث هذا الحديث فانكر عليه ان يكون
الفرعوني الذي افشى على موسى امر القتيل الذي قتل فقال كيف يفشي عليه ولم يكن علم به
ولا ظهر عليه الا الاسرائيلي الذي حضر ذلك فغضب ابن عباس فاخذ بيد معوية فانطلق
به الى سعد بن مالك الزهري فقال له يا ابا اسحق هل تذكر يوم حدثنا رسول الله صلعم
عن قتيل موسى الذي قتل من آل فرعون الاسرائيلي الذي افشى عليه ام الفرعوني
قال افشى عليه الفرعوني بما سمع الاسرائيلي يشهد على ذلك وحضره هكذا رواه الامام
النسائي في السنن الكبرى واخرجه ابو جعفر بن جرير وابن ابي حاتم في تفسيريهما كلهم
من حديث يزيد بن هرون به وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع الا
قليل منه وكانه تلقاه ابن عباس مما ابيح نقله من الاسرائيليات عن كعب الاحبار او
غيره والله اعلم **فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك
لنفسي اذهب انت واخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى** مدين على ثماني مراحل من مصر وعن وهب
انه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى وفى الاجلين اي سبق
في قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على
ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء
وهو رأس اربعين سنة هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم
مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص اهلا لئلا يكون احد اقرب
منزلة منه اليه ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا
يبصر ولا يسمع الا بعينه واذنه ولا يأتمن على مكنون سره الا سواء ضميره
الونى الفتور والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تنسياني
ولا ازال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون
والتأييد مني معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر
تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها
فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر روي ان الله اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى

وقيل شيخ بقيله وقيل الهم الى ذلك فقولا له قولا لينا بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى
هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض
ما فيه الفوز العظيم ثم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت
وان يبقى له لذة المطعم والمشرب والمأكل والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا
له في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة وقيل كنياه وهو من
ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة والترجي لهما اي اذهبا على
رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه
فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن
الزام الحجة وقطع المعذرة ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك اي يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه و
الاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر كما يصفان فتجره انكاره الى الهلكة ك
وههنا نذكر شعر زيد بن عمرو بن نفيل ويروى لامية بن ابي الصلت فيما ذكره ابن اسحق

وانت الذي من فضل منّ ورحمة بعثت الى موسى رسولا مناديا
فقلت له يا اذهب وهرون فادعوا الى الله فرعون الذي كان باغيا
فقولا له آانت سويت هذه بلا وتد حتى استقرت كما هيا
وقولا له آانت رفعت هذه بلا عمد ارفق اذا بك بانيا
وقولا له آانت سويت وسطها منيرا اذا ما جنه الليل هاديا
وقولا له من يطلع الشمس بكرة فيصبح ما مست من الارض ضاحيا
وقولا له من ينبت البقل في الثرى فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه في رؤوسه ففي ذاك آيات لمن كان واعيا

قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى
فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية
من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد اوحي الينا ان العذاب على من
كذب وتولى فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق
الخيل اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ يفرط من افرطه غيره اذا
حمله على العجلة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان او من جبروته
واستكباره وادعائه الربوبية او من حبه الرياسة او من قومه القبط المتمردين
الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ من قوم فرعون وقرئ
يفرط من الافراط في الاذية اي نخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة

اوان يجاوز

اوان يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم يعاجل بناء على ما عرفا وجربا من شرارته وعتوه
اوان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء
به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه
بالعظيمة ح ترى ابهما لم يذكر ما تعلق بيطغى وهو عليك وذكر متعلق يفرط وهو علينا
اجلالا لله عز وجل م ف معكما حافظكما وناصركما اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من
قول وفعل فافعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما فجايز ان تقدر اقوالكم وافعالكم وجايز
ان لا تقدر شيئا وكانه قيل انا حافظ لكما وناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر
كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو ثم كانت بنو اسرائيل في ملكة فرعون
والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في
كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء قد جئناك باية من ربك جملة جارية من الجمل
الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها
التي هي المجيء بالاية انما وحد قوله باية ولم يثن ومعه ايتان لان المراد في هذا الموضع
تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قيل قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه
من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت باية ان كنت من الصادقين او
لو جئتك بشيء مبين يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة
النار والعذاب على المكذبين ك وذكر محمد بن اسحق بن يسار ان موسى واخاه هرون
خرجا فوقفا بباب فرعون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان انا رسولا رب العالمين
فاذنوا بنا هذا الرجل فمكثا فيما بلغني سنتين يغدوان ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترئ
احد ان يخبره بشانهما حتى دخل عليه رجل بطال له يلاعبه ويضحكه فقال له ايها الملك
ان على بابك رجلا يقول قولا عجيبا يزعم ان له الها غيرك ارسله اليك قال ببابي قال نعم
قال ادخلوه فدخل ومعه اخوه هرون وفي يده عصاه فلما وقف على فرعون قال
اني رسول رب العالمين فعرفه فرعون فقال له السلام على من اتبع الهدى اي والسلام
عليك ان اتبعت الهدى ولهذا لما كتب رسول الله صلعم الى هرقل عظيم الروم كتابا
كان اوله بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام
على من اتبع الهدى اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وكذلك لما كتب مسيلمة
الى رسول الله صلعم كتابا صورته من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله سلام
عليك اما بعد فاني قد اشركت في الامر معك فلك المدر ولي الوبر ولكن قريشا
قوم يعتدون فكتب اليه رسول الله صلعم من محمد رسول الله صلعم الى مسيلمة الكذاب
سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة

فلما قال من ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى قال فما
بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى خاطب
الاثنين ووجه النداء الى احدهما وهو موسى لانه الاصل في النبوة وهرون وزيره
وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه ودعارته على استدعا كلام موسى دون كلام اخيه لما
عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا
الذي هو مهين ولا يكاد يبين خلقه اول مفعولي اعطى اي اعطى خليقته كل شي يحتاجون
اليه ويرتفقون به او ثانيهما اي اعطى كل شي صورته وشكله الذي يطابق
المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي
يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق
لما علق به من المنفعة غير ناب عنه او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث
حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمراة لم يزاوج شيا منها
غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرى خلقه صفة للمضاف او للمضاف اليه اي كل شي
خلقه الله لم يخله من اعطايه وانعامه ثم هدى اي عرفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف
يتوصل اليه ولله در هذا الجواب ما اخصره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن ونظر
بعين الانصاف وكان طالبا للحق سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن
شقي من شقي منهم وسعادة من سعد فاجابه بان هذا السوال عن الغيب وقد
استاثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام
الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب عنده في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله ان
يخطى شيا او ينساه تقال ضللت الشي اذا اخطاته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت
الطريق والمنزل وقرى يضل من اضله اذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك من كفر
به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز ان يكون فرعون قد نازعه
في احاطة الله بكل شي وتبينه لكل معلوم فتعنت فقال ما تقول في سوالف القرون
وتمادي كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وباجزائهم وجواهرهم
فاجاب بان كل كاين محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطا
والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضييل اي لا يضل كما تضل
انت ولا ينسى كما تنسى انت يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة الذي جعل لكم
الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا
من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى منها خلقناكم
وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى

الذي

الذي جعل مرفوع صفة لربي او خبر مبتدا محذوف او منصوب على المدح وهذا من
مقالة موسى ومجاز فيهم مهدا قراة اهل الكوفة اي مهدها مهدا او تتمهدونها فهي
لكم كالمهد وهو ما يمهد للصبي سلك من قوله تعالى ما سلككم في سقر كذلك سلكناه
نسلكه في قلوب المجرمين اي جعل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية و
البراري فاخرجنا به ازواجا انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من
الافتنان وللايذان بانه مطاع تنقاد الاشيا المختلفة لامره وتذعن الاجناس
المتفاوتة لمشيته لا يمتنع شي على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء
ماء فاخرجنا به نبات كل شي الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا
الوانها امن خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات
بهجة وفيه وجه تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد
ازواجا اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض من شتى صفة
للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات والنبات مصدر
سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع
والطعم واللون والرايحة بعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهايم قالوا من نعمته
تعالى ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل علفها مما يفضل عن حاجتهم
ولا يقدرون على اكله اي قايلين كلوا وارعوا حال من الضمير في فاخرجنا المعنى
اخرجنا اصناف النبات اذنين في الانتفاع بها مبيحين ان ياكلوا بعضها ويعلفوا بعضها
اذ ارد نخلقكم من الارض خلق اصلهم وهو ادم عليه السلام منها وقيل ان الملك لينطلق فياخذ
من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا
واذا بالاخراج انهم الله يولف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احيا
ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله تعالى عليهم ما علق
بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك
يترددون فيها كيف شاوا وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلوفات
بهايمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم
اذا ماتوا ومن ثمة قال رسول الله صلعم تمسحوا بالارض فانها بكم برة اريناه بصرناه
او عرفناه صحتها وتيقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما انزل هولا الا رب السموات والارض بصاير
وفي قوله اياتنا كلها وجهان احدهما ان يحذى بهذا التعريف الاضافي حذو التعريف باللام
لو قيل الايات كلها اعني انها كانت لا تعطي الا تعريف العهد والاشارة الى الايات المعلومة

والشكل هم

التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل
والضفادع والدم ونتق الجبل ح قيل نتق الجبل والحجر غير مناسب لأنهما من الآيات
التي اختص بها بنو إسرائيل بعد هلاك فرعون وفي رواية ابن عباس والعقدة التي
كانت بلسانه فحلّها وفي رواية عكرمة والسنون ونقص من الثمرات وفي رواية محمد بن كعب
الطمس ف والثاني أن يكون موسى قد أراه آياته وعدد عليه ما أوتيه غيره من الأنبياء
من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به ح
أي بحاضرته لأمته فكذب بها جميعاً وأبى أن يقبل شيئاً منها وقيل فكذب الآيات وأبى قبول
الحق ك وفي الحديث الذي في السنن أن رسول الله صلعم حضر جنازة فلما دفن الميت
أخذ قبضة من التراب فألقاها في القبر وقال منها خلقناكم ثم أخرى وقال وفيها نعيدكم
ثم أخرى وقال ومنها نخرجكم تارة أخرى **قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى
فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى قال
موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى** يلوح من جيب قوله أجئتنا لتخرجنا
من أرضنا بسحرك يا موسى أن فرائصه كانت ترعد خوفاً مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه وإيقانه
أنه على الحق وأن المحق لو أراد قود الجبال لانقادت له وأن مثله لا يخذل ولا يقل ناصره
وأنه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير وإلا فكيف يخفى عليه أن ساحراً
لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر ح لا يخلو الموعد في قوله اجعل
بيننا وبينك موعداً من أن يجعل زماناً أو مكاناً أو مصدراً فإن جعلته زماناً نظراً في أن
قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان أن تجعل الزمان مخلفاً وأن يعضل عليك ناصب
مكاناً وإن جعلته مكاناً لقوله مكاناً سوى لزمك أيضاً أن توقع الإخلاف على المكان وأن
لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له زماناً ومكاناً جميعاً لأنه
قرأ يوم الزينة بالنصب ح والزمان والمكان لا ينتصبان ده مت فبقي أن يجعل مصدراً بمعنى
الوعد ويقدر مضاف محذوف أي مكان موعدكم ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكاناً
بدل من المكان المحذوف **فإن قلت** كيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة
ولا بد من أن تجعله زماناً والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان **قلت** هو مطابق
معنى وإن لم يطابق لفظاً لأنه لا بد لهم من أن يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر
باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان وأما قراءة الحسن فالموعد فيها
مصدر لا غير والمعنى إنجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا أيضاً من طريق المعنى ويجوز
أن لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعداً لا نخلفه **فإن
قلت** فبم ينتصب مكاناً قلت بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر **فإن قلت**

كيف

كيف طابقه الجواب **قلت** أما على قراءة الحسن فظاهر وأما على قراءة العامة فعلى تقدير
وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت
وضحى خبره على نية التعريف لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة يوم
عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقاً
ويتزينون ذلك اليوم قرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الأمر
وقرئ سِوى وسُوى بالكسر والضم منوناً وغير منون ومعناه منصفاً بيننا وبينك
عن مجاهد وهو من الاستواء لأن المسافة إلى الوسط من الطرفين مستوية لا تفاوت
فيها ومن لم ينون فوجهه أن يجري الوصل مجرى الوقف قرئ وأن تحشر الناس بالتاء
والياء يريد وأن تحشر يا فرعون وأن يحشر اليوم ويجوز أن يكون فيه ضمير فرعون
ذكره بلفظ الغيبة إما على العادة التي يخاطب بها الملوك أو خاطب القوم بقوله موعدكم
يوم الزينة وجعل يحشر لفرعون ومحل أن يحشر الرفع أو الجر عطفاً على اليوم أو الزينة
وإنما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق
الباطل على رؤوس الأشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل
حد المبطلين وأشياعهم ويكثر المحدث بذلك الأمر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في
جميع أهل الوبر والمدر **فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسى ويلكم
لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم
بينهم وأسروا النجوى قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم
بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفاً وقد أفلح اليوم من
استعلى** لا تفتروا على الله كذباً لا تدعوا آياته ومعجزاته سحراً وقرئ فيسحتكم والسحت
لغة أهل الحجاز والإسحات لغة أهل نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحتاً أو مجلف

في بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية إعرابه ح فقيل راعى الفرزدق صورة لم يدع
حيث نصب به مسحتاً وراعى معناه حيث رفع به مجلفاً لأن معنى لم يدع لم يبق فجمع بين
اعتباري اللفظ والمعنى وقيل غير ذلك ف عن ابن عباس إن نجواهم إن غلبنا موسى
اتبعناه وعن قتادة إن كان ساحراً فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمر وعن وهب
لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر أنهم تشاوروا في السر وتجاذبوا
أهداب القول ثم قالوا إن هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره
خوفاً من غلبتهما وتثبيطاً للناس عن اتباعهما قرأ أبو عمرو إن هذين لساحران على
الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص إنْ هذان لساحران على قولك إنْ زيدٌ

في الأم مسحة

لتطابق واللام هي الفارقة بين إن النافية والمخففة من الثقيلة وقرأ أُبَيّ إنْ ذان إلا
ساحران وابن مسعود أنْ هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى وقيل
في القراءة المشهورة ان هذان لساحران هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو
الاسماء التي آخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب وقال بعضهم
ان بمعنى نعم ولساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما
ساحران وقد اعجب به ابو اسحق سموا مذهبهما الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل
حزب بما لديهم فرحون وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى
ان ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة
لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد هو طريقة قومه فأجمعوا كيدكم بالوصل
تعضده قوله فجمع كيده وقرئ فأجمعوا كيدكم اي ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه
حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه احد منكم كالمسألة المجمع عليها أمروا بان يأتوا صفا
لانه اهيب في صدور الرائين وروي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل
وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس
يجتمعون فيه لعيدهم وصلواتهم مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه
فأمروا بان يأتوه او يراد ائتوا مصلى من المصليات وقد افلح اليوم من استعلى
اعتراض يعني وقد فاز من غلب قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من
القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فأوجس
في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والق ما في يمينك تلقف ما
صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى فألقي السحرة سجدا
قالوا آمنا برب هرون وموسى ان مع ما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه
خبر مبتدأ محذوف معناه اختر احد الامرين او الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير
منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من
انفسهم وكأن الله عز وعلا الهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم اولا مع ما فيه
من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم
ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة
على السحر فمحقته وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين يقال في اذا هذه
اذا المفاجأة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف
اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية
لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم

وهذا

وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي وقرئ عُصيهم بالضم وهو
الاصل والكسر اتباع ونحوه دُلي ودِلي وقُسي وقِسي وقرئ تخيل على اسناده الى الحبال
والعصي وابدال قوله انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وتخيل على
كون العصي والحبال مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل ويخيل على
ان الله هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى انهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس
اضطربت واهتزت فخيلت ذلك ايجاس الخوف اضمار شيء منه وكذلك توجس الصوت
تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله
وقيل خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه انك انت الاعلى فيه تقرير لغلبته وقهره
وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو
الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك جائز ان يكون تصغيرا
لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك
فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز ان يكون تعظيما
لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه
على كثرتها اقل شيء وانزره عنده فالقه يتلقفها وقرئ تلقف بالتخفيف صنعوا
ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تلقف ما يأفكون وقرئ كيد ساحر بالرفع والنصب
فمن رفع فعلى ان ما موصولة ومن نصب فعلى انها كافة وقرئ كيد سِحر بمعنى ذي
سحر او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته او بيّن الكيد لانه
يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو **فان قلت**
لم وحد ساحر ولم يجمع قلت لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد
فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اي هذا
الجنس فان **قلت** لم نكر اولا وعرف ثانيا قلت انما نكر من اجل تنكير المضاف
لا من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج * في سعي دنيا طالما قد مدت *
وعن عمر اني لاكره ان ارى احدكم سبهللا لا في امر دنيا ولا في امر آخرة المراد
تنكير الامر كأنه قيل انما صنعوا كيدا سحريا وفي سعي دنيوي وامر دنيوي وأخروي
حتى الى كفو لهم حتى ستر واية سلك وايما كان سبحان الله ما اعجب امرهم قد
القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود
فما اعظم الفرق بين الالقاءين وروي انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا
الجنة والنار ورأوا ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم
الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة قال آمنتم له قبل ان

ضميرهم

باذن الله ويمحقها
وقرئ تلقف بالرفع على
الاستئناف وعلى الحال
اي القها متلقفة

اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى

لكبيركم لعظيمكم يريد انه اسحرهم واعلاهم درجة في صناعتهم او لمعلمكم من قول اهل مكة للمعلم امرني كبيري وقال لي كبيري كذا يريدون معلمهم واستاذهم في القران وفي كل شيء ٭ قرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين خالف الاخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو العضو وهي مع مجرورها في محل النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل اينا يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله عليه بدليل قوله امنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه تصلف باقتداره وقهره وما الفه وضري به من تعذيب الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم وقرئ تقضى هذه الحيوة الدنيا ووجهها ان الحيوة في هذه القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة روي ان السحرة يعني رؤوسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وروي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذ نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى تزكى تطهر من ادناس الذنوب وعن ابن عباس قال لا اله الا الله قيل في هذه الايات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية ك عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلعم اما اهل النار الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون الحديث اخرجه مسلم وفي اخره شبهة لمن يذهب الى عدم خلود الفساق في النار لكنه خبر احاد لا تقوم حجة على هذه المسئلة ٭ وعن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء

لعلهم

والارض

والارض والفردوس اعلاها درجة ومنها تخرج الانهار الاربعة والعرش فوقها فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس رواه احمد والترمذي وفي الصحيحين ان اهل عليين ليرون من فوقهم كما يرون الكوكب الغابر في افق السماء لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين ر ق وان ابا بكر وعمر لمنهم وانعما ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثمة وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من ان يكون مخففا من اليبس او صفة على فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تاكيدا كقوله ٭

كان قتود رحلي حين ضمت حوالب غرزا ومعى جياعا

جعله لفرط جوعه كجماعة جياع ح قتود جمع قتد وهو خشبة الرحل والحالبان عرقان مكتنفان بالسرة والغرز بتقديم الراء على الزاي جمع غارزة وهي الناقة التي قل لبنها والغرز بتقديم الزاي على الراء ضد الغزارة وحوالب خبر كان ومعى عطف عليه وغرزا وجياعا حالان وقيل خبر كان في البيت الذي يليه وحوالب مفعول ضمت اي شدت وبعده ٭

على وحشية خذلت خلوج وكان لها طلا طفل فضاعا ٭

الخلوج من النوق التي اختلج عنها ولدها فقل لذلك لبنها قال الاصمعي واذا تخلف الظبي عن القطيع قيل خذل ق لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب وقرئ ابو حيوة دركا بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقوك ولا تخشى اذا قرئ لا تخف ثلاثة اوجه ان تستانف كانه قيل وانت لا تخشى اي ومن شانك انك امن لا تخشى وان لا تكون الالف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله فاضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وان يكون مثل قوله ٭

وتضحك مني شيخة عبشمية كان لم ترى قبلي اسيرا يمانيا ٭

ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية

وفاعل غشاهم اما الله سبحانه واما ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورّط جنوده وتسبب لهلاكهم
وقوله وما هدى تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد يا بني اسرائيل قد انجيناكم
من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا
من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي
فقد هوى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى يا بني اسرائيل خطاب
لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم منّ الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الاول اي قلنا يا بني اسرائيل وحذف القول
كثير في القرآن وقرئ انجيتكم الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة وقرئ الايمن
بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى
من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح وانما عدى المواعدة اليهم لانها
لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم
وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه طغيانهم في النعمة ان يتعدوا
حدود الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وان ينفقوها
في المعاصي وان يزووا حقوق الفقراء فيها وان يسرفوا في انفاقها وان يبطروا فيها
ويأشروا ويتكبروا قرئ فيحل وعن عبد الله لا يحلن ومن يحلل المكسور في معنى الوجوب
من حلّ الدين يحل اذا وجب اداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدي محله والمضموم
في معنى النزول وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول هوى هلك واصله ان يسقط
من جبل فيهلك قالت الخنساء

هوى من رأس مرقبة ففتت تحتها كبده ❁ ويقولون هوت أمه

او سقط سقوطا لا نهوض بعده قال الغنوي

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا ❁ وماذا يرد الليل حين يؤوب

الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح
ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين
المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة على
الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منها وافضل ❁ عن ابن عباس قال لما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تصوم عاشوراء فسألهم فقالوا هذا اليوم الذي اظهر الله فيه
موسى على فرعون فقال نحن اولى بموسى فصوموه رواه البخاري ومسلم وما اعجلك عن
قومك يا موسى قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا
قومك من بعدك واضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال

يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب
من ربكم فاخلفتم موعدي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من
زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا
هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا
ولا نفعا وما اعجلك اي شيء عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور
على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه
ان ذلك اقرب الى رضى الله تعالى وزل عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا الى دواعي
الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز ان
يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله هم اولاء على اثري
وعن ابي عمرو ويعقوب إثري بالكسر وعن عيسى بن عمر أثري بالضم وعنه ايضا اولى بالقصر
والأثر افصح من الإثر واما الأثر فمسموع في فرند السيف مدون في الاصول يقال أثر
السيف وأثره وهو بمعنى الاثر غريب **فان قلت** ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة
فكان الذي ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز
موعدك وقوله هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه به
رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل
عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه
لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته
الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوافد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب
فقال وعجلت اليك رب لترضى ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله
عن ذلك الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع
هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا **فان قلت**
في القصة انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا
العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله لموسى عند مقدمه
انا قد فتنا قومك قلت قد اخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجود الكائن
على عادته او افترض السامري غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه واخذ في تدبير
ذلك فكان بدء الفتنة موجودا قرئ واضلهم السامري اي وهو اشدهم ضلالا لانه
ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة
قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان من اهل باجرما وقيل كان علجا
من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون

البعد الأسيف الشديد الغضب ومنه قوله عليه السلام في موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر وقيل الحزين **فإن قلت** متى رجع إلى قومه قلت بعدما استوفى الأربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذلك وأجمل حكي لنا أنها كانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملا العهد الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي بك أي طال زماني بسبب مفارقتك وعده إن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الإيمان فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل بملكنا قرئ بالحركات الثلاث أي ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا لما أخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده أي حملنا أحمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم أو أرادوا بالأوزار أنها آثام وتبعات لأنهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري التي أوقدها في الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا فكذلك ألقى السامري أراهم أنه يلقي حليا في يده مثل ما ألقوا وإنما ألقى التربة التي أخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل عليه السلام أوحى إليه وليه الشيطان أنها إذا خالطت مواتا صار حيوانا فأخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل **فإن قلت** كيف أثرت تلك التربة في إحياء الموات قلت أما يصح أن يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات وهي أن يباشر فرسه بحافره تربة إذا لاقت تلك التربة جمادا أنشأه الله إن شاء عند مباشرته حيوانا ألا ترى كيف أنشأ المسيح من غير أب عند نفخه في الدرع **فإن قلت** فلم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني إسرائيل وضلالا قلت ليس بأول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق إبليس أعجب والمراد بقوله تعالى إنا فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان أي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال وأوقعهم فيه حين قال لهم هذا إلهكم وإله موسى فنسي أي فنسي موسى أن يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند الطور أو فنسي السامري أي ترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر ثم يرجع من رفعه فعلى أن أن مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى أنها الناصبة للأفعال ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى من قبل من قبل أن يقول لهم السامري ما قال كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل أن ينطق السامري بادرهم هرون عليه السلام بقوله إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن قال يا هرون ما منعك

إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني أفعصيت أمري قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي لا مزيده والمعنى ما منعك أن تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا وما لك لم تلحقني قرئ بلحيتي بفتح اللام وهي لغة أهل الحجاز وكان موسى صلوات الله عليه رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما رأوا من الآيات العظام أن ألقى ألواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف بأخيه وخليفته على قومه فأقبل عليه إقبال العدو المكاشف قابضا على شعر رأسه وكان أفرع وعلى شعر وجهه يجره إليه أي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستأنيتك أن تكون أنت المتدارك بنفسك المتلافي برأيك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فإن لك في الحيوة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما الخطب مصدر خطب الأمر إذا طلبه فإذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قرئ بصرت بما لم يبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما لم يعلموه وفطنت لما لم يفطنوا له قرأ الحسن قبصة بضم القاف وهو اسم المقبوص كالغرفة والمضغة وأما القبضة فالمرة من القبض وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير وقرأ أيضا فقبصت قبصة بالصاد الصاد بجميع الكف والصاد بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه قرأ ابن مسعود من أثر فرس الرسول **فإن قلت** لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس قلت حين حل ميعاد الذهاب إلى الطور أرسل الله إلى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحيوة ليذهب به فأبصره السامري فقال إن لهذا لشأنا فقبض القبضة من تربة موطئه فلما سأله عن قصته قال قبضت من أثر فرس المرسل إليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف أنه جبريل عليه السلام عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أطم منها وأوحش وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكلما يعايش به الناس بعضهم بعضا وإذا اتفق أن يماس أحدا رجلا أو امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس أوحش من القاتل اللاجئ إلى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال إن قومه

ألا لو ملكنا أمرنا

موسى ص

باق فيهم ذلك الى اليوم وقرئ لا مساس بوزن فجار ونظيره قولهم في الظباء ان وردت
الما فلا عباب وان فقدته فلا اباب وهي اعلام للمسة والعبة والابة وهي المرة من الاب وهو
الطلب لن تخلفه اي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الارض ينجزه لك في
الاخرة بعدما عاقبك بذلك في الدنيا فانت ممن خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران
المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى

أثوى وقصر ليلة ليزودا ... فمضى واخلف من قتيلة موعدا

وعن ابن مسعود لن نخلفه بالنون اي لن يخلفه الله كانه حكى قوله عز وجل كما مر في قوله
لاهب لك ظلت وظلت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى
الظا ومنهم من لم ينقل لنحرقنه ولنحرقنه ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه
ولنحرقنه القراءتان من الاحراق وذكر ابو علي الفارسي في لنحرقنه انه يجوز ان يكون حرق
مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي ابطال ما افتتن به وفتن واهدار سعيه
وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقرا طلحة الله الذي لا اله الا هو الرحمن
الرحيم رب العرش وسع كل شيء علما وعن مجاهد وقتادة وسع ووجهه ان وسع متعد الى
مفعول واحد وهو كل شيء واما علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى
التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا
خوفت زيدا عمرا فترد ما كان فاعلا مفعولا كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد
اتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم
القيمة حملا الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله صلعم اي مثل
ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر اخبار الامم
وقصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر
في دينه بصيرة وتتاكد الحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر الذي اتيناك يعني القران مشتملا
على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقران كريم فيه
النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد هلك وشقي يريد بالوزر العقوبة الثقيلة
الباهظة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح
الحامل وينقض ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم وقرئ يحمل جمع
خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير في اعرض
وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
خالدين فيها فيه اي في ذلك الوزر او في احتماله ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه

بالنون

يجب

يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه
تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم العبد انه اواب ايوب الذي هو
المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا اي وساءت مصيرا جهنم **فان قلت**
اللام في لهم ما هي وبم تتعلق قلت هي للبيان كما في هيت لك فان قلت ما انكرت
ان يكون في ساء ضمير الوزر قلت لا يصح ان يكون في ساء ضمير شيء بعينه غير مبهم وحكمه حكم
بئس **فان قلت** فلا يكون ساء الذي حكمه حكم بئس ولكن ساء الذي منه قوله
سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى اهم واحزن قلت كفاك صادا عنه ان يؤول كلام الله
الى قولك واحزن الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك بعد ان تخرج عن عهدة هذه
اللام وعهدة هذا المنصوب يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا
يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة
ان لبثتم الا يوما اسند النفخ الى الامر به فيمن قرا ننفخ بالنون ولان الملائكة المقربين
واسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند
ما يتولونه الى ذاته وقرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على لفظ
الغيبة والضمير لله تعالى او لاسرافيل عليه السلام واما يحشر المجرمون فلم يقرا به الا الحسن
وقرئ في الصور بفتح الواو جمع صورة وفي الصور قولان احدهما انه بمعنى الصور وهذه
القراءة تدل عليه والثاني انه القرن وقيل في الزرق قولان احدهما ان الزرقة ابغض
شيء من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا
في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين والثاني ان المراد العمي لان
حدقة من يذهب نور بصره تزراق يتخافتون لما يملا صدورهم من الرعب والهول
يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم ايام النعمة
والسرور فيتاسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم
وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت
اطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الاخرة وانها ابد سرمد يستقصر
اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الاخرة وقد استرجح الله قول
من يكون اشد تقالا منهم في قوله اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ونحوه قوله
تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسال العادين
وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في
كتاب الله الى يوم البعث ك ثبت في الحديث ان رسول الله صلعم سئل عن الصور فقال

قرن ينفخ وقد جاء في حديث الصور عن ابي هريرة انه قرن عظيم للدارة منه كقدر السموات والارض ينفخ فيه اسرافيل عليه السلم وجاء في الحديث كيف انعم وصاحب القرن قد التقم القرن وجبهته واصغى ان يوذن له فقالوا يا رسول الله كيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا

ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا

ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما تذري الطعام فيذرها اي فيذر مقارها ومراكزها او يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة

فان قلت

قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على انه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت راي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسرة الامت النتوء اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ اي يوم اذ نسفت ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمة والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا يعدلون لا عوج له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته اي خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الذكر الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا يسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر

يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف ظلما ولا هضما

من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى

اذن

اذن له ورضي لاجله اي اذن للشافع ورضي قوله لاجله ونحو هذه اللام اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيمة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله وقد خاب وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر الظلم ان ياخذ من صاحبه فوق حقه والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ويسترجحون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على النهي في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلعم وهو سيد ولد ادم واكرم الخلائق على الله عز وجل انه قال اخر تحت العرش فاخر لله ساجدا ويفتح علي بمحامد لا احصيها الان فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم قال يا محمد ارفع راسك وقل تسمع واشفع تشفع قال فيحد لي حدا فادخلهم الجنة ثم اعود فذكر اربع مرات صلوات الله عليه وعلى سائر انبياء الله تعالى وفي الحديث يقول الله تعالى وعزتي وجلالي لا يجوزني اليوم ظلم ظالم وفي الصحيح اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة

وسلم

وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما

وكذلك عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هؤلاء الايات المتضمنة للوعيد انزلنا القران كله على هذه الوتيرة مكررين فيه ايات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم الثاء للتخفيف كما في قوله

فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل



تعالى الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه امر ملكوته ولما ذكر القران وانزاله قال على سبيل الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القران فتان عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى ياتيك البيان وقرئ حتى نقضي اليك وحيه وقوله رب زدني علما متضمن للتواضع لله والشكر له

عند ما علم من ترتيب التعلم اي علمني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندي وزدني
علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في
العلم ك قال ابن عيينة ولم يزل صلعم في زيادة حتى توفاه الله عز وجل ولهذا جاء في الحديث
ان الله تابع الوحي على رسوله صلعم حتى كان الوحي اكثر ما كان يوم توفي رسول الله وعن
ابي هريرة قال كان رسول الله صلعم يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني
علما والحمد لله على كل حال رواه ابن ماجة وقد رواه الترمذي وقال غريب من هذا الوجه
ورواه البزار وزاد في آخره واعوذ بالله من حال اهل النار ولقد عهدنا الى ادم من
قبل فنسي ولم نجد له عزما واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس
ابى فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك
الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان
قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب
عليه وهدى يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان واوعز اليه وعهد
اليه وعزم عليه عطف الله قصة ادم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون
والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم ادم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه
بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم
فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون
اليه كانه يقول ان اساس امر بني ادم على ذلك وعرقهم راسخ فيه **فان قلت**
ما المراد بالنسيان قلت يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن
بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد
من ذلك النسيان وان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة واكل
ثمرها وقرئ فنسي اي نساه الشيطان والعزم التصميم والمضي على ترك الاكل وان
يتصلب في ذلك تصلبا يويس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز ان يكون بمعنى
العلم ومفعولاه له عزما وان يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما اذ منصوب
بمضمر اي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته اليه وتزيينه له الاكل
من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده
حتى يتبين لكم انه لم يكن من اولي العزم والثبات **فان قلت** ابليس كان جنيا بدليل
قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فمن اين تناوله الامر وهو للملئكة خاصة

قلت

قلت كان في صحبتهم وكان يعبد الله عبادتهم فلما امروا بالسجود لادم والتواضع له كرامة
له كان الجني الذي معهم اجدر بان يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية اهله
وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى ان لم يقم عنف وقيل
له قد قام فلان وفلان فمن انت حتى تترفع عن القيام **فان قلت** فكيف صح ان
استثناه وهو جني عن الملئكة قلت عمل على حكم التغليب في اطلاق اسم الملئكة عليهم وعليه
فاخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا الا فلانة لامراة بين الرجال ابى جملة مستانفة
كانه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه
بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا في
اخراجكما وانما اسند الى ادم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشتراكهما في الخروج
لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم اهله واميرهم شقاءهم كما ان في ضمن سعادته سعادتهم
فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة او اريد بالشقاء التعب في طلب
القوت وذلك معصوب براس الرجل وهو راجع اليه وروي انه اهبط الى ادم ثور احمر
فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه قرئ وانك بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف
على ان لا تجوع **فان قلت** ان لا تدخل على ان فلا يقال ان ان زيدا منطلق
والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها قلت الواو لم توضع لتكون ابدا نائبة
عن ان انما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما
كما امتنع اجتماع ان وان الشبع والري والكسوة والكن هي الاقطاب التي يدور عليها
كفاف الانسان فذكره استجماعها له في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى
كسب كاسب كما يحتاج الى ذلك اهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري
والظمأ والضحو ليطرق سمعه باسامي اصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب
الموقع فيها كراهة لها **فان قلت** كيف عدي وسوس تارة باللام في قوله
فوسوس لهما الشيطان واخرى بالى قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة
الذئب ووقوقة الدجاجة في انها حكايات للاصوات وحكمها حكم صوت واجرس ومنه
وسوس المبرسم فهو موسوس بالكسر والفتح لحن وانشد ابن الاعرابي ⁂ وسوس يدعو مخلصا رب الفلق ⁂ فاذا قلت وسوس له
فمعناه لاجله كقوله ⁂ اجرس لها يا ابن ابي كباش ⁂ ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة كقولك
حدث اليه واسر اليه اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه
كما قيل لحيزوم فرس الحياة لان من باشر اثره حيي وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن
بن علي رضي الله عنه الا ان تكونا ملكين بالكسر طفق يفعل كذا مثل جعل
يفعل واخذ وانشا وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة

فشجرة هي الشجرة من اقرب الامر وكاد لمشارفته والدنو منه وقرئ يخصّفان للتكثير
والتكرير من خصف النعل وهو ان يخرز عليها الخصاف اي يلزقان الورق بسوآتهما
للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما وقيل
كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع عن
ابن عباس رضه لا شبهة في ان آدم صلوات الله عليه لم يمتثل ما رسم له الله وتخطى فيه ساحة
الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا فكان غيا
لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى بهذا الاطلاق
وبهذا التصريح حيث لم يقل وزل آدم واخطأ وما اشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات
والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكأنه قيل لهم انظروا
واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة
غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات
والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة
الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي
فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث **فان قلت** ما معنى ثم اجتباه ربه قلت
ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه من جبى الي كذا فاجتبيته ونظيره جليت علي العروس فاجتليتها
ومنه قوله عز وجل واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا جبيت اليك فاجتبيتها
واصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار
وهدى اي وفقه لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى قال اهبطا منها
جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن
ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى
وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى لما كان آدم
وحوى عليهما السلام اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشأوا وتفرعوا جعلا كأنهما البشر
في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما يأتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل
الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ضمن الله لمن اتبع
القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل
ولا يشقى والمعنى ان الشقا في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع
كتاب الله عز وجل وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه
الضنك مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك
ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه

بسماح

بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال الله تعالى فلنحيينه حياة طيبة والمعرض
عن الدين مستولٍ عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط
عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة
لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من
ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا
بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو انهم اقاموا التوراة و
الانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان
اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا
ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال وان لو استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم في النار وعن ابي سعيد الخدري
عذاب القبر وقرئ ونحشره بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط
وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بان آياتنا
اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك
اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك ك اي لما اعرضت عن آيات الله وعاملتها
معاملة من لم يذكرها وتناسيتها كذلك نعاملك اليوم معاملة من نسيك فان الجزاء من جنس
العمل فاما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه فليس داخلا في هذا الوعيد
الخاص وان كان متوعدا عليه من جهة اخرى فانه قد وردت السنة بالنهي الاكيد والوعيد
الشديد في ذلك كما رواه الامام احمد باسناده الى رسول الله صلعم قال ما من رجل قرأ القرآن
فنسيه الا لقي الله يوم يلقاه وهو اجذم انتهى وقد ورد في ذلك احاديث اخر وقد حمل على
ان المراد منه نسي لفظ القرآن بالكلية بعد حفظه بحيث صار لا يستطيع قراءته من المصحف فاما
من حفظه نقلا ثم ثقلت عليه وصار لا يستطيع قراءته الا من المصحف فغير داخل في الوعيد المذكور
ان لم ينسه حقيقة والله اعلم وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة
اشد وابقى لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى
في الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة اشد وابقى كانه قال وللحشر على العمى
الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقى
من تركه لآياتنا افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك
لآيات لاولي النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى فاصبر على ما يقولون
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك

يعني الضبط

اجتمعت

ترضى فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى
وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون
فيه ضمير الله او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشّون يريد ان قريشا يتقلبون
في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم الكلمة السابقة هي
العدة بتاخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا
وثمود لازما لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى
مفعل كانه آلة اللزوم لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم واجل مسمى لا يخلو من ان
يكون معطوفا على كلمة او على الضمير في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى
لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل
بحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والمراد
بالتسبيح الصلوة او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات على الفعل
آخرا كانه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر
لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل
واطراف النهار مختصا لها بصلوتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب
وهدو الرجل والخلو بالرب قال الله عز وجل ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم
قيلا وقال امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة
فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب فكانت ادخل
في معنى التكليف وافضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلوة العتمة وفي اطراف
النهار صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا
على الصلوات والصلوة الوسطى عند بعض المفسرين فان قلت ما وجه قوله واطراف
النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال اقم الصلوة طرفي النهار قلت الوجه امن الالباس
وفي التثنية زيادة بيان ونظير مجئ الامرين في الآيتين مجيئهما في قوله
ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ واطراف النهار عطفا على آناء
الليل ولعل للمخاطب اي اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما
به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى اي يرضيك ربك عن عمارة بن رويبة
قال سمعت رسول الله صلعم يقول لن يلج النار احد صلى قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها رواه احمد ومسلم وفي المسند والسنن عن ابن عمر قال رسول الله صلعم
ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة الفي سنة ينظر الى اقصاه الحديث
وفي الصحيح يقول الله تعالى يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم

اي ملزوم

فيقولون

فيقولون ربنا وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم
افضل من ذلك فيقولون واي شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم
بعده ابدا ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم
فيه ورزق ربك خير وابقى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا
نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ولا تمدن عينيك اي لا تمد النظر تطويله وان لا تكاد ترده
استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا
يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم اولوا العلم والايمان بويلكم
ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر
من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع وان
من ابصر منها شيئا احب ان يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل ما انت
معتاد له وضار به ولقد شدد العلماء من اهل التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية
الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء
لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها ازواجا منهم اصنافا
من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذي
متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم فان قلت علام انتصب زهرة قلت
على احد اربعة اوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى
اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار والمجرور وعلى
ابداله من ازواجا على تقدير ذوي زهرة فان قلت ما معنى الزهرة فيمن
حرك قلت معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة والجهرة وقرئ ارنا
الله جهرة وان يكون جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهروا هذه الدنيا لصفاء الوانهم مما
يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون
الصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب
لوجود الكفران منهم او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك هو ما ادخر له من
ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وادوم او ما رزقه من نعمة الاسلام
والنبوة او لان اموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه
والحلال خير وابقى لان الله لا ينسب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث
والحرام لا يسمى رزقا اصلا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع انه قال بعثني رسول
الله صلعم الى يهودي وقال قل له يقول لك رسول الله صلعم اقرضني الى رجب فقال والله
لا اقرضته الا برهن فقال رسول الله صلعم اني لامين في السماء واني لامين في الارض

احمل اليه رزق الجديد فعلت ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به وامر اهلك بالصلوة
اي وافبل انت مع اهلك على عبادة الله والصلوة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا
تهتم بامر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولا نسألك ان
ترزق نفسك ولا اهلك ففرغ بالك لامر الآخرة وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان
الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك
الاية ثم ينادي الصلوة الصلوة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصاب
اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امركم الله ورسوله ثم يتلو هذه الاية ك وفي
الصحيح ان عمر بن الخطاب رضي لما دخل على رسول الله صلعم في تلك المشربة التي كان قد
اعتزل فيها نساءه حين آلى منهن فرآه متوسدا مضطجعا على رمال حصير وليس في
البيت الا صبرة من قرظ واهب معلقة فابتدرت عينا عمر بالبكا فقال له رسول الله صلعم
ما يبكيك فقال يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وانت صفوة الله من خلقه
فقال او في شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا
وعن ابي سعيد ان رسول الله صلعم قال ان اخوف ما اخاف عليكم ما يفتح الله لكم من
زهرة الدنيا الحديث رواه ابن ابي حاتم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم
يقول الله تعالى يا ابن ادم تفرغ لعبادتي املأ صدرك غنى واسد فقرك وان لم تفعل
ملأت صدرك شغلا ولم اسد فقرك رواه الترمذي وابن ماجه وعن ابن مسعود
سمعت رسول الله صلعم يقول من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه
ومن تشعبت به الهموم احوال الدنيا لم يبال الله في اي اودية هلك رواه ابن ماجة
وعن زيد بن ثابت سمعت رسول الله صلعم يقول من كانت الدنيا همه فرق الله عليه امره
وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب الله له ومن كانت الآخرة نيته جمع الله
له امره وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة رواه ابن ماجه ايضا قوله تعالى
والعاقبة للتقوى في الصحيح ان رسول الله صلعم قال رأيت الليلة كانا في دار عقبة بن
رافع واتينا برطب ابن طاب فاولت ذلك ان العاقبة لنا في الدنيا والآخرة والرفعة
وان ديننا قد طاب وقالوا لولا يأتينا باية من ربه اولم تأتهم بينة ما في الصحف
الاولى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من
اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى اقترحوا على عادتهم في التعنت اية على النبوة
فقيل لهم اولم تأتكم اية هي ام الايات واعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل
ان القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجز وتلك ليست بمعجزات

فهي

فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة وقرئ الصحف
بالتخفيف ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان والدليل قرئ نذل ونخزى
على لفظ ما لم يسم فاعله كل اي كل واحد منا ومنكم متربص العاقبة ولما يؤول اليه امرنا
وامركم وقرئ السوا بمعنى الوسط والجيد او المستوي والسوء والسوأى والسوي
بتصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال ابو رافع حفظته من رسول الله صلعم
ك في الصحيحين عن رسول الله صلعم انه قال ما من نبي الا وقد اوتي من الايات ما
آمن على مثله البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم
تابعا يوم القيمة

سورة الانبياء عليهم السلام مكية وهي اثنتا عشرة ومائة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث
الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا
الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون قل ربي يعلم القول في السماء والارض
وهو السميع العليم هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة لاقترب او تأكيدا لاضافة الحساب
اليهم كقولك ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف للحي
رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك
وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا ابا لك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه
اغرب من الاول ح قوله المستقر هو بفتح القاف واما كسره فخطأ واصله مستقر فيه والظرف
في اصطلاح النحاة على قسمين مستقر وهو ما كان متعلقه غير مذكور ولغو وهو ما كان
متعلقه مذكورا والظرف في المثال المذكور في الكتاب لغو وتسميته ههنا مستقرا من الخاص
الذي يراد به العام مجازا ف والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت فقد اقترب ما يكون فيها
من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق **فان قلت**
كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول اكثر من خمسمائة عام قلت هو مقترب
عند الله والدليل عليه قوله عز وعلا ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان
يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ولان كل آت وان طالت اوقات استقباله وترقبه
قريب وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف
منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه السلام بعثت في نسم
الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم تبق الا صبابة كصبابة الاناء
واذا كانت بقية الشيء وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة الى معظمه كانت خليقة بان توصف

بالقلة وقصر الذراع وعن ابن عباس ان المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس
على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم بالغفلة مع الاعراض
على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع
اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء واذا قرعت لهم
العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر اعرضوا
وسدوا اسماعهم ونفروا وقرر اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بان الله
يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر
على اسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما
فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي احق الحق واجد الجد الا لعبا وتلهيا واستسخارا
والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن ابي عبلة محدث بالرفع صفة على المحل
قوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان او متداخلتان ومن قرأ لاهية
بالرفع فالحال واحدة لان لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لهي عنه
اذا ذهل وغفل يعني انهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يفطنوا اصلا
وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم **فإن قلت** النجوى
وهي اسم من التناجي لا تكون الا خفية فما معنى قوله واسروا النجوى قلت معناه بالغوا
في اخفائها او جعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون ابدل الذين ظلموا
من واو اسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او جاء على لغة
من قال اكلوني البراغيث او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتدأ خبره اسروا
النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على
فعلهم بانه ظلم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله في
محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا
اعتقدوا ان رسول الله لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة
فهو ساحر ومعجزته سحر **فإن قلت** لم اسروا هذا وبالغوا في اخفائه قلت
كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعمل المنصوبة
في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب ان لا يشركوا اعداءهم في شوراهم ويجاهدوا
في طي سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان
ويرفع الى رسول الله صلعم ويجوز ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلعم
والمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررنا **فإن قلت** هلا قيل يعلم السر
لقوله واسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر

فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتأتون السحر وانتم تبصرون يعنون ان ما اتى به سحر

وزيادة

وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كما ان قوله يعلم
السر آكد من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية
فإن قلت فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله انزله الذي يعلم
السر في السموات والارض قلت ليس بواجب ان يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالتوكيد
تارة وبالآكد اخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا ويجمع
الغاية وما دونها على ان اسلوب تلك الآية خلاف اسلوب هذه من قبل انه قدم ههنا
انهم اسروا النجوى فكأنه اراد ان يقول ان ربي يعلم ما اسروه فوضع القول موضع ذلك
للمبالغة وثمة قصد وصف ذاته بانه انزله الذي يعلم السر في السموات والارض
فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرئ قال ربي حكاية لقول
رسول الله صلعم لهم بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما
ارسل الاولون ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون اضربوا عن
قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا
الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز ان يكون تنزيلا من الله لاقوالهم
في درج الفساد وان قولهم الثاني افسد من قولهم الاول والثالث افسد من الثاني وكذلك
الرابع افسد من الثالث صحة التشبيه في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى
الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات الا ترى انه لا فرق بين ان تقول
ارسل محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة افهم يؤمنون فيه انهم اعتى من الذين اقترحوا على
انبيائهم الآيات وعاهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو
اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وانكث وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم من
اهل القرى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون
الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين
امرهم ان يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم ان رسل الله الموحى اليهم
كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما احالهم على اولئك لانهم كانوا يشايعون
المشركين في معاداة رسول الله صلعم قال الله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين اشركوا اذى كثيرا فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردءا لرسول الله صلعم ح
اي اليهود لا يكاذبون المشركين في شيء اليهود في ذلك الشيء ردءا لرسول الله صلعم قيل اراد
ان اليهود يستحيل ان يقولوا شيئا كذبا يكونون فيه ردءا اي عونا لرسول الله صلعم وانما
استحال ذلك لانهم اعداؤه وقيل ان المعنى ان اهل الكتاب لا يكاذبون المشركين في الذي
هم يدعون لرسول الله صلعم من ان الانبياء لم يكونوا ملائكة يعني كانوا متفقين مع رسول الله

صلم في هذه المسئلة وكيف لا وفي مخالفتها ابطال دينهم فـ لا ياكلون الطعام صفة لجسدا
والمعنى وما جعلنا الانبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة الجنس كانه
قال ذوي ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام **فان**
قلت نعم قد رد انكارهم ان يكون الرسول بشرا ياكل ويشرب بما ذكرت فما ذا رد
من قولهم بقوله وما كانوا خالدين قلت يحتمل ان يقولوا انه هو بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت
كما نموت او يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويكون مخلدا اما معتقدين ان الملائكة لا يموتون
او مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا صدقناهم الوعد مثل واختار موسى
قومه والاصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره ومن
نشاء هم المؤمنون ومن في بقائه مصلحة لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون
وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين فلما احسوا باسنا
اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون
قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين
ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق
التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة
والسخاء وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم
لان القصم الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك
وصفها بالظلم وقال قوما آخرين لان المعنى اهلكنا قوما وانشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس
انها حضور وهي وسحول قريتان باليمن ينسب اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله
صلم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم
بخت نصر كما سلطه على اهل بيت المقدس فاستأصلهم وروي انه لما اخذتهم السيوف نادى
مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا واعترفوا بالخطاء وذلك حين لم ينفعهم الندم
وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس ذكر حضور بانها احدى القرى التي ارادها الله
بهذه الآية فلما علموا شدة عذابنا وبطشنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم
والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم
يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا
في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول
محذوف **فان قلت** من القائل قلت يحتمل ان يكون بعض الملائكة او من ثمة من
المؤمنين او يجعلوا خلقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته
لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم فيه من

العيش

العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفه لعلكم تسألون تهكم بهم
وتوبيخ اي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم
ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا
في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا
لكم بم تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين
او يسألكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض
ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم او يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون
سحائب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم اما لانهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء
الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ تلك اشارة الى
يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة قال الله
تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين **فان قلت** لم سميت دعوى قلت
لان المولول كانه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع او منصوب اسما
او خبرا وكذلك دعواهم الحصيد الزرع المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به
في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد والضمير المنصوب
هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على
المفعولية **فان قلت** كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الآخرين
حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا
ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والارض ومن عنده
لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون اي وما سوينا
هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلائق مشحونة بضروب
البدائع والعجائب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب
وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار
واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى
ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن افعالي هو ان الحكمة صارفة عنه
والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير وقوله لاتخذناه من لدنا
كقوله رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل
من لدنا اي من الملائكة لا من الانس رد لولادة المسيح وعزير بل اضراب عن اتخاذ

المصالح

اللهو واللعب وننزه منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله به واهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله

سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا

وقرئ فيدمغه ومن عنده هم الملائكة والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه فان قلت الاستحسار مبالغة في الحسور وكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور قلت في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون اي تسبيحهم متصل دايم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل اخر عن حكيم بن حزام قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه اذ قال لهم هل تسمعون ما اسمع قالوا ما نسمع من شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاسمع اطيط السماء وما تلام ان تئط وما فيها موضع شبر الا وعليه ملك ساجد او قائم رواه ابن جرير وغيره ولم يخرجوه وروي من سبل وروى ابن اسحق عن حسان بن مخارق عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال جلست الى كعب الاحبار وانا غلام فقلت له ارايت قول الله للملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون اما يشغلهم عن التسبيح الكلام والرسالة والعمل فقال من هذا الغلام فقيل من بني عبد المطلب قال فقبل راسي ثم قال يا بني انه جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس اتتكلم وانت تتنفس وتمشي وانت تتنفس ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون هذه ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة وقد آذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الارض ينشرون الموتى ولعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات فان قلت كيف انكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم ابعد شيء عن هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله تعالى بانه خالق السموات والارض ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الاولى منكرين للبعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كثاني القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة راسا قلت الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا

الاسم

الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو قوله من الارض قولك فلان من مكة او من المدينة تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها نفي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله عز وجل ويجوز ان يراد آلهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض فان قلت لا بد من نكتة في قوله هم قلت النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها وصفت آلهة بالا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله فان قلت ما منعك من الرفع على البدل قلت لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله فان قلت لم وجب الامران قلت لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر ولان هذه الافعال الى اخره معطوف على قوله لعلمنا ان الرعية تفسد وبانضمامه معه تم الجواب والمراد من قوله هذه الافعال هو خلق السموات والارض وما بينهما فاذا كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسألهم من في مملكتهم عن افعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطأ والزلل وانواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم اولى بان لا يسأل عن افعاله مع ما علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح وهم يسألون اي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون فما اخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون

وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون كرر ام
اتخذوا من دونه الهة استفظاعا لشانهم واستعظاما لكفرهم اي وصفتم الله بان
له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون
كتابا من كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه عن الانداد مدعو اليه والاشراك
به منهي عنه متوعد عليه اي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركا عنه
كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبيا فهو ذكر اي عظة للذين معي يعني امته وذكر
للذين قبلي يريد امم الانبيا وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول
منصوب بالذكر كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الاصل والاضافة من
اضافة المصدر الى المفعول كقوله تعالى غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون
وردي من معي ومن قبلي على من الاضافة في هذه القراة وادخال الجار على مع
غريب والعذر فيه انه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك ودخل
عليه من كما يدخل على اخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كانه قيل بل عندهم ما هو اصل
الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثمه جا
هذا الاعراض ومن هناك ورد هذا الانكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد
بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز ان
يكون المنصوب ايضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل ويوحى ونوحي
مشهورتان وهذه الاية مقررة لما سبقها من ايات التوحيد وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن
يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين نزلت في خزاعة حيث قالوا
الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة
الا انهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من احوال
وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم انهم اولادي تعاليت عن ذلك
علوا كبيرا وقرئ مكرمون ولا يسبقونه من سابقته فسبقته اسبقه والمعنى انهم
يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيبت
اللام مناب الاضافة اي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما ان قولهم
تابع لقوله فعملهم ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون
ويذرون مما قدموا واخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه لذلك يضبطون انفسهم ويراعون
احوالهم ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا الا لمن ارتضاه

بالضم

بدلا حاطهم

الله

الله واهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون
اي متوقعون من امارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل عليه السلام ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله وبعد ان وصف
كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال
المرضية فاجا بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من اشرك منهم ان كان ذلك على سبيل
الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون
وقصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد اولم ير الذين كفروا ان السموات
والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون وجعلنا في
الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء
سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر
كل في فلك يسبحون قرئ الم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق
والنقض اي كانتا مرتوقتين **فان قلت** الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقتين فما بال
الرتق قلت هو على تقدير موصوف اي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة
بالارض لا فضاء بينهما او كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينها ففتقها الله
وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعدما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كن لان المراد
جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر
نحو ما فعل في المظهر **فان قلت** متى راوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان
احدهما انه وارد في القران الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني
ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص
وهو القديم سبحانه وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى
خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه
اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا
كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله عليه السلام ما انا من دد ولا
الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو اي كراهة ان تميل بهم وتضطرب
او لئلا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في قوله تعالى
لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين الفج الطريق الواسع **فان قلت** في الفجاج
معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت
لم تتقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم
فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة

لانه مصدر صح

كلاهما صح

والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة مضروبات لما الهمه ثمة محفوظاً حفظه بالامساك بقدرته
من ان يقع على الارض ويتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة عن آياتها
عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها
وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة
واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها و
الاستدلال على عظمة شان من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها
ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عز قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد
اكتفاء بالوحدة في الدلالة على الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السما من المنافع
الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحيوة الارض والحيوان بامطارها وهم
عن كونها اية بينة على الخالق معرضون كل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه اي كلهم
في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها
متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعهما بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة
والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة **فان قلت**
الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد
بها دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما قلت كما تقولون رايت زيدا وهندا متبرجة
ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة
ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستينافها **فان قلت** لكل واحد من القمرين
فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا
اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان
الغرض الدلالة على الجنس ك عن ابي هريرة انه قال يا نبي الله اذا رايتك طابت نفسي وقرت عيني
واخبرنا عن كل شيء قال كل شيء خلق من ماء رواه ابن ابي حاتم وفي رواية الامام احمد قال قلت
يا رسول الله اني اذا رايتك طابت نفسي وقرت عيني فانبئني عن كل شيء فقال كل شيء خلق من
ماء قال قلت انبئني عن امر اذا عملت به دخلت الجنة قال افش السلام واطعم الطعام وصل الارحام
وقم بالليل والناس نيام ثم ادخل الجنة بسلام واسناده على شرط الصحيحين الا ان ابا ميمونة
احد رواته من رجال السنن والترمذي يصحح له وعن ابن عباس قال رجل يا رسول الله
ما هذه السما قال موج مكفوف رواه ابن ابي حاتم واسناده غريب وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد افان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة
والينا ترجعون كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا
اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان كذلك
فان مت ايبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل

الامر ج
انت م

نقل الشامتين

فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

اي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم فنجازيكم
على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وانما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون
من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من
غير لفظه واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر آلهتكم وهم
بذكر الرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون الذكر
يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت
فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى
سمعنا فتى يذكرهم وقوله اهذا الذي يذكر آلهتكم والمعنى انهم عاكفون بهممهم على ذكر
آلهتهم وما يجب ان لا يذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك
واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا
فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم
ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن انسجد لما تامرنا وقيل بذكر الرحمن بما انزل
عليك من القرآن والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزء و
السخرية وهي الكفر بالله سبحانه كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم
اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع
منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس انه اراد
بالانسان آدم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي انه لما
دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله آخر النهار يوم
الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس انه النضر بن الحرث
والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم

والنبع في الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل

والله اعلم بصحته **فان قلت** لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل
وقوله وكان الانسان عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه الشهوة
وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق
الانسان من عجل ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين
لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم
فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون

في م

الوقت الذي يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم اي لا يكفونها بل تفجاهم فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر اي غلب وحجم الكافر وقرا الاعمش باتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد او للحين

فان قلت فالام يرجع الضمير المونث في هذه القراءة قلت الى النار او الى الوعدة لانه في معنى النار وهي التي وعدوها او على تاويل العدة والموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة او الى البغتة وقيل في القراءة الاولى الضمير للساعة وقرا الاعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون تذكير بانظاره اياهم وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم اي لا يمهلون بعد طول الامهال ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم الهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون سلى رسول الله صلعم عن استهزائهم به بان له في الانبياء عليهم السلام اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبيا ما فعلوا من الرحمن اي من باسه وعذابه بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا رزقوا الكلاة منه عرفوا من الكالي وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالي ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بما في ام من معنى بل وقال الهم الهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استانف فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتاييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلاناهم واباهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحيوة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد وامتدت ايام الروح والطمانينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وامل كاذب بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا

ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين افلا يرون انا ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام

فان قلت اي فايدة في قوله ناتي الارض قلت الفايدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين وتاتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها قرئ ولا يسمع الصم الدعاء ولا تسمع بالتاء والياء اي لا تسمع انت الصم ولا يسمع رسول الله الصم ولا يسمع الصم من اسمع

فان قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون قلت اللام في الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كاينة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا انذروا اي هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من ايات الانذار ولئن مسهم من هذا الذي ينذرون به ادنى شي لاذعنوا وذلوا واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا وفي المس والنفحة ثلث مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كانها في انفسها قسط او على حذف المضاف اي ذوات القسط واللام في ليوم القيمة مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة

توهمت ايات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع

وقيل لاهل يوم القيمة اي لاجلهم

فان قلت ما المراد بوضع الموازين قلت فيه قولان احدهما ارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثاني انه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان يملا كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة

فان قلت كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض قلت فيه قولان احدهما توزن صحايف الاعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيات جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة وقرا ابن عباس ومجاهد اتينا بها وهي مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرا حميد اثبنا بها من الثواب وفي حرف ابي جئنا بها وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه ك في الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول

الله صلعم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله
وبحمده سبحان الله العظيم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلعم ان
الله عز وجل سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر عليه تسعة وتسعين
سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيا اظلمك كتبتي الحافظون قال لا يا رب
قال افلك عذر او حسنة فيبهت الرجل فيقول لا يا رب فيقول ان لك عندنا حسنة واحدة
لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم
قال فتوضع السجلات في كفة وتوضع البطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة
قال ولا يثقل مع اسم الله شي رواه احمد وابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب
قلت ــــ وينبغي ان يحمل هذا الحديث وامثاله ان صح على من كان كافرا فاسلم فمات
والله اعلم وعن عايشة ان رجلا من اصحاب رسول الله صلعم جلس بين يديه فقال يا رسول
الله ان لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني واضربهم واشتمهم فكيف انا منهم فقال
رسول الله صلعم اذا كان يوم القيمة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم
فان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك وان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم
كان كفافا لا لك ولا عليك وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل
الذي بقي فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله صلعم فقال رسول الله صلعم اما تقرا ونضع
الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها
وكفى بنا حاسبين فقال الرجل يا رسول الله ما اجد شيا خيرا من فراق هولاء يعني عبيده
اني اشهدك انهم احرار كلهم رواه احمد ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان
وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون
وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون اي اتيناهما الفرقان وهو التورية
واتيناه به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى انه في نفسه ضياء وذكر او اتيناهما بما فيه من
الشرايع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن
الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرا ابن عباس ضياء بغير واو وهو
حال من الفرقان والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف
محل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه ذكر مبارك هو القران وبركته
كثرة منافعه وغزارة خيره ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ
قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون قالوا وجدنا اباءنا لها
عابدين قال لقد كنتم انتم واباوكم في ضلال مبين قالوا اجئتنا بالحق ام انت من

اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من
الشاهدين الرشد الاهتدا لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان انستم منهم رشدا فادفعوا
اليهم اموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته
اليه انه رشد مثله وانه رشد له شان من قبل من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به
انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته
ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتوا على
محاسن الاوصاف بمنزل اذ اما ان يتعلق باتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر
من اوقات رشده هذا الوقت قوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب ليحقر الهتهم
ويصغر شانها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى
ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها **فان قلت** هلا قيل
عليها عاكفون كقوله تعالى يعكفون على اصنام لهم قلت لو اراد التعدية لعداه
بصلته التي هي على ه ما اقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان
للمقلدين حتى استدرجهم الى ان قلدوا اباهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم
وهم معتقدون انهم على شي وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن
باطلهم وكفى اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم انتم من التاكيد الذي لا يصح
الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن
انت وزوجك الجنة اراد ان المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا
يخفى على من به ادنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان
مطاع لاستبعادهم ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم و
حسبوا انما قاله انما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي
جئتنا به اهو جد وحق ام لعب وهزل الضمير في فطرهن للسموات والارض او
للتماثيل وكونه للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك
ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كانه قال وانا ابين ذلك
وابرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة
كما لا تقدرون على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه اباكم وتالله
لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه
يرجعون قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم
يقال له ابرهيم قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون قالوا انت فعلت
هذا بالهتنا يا ابرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون

تصدم

قرأ معاذ بن جبل بالله وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين

فان قلت ما الفرق بين التاء والباء قلت ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن

اذا الله سنى عقد شيء تيسرا

روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوا وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير علق الفاس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروي انه سمعه رجل واحد جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما اجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبي اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويؤهل للعبادة ان يرجع اليه في حل المشكلات

فان قلت فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم فاي فائدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابرهيم صلوات الله عليه غرضا قلت اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم في عبادته على جهل عظيم اي ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في جملة الظلمة اما لجرأته على الآلهة الحقيقية عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم رأوا افراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها

فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما قلت هما صفتان الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع واما الثاني فليس كذلك

فان قلت ابرهيم ما هو قلت قيل هو خبر مبتدا محذوف او منادى والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى على اعين الناس في محل

الحال بمعنى معاينا مشاهدا اي بمرأى منهم ومنظر

فان قلت ما معنى الاستعلاء في على قلت هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه في الاعين ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه او بما فعله او يحضرون عقوبتنا له روي ان الخبر بلغ نمرود واشراف قومه فامروا باحضاره هذا من معاريض الكلام ولطايف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا اذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه ان قصد ابرهيم صلوات الله عليه لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط أانت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها وقرأ محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعني فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم فلما القمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم وقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين

عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال ان ابرهيم عم لم يكذب غير ثلث ثنتين في ذات الله تعالى قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم قال وبينا هو يسير في ارض جبار من الجبابرة ومعه سارة اذ نزل منزلا فاتى الجبار رجل فقال له قد نزل ههنا بارضك رجل معه امرأة احسن الناس فارسل اليه فجاء فقال له ما هذه المرأة منك قال هي اختي قال اذهب فارسل بها الي فانطلق الى سارة فقال ان هذا الجبار قد سألني عنك فاخبرته انك اختي فلا تكذبيني عنده فانك اختي في كتاب الله تعالى فانه ليس في الارض مسلم غيري وغيرك فانطلق بها ابرهيم ثم قام يصلي فلما ان دخلت عليه فرآها اهوى اليها فتناولها فاخذ اخذا شديدا فقال ادعي الله لي ولا اضرك فدعت له فارسل فاهوى اليها فتناولها فاخذ بمثلها او اشد ففعل ذلك الثالثة فاخذ فذكر مثل المرتين الاوليين فقال ادعي الله لي ولا اضرك فدعت له فارسل ثم دعا ادنى حجابه فقال انك لم تأتني بانسان ولكنك اتيتني بشيطان اخرجها

واعطيها هاجر فاخرجت واعطيت هاجر فاقبلت فلما احس ابرهيم بمجيئها انفتل من صلوته
فقال مهيم فقالت كفى الله كيد الكافر الفاجر واخدم هاجر قال محمد بن سيرين فكان
ابو هريرة اذا حدث بهذا الحديث قال فتلك امكم يا بني ماء السماء اخرجاه في الصحيحين
انتهى انما سميت كذبات لان صورتها صورة الكذب والا فهي من معاريض الكلام التي
قال فيها رسول الله صلعم ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب والله اعلم فرجعوا الى
انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون
الله افلا تعقلون نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه وانتكس انقلب اي استقاموا حين رجعوا
الى انفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل
والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق الهة معبودة مضادة منهم
او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة عن النطق او قلبوا
على رءوسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخذالا مما بهتهم به ابرهيم فما احاروا
جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما سمي فاعله اي
نكسوا انفسهم على رءوسهم قرأ به رضوان بن عبد المعبود اف صوت اذا صوت
به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم
وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به اي لكم وللالهة
هذا التأفف قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما
على ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اجمعوا رأيهم لما غلبوا باهلاكه
وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق
له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلعم حين عجزوا عن المعارضة و
الذي اشار باحراقه نمرود وعن ابن عمر رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروي
انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف
الخشب الصلاب حتى ان كانت المراة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا
لابرهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق
مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل عليه السلام يا نار كوني بردا وسلاما ويحكى
ما احرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل حين رمي به هل لك حاجة فقال اما اليك فلا
قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي
الله ونعم الوكيل واطل عليه نمرود من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس
له من الملئكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان

في الجوسق

ابرهيم

ابرهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه
ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين
الهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهي الاحراق في النار والا
فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شانها ولم يالوا
جهدا في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمامور امر بشيء فامتثل والمعنى
ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابرهيم
او ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها

فان قلت

كيف بردت النار وهي نار قلت نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق
وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز
ان يدفع بقدرته عن جسم ابرهيم اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة النار
ويدل عليه قوله على ابرهيم وارادوا ان يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا مغلوبين
مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه المبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره
وقواه ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات
واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين نجيا من العراق الى الشام وبركاته
الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم واثارهم
الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب
وطيب عيش الغني والفقير وعن سفين انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد
يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت
المقدس روي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة النافلة ولد الولد
وقيل سال اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال يهدون
بامرنا فيه ان من صلح ان يكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مامور هو بها
من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع
بهداه اعم والنفوس الى الاهتداء بالمهتدي اميل فعل الخيرات اصله ان تفعل الخيرات
ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة ولوطا اتيناه حكما
وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين
وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين حكما حكمة وهو ما يجب فعله او فصلا بين
الخصوم وقيل هو النبوة والقرية سدوم في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في الجنة
ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من اشاء ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا

له فنجيناه واهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا
قوم سوء فاغرقناهم اجمعين من قبل اي من قبل هولاء المذكورين هو نصر الذي مطاوعه
انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه
والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث
اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما
وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس
لكم ليحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون اي واذكرهما واذ بدل منهما والنفش الانتشار
بالليل وجمع الضمير لانه ارادهما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما والضمير في ففهمناها
للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو
ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع
الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الشاء
يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم
بذلك **فان قلت** احكما بوحي ام باجتهاد قلت قيل حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة
داود نسخت بحكومة سليمان وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان اشبه بالصواب

فان قلت ما وجه كل واحدة من الحكومتين قلت اما وجه حكومة داود فلان
الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس
يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت
على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من
الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل
في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا
فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع
العبد فاذا ظهر ترادا **فان قلت** فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها
قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق
او قائد والشافعي يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب
كان مع سليمان وفي قوله وكلا آتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب
يسبحن حال بمعنى مسبحات او استئناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير
اما معطوف على الجبال واما مفعول معه **فان قلت** لم قدمت الجبال على
الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز
لانها جماد والطير حيوان ناطق روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت

تسير

تسير معه حيث سار **فان قلت** كيف تنطق الجبال وتسبح قلت بان يخلق الله فيها
الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو ان يسبح من رآها تسير بتسيير
الله فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل هذا وان كان
عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل مثل ذلك بالانبياء ❊ اللبوس اللباس قال ❊
البس لكل حالة لبوسها ❊ والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول
من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ بالنون والتاء والياء
وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة او للبوس على تأويل
الدرع والياء لداود او للبوس ك عن ابن مسعود في قوله تعالى وداود وسليمان اذ
يحكمان في الحرث الاية قال كرم قد انبتت عناقيده فافسدته قال فقضى داود بالغنم
لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يا نبي الله قال وما ذاك قال تدفع الكرم الى صاحب
الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها حتى اذا
كان الكرم كما كان دفعت الكرم الى صاحبه ودفعت الغنم الى صاحبها رواه ابن جرير
وروى ابن ابي حاتم نحوه عن مسروق وعن شريح انه جاءه رجلان فقال احدهما ان
شاه هذا قطعت غزلا لي فقال شريح نهارا ام ليلا فان كان نهارا فقد برئ صاحب الشاة
وان كان ليلا فقد ضمن ثم قرأ وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الاية رواه ابن جرير
وهذا الذي قاله شريح شبيه بما رواه احمد وابو داود وابن ماجة بالاسناد ان ناقة
البراء بن عازب دخلت حائطا فافسدت فيه فقضى رسول الله صلعم على اهل الحوائط
حفظها بالنهار وما افسدت المواشي بالليل على اهلها وقد علل هذا الحديث وفي
صحيح البخاري عن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلعم اذا اجتهد الحاكم فاصاب
فله اجران واذا اجتهد فاخطأ فله اجر وفي السنن القضاة ثلثة قاض في الجنة وقاضيان
في النار رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل حكم بين الناس على جهل فهو في
النار ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار وقريب من هذه القصة المذكورة في
القرآن ما رواه الامام احمد في مسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم بينما
امرأتان معهما ابنان لهما جاء الذئب فاخذ احد الابنين فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى
فخرجتا فدعاهما سليمان فقال هاتوا السكين اشقه بينهما نصفين فقالت الصغرى يرحمك
الله هو ابنها لا تشقه فقضى به للصغرى واخرجه البخاري ومسلم ولسليمان الريح عاصفة
تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من
يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب
فيهما فالرفع على الابتداء والنصب للعطف على الجبال **فان قلت** وصفت هذه

الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى فهذا التوفيق بينهما قلت كانت في نفسها رخية
طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال تعالى غدوها شهر
ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين ان تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع
طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحكم اية الى اية ومعجزة مع معجزة وقيل كانت
في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته وكنا بكل شيء عالمين فنجري
الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا اي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر
ويتجاوزون ذلك الى المهن والاعمال وبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة
كما قال تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا عن امره او يبدلوا
او يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه وايوب اذ نادى ربه اني
مسني الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم
معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اي ناداه باني مسني الضر وقرئ اني بالكسر
على اضمار القول او لتضمين النداء معناه القول والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم
الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البنائين لافتراق المعنيين الطف في السؤال حيث
ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان عجوزا
تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها
الطفت في السؤال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان ايوب عليه السلام
روميا من ولد عيص بن اسحق عليه السلام وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله
كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد
لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب
ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلث عشرة وعن مقاتل سبعا وسبعة
اشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء
فقالت ثمانين سنة فقال انا استحي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما
كشف الله عنه احيى ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي ان امرأته ولدت بعد ستة
وعشرين ابنا اي لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم او رحمة منا لايوب
وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والاخرة ك
ذكر الله تعالى عن ايوب ما كان اصابه من البلاء في ماله وولده وجسده وذلك انه كان له
من الدواب والانعام والحرث شيء كثير واولاد كثير ومنازل مرضية فابتلي في ذلك كله و
قد قال النبي صلعم اشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل وفي الحديث الاخر
يبتلى الرجل على قدر دينه فان كان في دينه صلابة زيد في بلائه وقد كان نبي الله ايوب عليه السلام
غاية في الصبر وبه يضرب المثل في ذلك وقد روي في قصة ايوب عليه السلام اثار كثيرة مختصرة

ومطولة

ومطولة في اكثرها غرابة ونكارة والصواب عدم ايرادها والله اعلم واسمعيل وادريس
وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين قيل في ذي
الكفل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكانه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله في
المجد وعلى الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة
من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس و
ذو النون محمد واحمد ك اما ذو الكفل فالظاهر من السياق انه ما ذكر مع الانبياء الا
وهو نبي وقال اخرون انما كان رجلا صالحا وكان ملكا عادلا وحكما مقسطا وتوقف ابن
جرير في ذلك وعن مجاهد قال رجل صالح غير نبي تكفل لنبي قومه ان يكفيه امر قومه و
يقيمهم له ويقضي بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمي ذا الكفل وروى ابن جرير عن مجاهد
قال لما كبر اليسع قال لو اني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى انظر كيف
يعمل فجمع الناس فقال من يتقبل لي بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب
قال فقام رجل تزدريه العين فقال انا فقال انت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب قال نعم
قال فردهم ذلك اليوم وقال مثلها اليوم الاخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال انا فاستخلفه
قال فجعل ابليس يقول للشياطين عليكم بفلان فاعياهم ذلك فقال دعوني واياه فاتاه في صورة شيخ
كبير فاتاه حين اخذ مضجعه للقايلة وكان لا ينام الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب
فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال ان بيني وبين قومي
خصومة وانهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر الرواح وذهبت
القايلة فقال اذا رحت فاتني اخذ لك بحقك فانطلق وراح فكان في مجلسه فجعل ينظر هل يرى
الشيخ فلم يره فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه فلما رجع الى
القايلة واخذ مضجعه اتاه فدق الباب فقال من هذا قال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له
فقال الم اقل لك اذا قعدت فاتني قال انهم اخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك
حقك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا رحت فاتني قال ففاتته القايلة فراح فجعل ينظر
ولا يراه وشق عليه النعاس فقال لبعض اهله لا تدعن احدا يقرب هذا الباب حتى انام
فاني قد شق علي النوم فلما كان تلك الساعة جاء فقال له الرجل وراءك وراءك فقال اني قد اتيته
امس فذكرت له امري فقال لا والله لقد امرنا ان لا ندع احدا يقربه فلما اعياه نظر فرأى
كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت واذا هو يدق الباب من داخل فاستيقظ
الرجل فقال يا فلان الم امرك فقال اما من قبلي والله فلم تؤت فانظر من اين اتيت قال فقام
الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه في البيت فعرفه فقال اعدو الله قال
نعم اعييتني في كل شيء ففعلت ما ترى لاغضبك فسماه الله ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به

وهكذا رواه ابن ابي حاتم وروى نحوه ايضا من طريق اخر والله اعلم بصحته وقد روى
الامام احمد حديثا غريبا بالاسناد الى ابن عمر قال سمعت من رسول الله صلعم حديثا لو لم اسمعه
الا مرة او مرتين حتى عد سبع مرات ولكن قد سمعته اكثر من ذلك قال كان الكفل من بني اسرائيل
لا يتورع من ذنب عمله فاتته امراة فاعطاها ستين دينارا على ان يطاها فلما قعد
منها مقعد الرجل من امراته ارعدت وبكت فقال ما يبكيك اكرهتك قالت لا ولكن هذا
عمل لم اعمله قط انما حملتني عليه الحاجة قال فتفعلين هذا ولم تفعليه قط ثم نزل عنها
ثم قال اذهبي والدنانير لك ثم قال والله لا يعصي الله الكفل ابدا فمات من ليلته فاصبح
مكتوبا على بابه قد غفر الله للكفل هكذا وقع في الرواية الكفل من غير اضافة والله
اعلم وهذا الحديث لم يخرجه احد من اصحاب الكتب الستة واسناده غريب وعلى كل
تقدير فلفظ الحديث ان كان الكفل ولم يقل ذو الكفل فلعله رجل اخر والله اعلم انتهى
قلت ـــ وقد ذكر هذا الحديث في جامع الاصول ونسب اخراجه الى الترمذي

وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا
انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المومنين

النون الحوت فاضيف اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم
فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله
وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى
مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عندها وقرا ابو شرف
مغضبا قرئ نقدر ونقدر بالنون مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر على البنا
للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وسقدر الله عليه عقوبة وعن ابن عباس
انه دخل الى معوية فقال لقد ضربتني امواج القران البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي
خلاصا الا بك قال وما هي يا معوية فقرا هذه الاية وقال او يظن نبي الله ان لا نقدر
عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن
نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن
نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه
بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المومن المحقق بنزغات
الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا
والخطاب للمومنين في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب
الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن
الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطن الحوتين

علیهم

وظلمة

وظلمة البحر اي بانه لا اله الا انت او بمعنى اي وعن النبي صلعم ما من مكروب يدعو
بهذا الدعا الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم
ننجي وننجي ونجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجي النجا
المومنين فارسل اليا واسنده الى مصدره ونصب المومنين بالنجا فمتعسف بارد التعسف
ح قال ابو علي راوي هذه القراءة عن عاصم غالط فانه قرا بنونين كما روى حفص عنه
ولكن النون الثانية تخفى مع الجيم ولا يجوز تبيينها فالتبس على السامع مع الاخفاء
بالادغام فظن انه ادغام ويدل على هذا اسكانه اليا من نجي لان الفعل الماضي لا يسكن
اخره وايضا الفعل المبني للمفعول ينبغي ان يسند الى المفعول به ولا يسنده الى غيره
مع وجوده ك هذه القصة مذكورة هاهنا وفي سورة الصافات وفي سورة نون وذلك
ان يونس بن متى بعثه الله الى اهل قرية نينوى وهي قرية من ارض الموصل فدعاهم
الى الله فابوا عليه وتمادوا على امرهم فخرج من بين اظهرهم مغاضبا لهم ووعدهم بالعذاب
بعد ثلث فلما تحققوا منه ذلك وعلموا ان النبي لا يكذب خرجوا الى الصحرا باطفالهم و
انعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الامهات واولادها ثم تضرعوا الى الله عز وجل وجاروا
ورغت الابل وفصلانها وخارت البقر واولادها وثغت الغنم وحملانها فرفع الله
عنهم العذاب واما يونس عليه السلام فانه ذهب فركب مع قوم في سفينة فلججت بهم فخافوا ان
تغرق فيهم فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه فوقعت القرعة على يونس
عليه السلام فالقى نفسه في البحر وقد ارسل الله سبحانه من البحر الاخضر فيما قاله ابن مسعود حوتا
فشق البحار حتى جا فالتقم يونس حين القى نفسه من السفينة واوحى الله الى ذلك الحوت
الا تاكل له لحما ولا تهشم له عظما فان يونس ليس لك رزقا فانما بطنك يكون له سجنا
وعن ابي هريرة قال رسول الله صلعم لما اراد الله حبس يونس في بطن الحوت اوحى الله
الى الحوت ان خذه ولا تخدش لحما ولا تكسر عظما فلما انتهى الى اسفل البحر سمع يونس
حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله اليه وهو في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر
قال فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا
بارض غربة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد
الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند
ذلك فامر الحوت بالقائه فقذفه في الساحل كما قال الله عز وجل وهو سقيم رواه ابن جرير
ورواه البزار في مسنده من طريق محمد بن اسحق عن عبد الله بن رافع عن ابي هريرة فذكر
نحوه ثم قال لا نعلمه يروى عن النبي صلعم الا من هذا الوجه بهذا الاسناد وعن سعد بن
ابي وقاص قال ان رسول الله صلعم ذكر لنا اول دعوة ثم جا اعرابي فشغله حتى قام رسول الله

فاتبعته فلما اشفقت ان يسبقني الى منزله ضربت بقدمي الارض فالتفت الي رسول الله فقال
من هذا ابو اسحق قال قلت نعم يا رسول الله قال فمه قلت لا والله الا انك ذكرت لنا اول دعوة
ثم جاء هذا الاعرابي فشغلك فقال نعم دعوة ذي النون اذ هو في بطن الحوت لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين فانه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط الا استجاب له رواه احمد و
الترمذي والنسائي في اليوم والليلة وفيه قصة وله شواهد وزكريا اذ نادى ربه
رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه
انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين
سال ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مستسلما
فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فانك خير وارث اصلاح زوجه ان
جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق الضمير
في انهم للمذكورين من الانبيا يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا انهم
كانوا مبادرين الى ابواب الخير ومسارعين في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادون
وقرئ رغبا ورهبا بالاسكان وهو كقوله يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه خاشعين
قال الحسن ذللا لامر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين
وسئل الاعمش فقال اما اني سالت ابرهيم النخعي فقال الا تدري قلت افدني قال بينه وبين
الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فليرى الله منه خيرا لعلك ترى انه ان ياكل خشنا ويلبس
خشنا ويطاطئ راسه والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها
وابنها اية للعالمين احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت
لم يمسسني بشر ولم اك بغيا **فان قلت** نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه
قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله تعالى
فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احيا مريم قلت معناه نفخنا الروح
في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان تقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت
في المزمار في بيته ويجوز ان يراد فعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلوات
الله عليه لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها **فان قلت** هلا قيل ايتين
كما قال وجعلنا الليل والنهار ايتين قلت لان حالهما بمجموعهما اية واحدة وهي ولادتها
اياه من غير فحل ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم
بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه
وانا له كاتبون الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم
التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم

اله واحد فاعبدون ونصب الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما
جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني مبتدا والخطاب للناس كافة والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف
الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى اخرين ويقبح عندهم
فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم
فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا
لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة
الى الله يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل
في اعطائه اذا قيل لله شكور وقد نفى نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه وانا
له كاتبون اي نحن كاتبوا ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع
ومثاب عليه صاحبه وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج
وماجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار
الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين استعير الحرام للممتنع وجوده
ومنه قوله تعالى ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم وابى ان يكونا لهم وقرئ وحرم
وحرم بالكسر والفتح وحرم وحرم ومعنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها
ومعنى الرجوع الرجوع عن الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الاية ان قوما عزم الله على
او حل على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا او ينيبوا الى ان تقوم القيمة فحينئذ يرجعون
ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا
يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب الاليم وقرئ انهم بالكسر وحق
هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كانه قيل وحرام على قرية اهلكناها ذاك
وهو المذكور في الاية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم
علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراة بالفتح يصح حملها على
هذا اي لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول **فان قلت** بم تعلقت
حتى واقعة غاية له واية الثلاث هي قلت هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع
رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيمة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة
من الشرط والجزا اعني اذا وما في حيزها حذف المضاف الى ياجوج وماجوج وهو
سدهما كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرئ
اجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزا تسعة منها ياجوج
وماجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم ياجوج وماجوج
يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز من الارض وقرا ابن عباس من كل جدث

وهو القبيح التأخذانه والقاتمته وترى يسلون بضم السين وتسل وعسل اسرع فاذا
هي اذا المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفا كقوله اذا هم يقنطون فاذا جات
الفا معها تعاونتا على وصل الجزا بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة
كان سديدا وهي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا
يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين
كفروا ك وقد ورد في خروج ياجوج وماجوج احاديث متعددة من السنة النبوية
فعن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلعم يقول تفتح ياجوج وماجوج فيخرجون
على الناس كما قال الله عز وجل وهم من كل حدب ينسلون فيغشون الناس وينحاز
المسلمون عنهم الى مدائنهم وحصونهم ويضمون اليهم مواشيهم ويشربون مياه الارض
حتى ان بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبسا حتى ان من بعدهم ليمر
بذلك النهر فيقول قد كان ههنا ماء مرة حتى اذا لم يبق من الناس احد الا في حصن
او مدينة قال قائلهم هولاء اهل الارض قد فرغنا منهم بقي اهل السما ثم يهز احدهم
حربته ثم يرمي بها الى السما فترجع اليه مخضبة دما للبلاء والفتنة فبيناهم على ذلك
بعث الله عز وجل دودا في اعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في اعناقها فيصبحون
موتى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون الا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا
العدو قال فيتجرد منهم رجل محتسبا نفسه قد اوطنها على انه مقتول فينزل فيجد بعضهم
على بعض فينادي يا معشر المسلمين الا ابشروا ان الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون
من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها رعي الا لحومهم فتشكر عليه احسن
ما شكرت عن شي من النبات اصابته قط رواه احمد وابن ماجة ع النواس بن سمعان
قال ذكر رسول الله صلعم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة
النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شانكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال فخفضت
فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة من النخل قال غير الدجال اخوفني عليكم ان يخرج وانا فيكم
فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب
قطط عينه طافية كاني اشبهه بعبد العزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرا عليه فواتح
سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا
قلنا يا رسول الله وما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر
ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة اتكفينا فيه صلوة يوم قال لا اقدروا
له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فياتي على
القوم فيدعوهم فيومنون به فيستجيبون له فيامر السما فتمطر والارض فتنبت فتروح

عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرى واسبغه ضروعا وامده خواصر ثم ياتي القوم فيدعوهم
فيردون عليه قوله فينصرفون عنه فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شي من اموالهم ويمر بالخربة فيقول
لها اخرجي كنوزك فتتبعه كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتليا شبابا فيضربه بالسيف
فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما
هو كذلك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء
شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طاطا راسه قطر
واذا رفعه تحدر منه جمان كاللولو فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي
حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم ياتي عيسى عيسى قوم قد عصمهم
الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ اوحى
الله عز وجل الى عيسى بن مريم اني قد اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز
عبادي الى الطور ويبعث الله ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر اوائلهم
على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر اخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله
عيسى عليه السلام واصحابه حتى يكون راس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار فيرغب نبي الله
عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى موتى كموت نفس
واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى عليه السلام واصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع
شبر الا ملاه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام واصحابه الى الله تعالى فيرسل الله
طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث ما شاء الله ثم يرسل مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا
وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرك وردي بركتك فيومئذ
تاكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك الله في الرسل حتى ان اللقحة من
الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم
لتكفي الفخذ من الناس بينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتاخذهم تحت اباطهم فتقبض
روح كل مومن ومسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم
الساعة وفي رواية بنحوه وزاد بعد قوله لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا
الى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون قد قتلنا من في الارض هلم فلنقتل من
في السما فيرمون بنشابهم فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما اخرجه مسلم واخرجه
الترمذي بنحوه واخرجه ابو داود مختصرا ك والاحاديث في هذا كثيرة والاثار
عن السلف كذلك انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون
لو كان هولاء الهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما

اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي
كنتم توعدون ما تعبدون من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم
لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم وتصدقه ما روي ان رسول الله صلعم دخل المسجد
وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر
بن الحرث فكلمه رسول الله صلعم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم الاية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره
الوليد بن المغيرة بقول رسول الله صلعم فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته
فدعوه فقال ابن الزبعرى أأنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة اليس
اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال رسول الله
صلعم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى الاية اولئك عنها مبعدون يعني عزيرا والمسيح والملائكة **فان قلت** لم قرنوا
بآلهتهم قلت لانهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم
بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم قدروا انهم يستشفعون
بهم في الاخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم
يكن شيء ابغض اليهم منهم **فان قلت** اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى
لهم فيها زفير قلت اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم فيها زفير
وان لم يكن الزافرين الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالتباس والحصب المحصوب
به اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ
حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت من نار فلا
يسمعون ويحبون ان يصمهم الله كما يعميهم الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث احسن
اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة ويروى ان عليا رضي الله
عنه قرأ هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمن وطلحة والزبير وسعد
وعبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها
والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة طلب النفس اللذة وقرئ لا يحزنهم من احزن
والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات
ومن في الارض وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل
حين يذبح الموت على صورة كبش املح اي تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة يقولون
هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حل يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب
كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين العامل في يوم نطوي لا يحزنهم

او الفزع

او الفزع او تتلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول وقرئ السجل بوزن العتل و
السجل بلفظ الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة اي كما يطوى الطومار للكتابة اي
ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن
جمع فمعناه للمكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوي كتب بني
ادم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلعم والكتاب على هذا اسم الصحيفة
المكتوب فيها اول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى
نعيد اول خلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء
فان قلت وما اول الخلق حتى نعيده كما بدأه قلت اوله ايجاده عن العدم
فكما اوجده اولا عن عدم نعيده ثانيا عن عدم **فان قلت** ما بال خلق منكرا قلت
هو كقولك هو اول رجل جاءني تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا
رجلا فكذلك معنى اول خلق اول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه
اخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي
بدأناه نعيده واول خلق ظرف لبدأناه اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من
اللفظ الثابت في المعنى وعدا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين
اي قادرين على ان نفعل ذلك عن ابن عمر قال السجل ملك فاذا صعد بالاستغفار قال
اكتبها نورا وعن السدي السجل ملك موكل بالصحف فاذا مات الانسان دفع كتابه الى
السجل فطواه ورفعه الى يوم القيمة وقيل المراد به اسم رجل صحابي كان يكتب للنبي صلعم
الوحي روى ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال السجل الرجل وعنه ايضا قال السجل كاتب للنبي
صلعم وهكذا رواه ابو داود والنسائي وابن جرير ورواه ابن ابي عدي ثم قال وهو غير
محفوظ ورواه الخطيب البغدادي عن نافع عن ابن عمر قال السجل كاتب النبي صلعم وهذا
منكر جدا من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح اصلا وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية
ابن عباس الى داود وغيره لا يصح اصلا وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه وان
كان في سنن ابي داود وقد تصدى الامام ابو جعفر بن جرير للانكار على هذا الحديث
ورده اتم رد وقال لا يعرف في الصحابة احد اسمه السجل وكتاب النبي صلعم كانوا
معروفين وليس فيهم احد اسمه السجل وصدق رحمه الله في ذلك وهو من اقوى الادلة
على انكار هذا الحديث واما من ذكره في اسماء الصحابة فانما اعتمد على هذا الحديث
لا على غيره والله اعلم وعن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلعم بموعظة فقال انكم
محشورون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا
انا كنا فاعلين وذكر تمام الحديث رواه احمد واخرجاه في الصحيحين ولقد كتبنا في الزبور

من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين عن الشعبى زبور داود والذكر التورية وقيل اسم الجنس
ما انزل على الانبيا من الكتب والذكر ام الكتاب يعنى اللوح اي يرثها المومنون بعد اجلا
الكفار كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال
موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشا من عباده والعاقبة
للمتقين وعن ابن عباس هي ارض الجنة وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلعم
الاشارة الى المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة
والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية ارسل صلعم رحمة للعالمين لانه جا بما يسعدهم ان
اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما اتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر
الله عينا غديقة فيسقى ناس زروعهم ومواشيهم بمايها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون
عن السقى فيضيعوا فالعين المفجرة فى نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان
محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم
اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال ك عن ابى هريرة قال قيل يا رسول الله
ادع على المشركين قال انى لم ابعث لعانا انما بعثت رحمة انفرد باخراجه مسلم وفى الحديث
الاخر انما رحمة مهداة وفى رواية اخرى ان الله بعثنى رحمة مهداة بعثت برفع قوم
وخفض اخرين قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون فان تولوا
فقل اذنتكم على سوآء وان ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من
القول ويعلم ما تكتمون وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قل رب
احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون انما لقصر الحكم على شي او لقصر
الشي على حكم كقولك انما زيد قايم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان فى هذه الاية لان
انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قايم
وفايدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحي وفايدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحى الى
رسول الله صلعم مقصور على استيثار الله بالوحدانية وفى قوله فهل انتم مسلمون ان
الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه
ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى ان الذى يوحى الى
فتكون ما موصولة آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله فى الجرى مجرى الانذار
ومنه قوله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلزة

اذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء

والمعنى انى بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه

عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدايه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم
العهد وشهر النبذ واشاعه واذنهم جميعا بذلك على سواء مستوين فى الاعلام به لم
يطوه عن احد منهم وكاشف الكل وقشر العصا عن لحايها وما توعدونه من غلبة المسلمين
عليكم كاين لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادرى متى يكون
ذلك لان الله لم يعلمنى علمه ولم يطلعنى عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام
الطاعنين فى الاسلام وما تكتمونه فى صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو
مجازيكم عليه وما ادري لعل تاخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتيع لكم
الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد فى وقت هو فيه حكمة قرى قل وقال
على حكاية قول رسول الله صلعم ورب احكم بالحق على الاكتفا بالكسرة ورب احكم
على الضم وربي احكم على افعل التفضيل وربي احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب
لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطاتك
على مضر قرى تصفون بالتا واليا كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا
يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب امالهم ونصر رسوله
والمومنين وخذلهم ك قال قتادة كان الانبيا عليهم السلام يقولون ربنا افتح بيننا و
بين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وامر رسول الله ان يقول رب احكم بالحق فكان
اذا شهد غزاة يقول ذلك وعن مالك عن زيد بن اسلم كان رسول الله صلعم اذا
شهد قتالا قال رب احكم بالحق

سورة الحج مكية

غير ست ايات وهي من هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شي عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة
عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
ولكن عذاب الله شديد الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشيا
عن مقارها ومراكزها ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كانها هي التى تزلزل
الاشيا على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها
على طريق الاتساع فى الظرف واجرايه مجرى المفعول به كقوله بل مكر الليل والنهار
وهي الزلزلة المذكورة فى قوله اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف فى وقتها فعن
الحسن انها تكون يوم القيمة وعن علقمة والشعبى عند طلوع الشمس من مغربها امر
بنى ادم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى

تلك المرضعة مبصايرهم ويبصرونها يعرفونهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد
ذلك اليوم باحتمال ما امرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يبقى منهم من تلك
الافزاع الا ان يتردوا وابو داود وروي ان هاتين الايتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق
فقرأهما رسول الله صلعم فلم نر باكيا اكثر من تلك الليلة فلما اصبحوا فلما اصبحوا لم يحطوا
السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين
حزين وباك ومفكر يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة وقرئ تُذهل كل
مرضعة على البناء للمفعول وتُذهل كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب
عن الامر مع دهشة **فان قلت** لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة هي
التي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع
في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت
الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها او عن
الذي ارضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع
الحامل ما في بطنها لغير تمام وترى قرئ وتُرى بالضم من اريتك قائما او رؤيتك قائما
والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وانثه على
تاويل الجماعة وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان
وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب
والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من
خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب
السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب
فان قلت لم قيل اولا ترونها ثم قيل ترى على الافراد قلت لان الرؤية اولا
علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة اخيرا بكون الناس على حال السكر
فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم ك عن الشعبي وغيره يا ايها الناس
اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال هذا في الدنيا قبل يوم القيمة وقد اورد
الامام ابو جعفر بن جرير مستند من قال ذلك في حديث الصور من رواية اسمعيل بن رافع
قاضي اهل المدينة عن يزيد بن ابي زياد عن رجل من الانصار عن محمد بن كعب القرظي عن
رجل عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض
خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر
متى يؤمر قال ابو هريرة يا رسول الله وما الصور قال قرن قال فكيف هو قال قرن
عظيم ينفخ فيه ثلث نفخات الاولى نفخة القيام لرب العالمين يامر الله اسرافيل بالنفخة

الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع اهل السموات واهل الارض الا من شاء الله
ويامره فيمدها ويطيلها فلا تفتر وهي التي يقول الله وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما
لها من فواق فتسير الجبال فتكون سرابا وترج الارض باهلها رجا وهي التي يقول
الله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتكون الارض
كالسفينة في البحر تضربها الامواج تكفؤها باهلها وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الارواح
فيميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير
الشياطين هاربة حتى تاتي الاقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي
الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله يوم تولون مدبرين ما لكم من
الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الارض من
قطر الى قطر ورأوا امرا عظيما فاخذهم لذلك من الكرب ما الله اعلم به ثم نظروا
الى السماء فاذا هي كالمهل ثم خسفت شمسها وخسف قمرها وانتثرت نجومها ثم كشطت
عنهم قال رسول الله صلعم والاموات لا يعلمون بشيء من ذلك قال ابو هريرة فمن استثنى
الله حين يقول ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال اولئك الشهداء
وانما يصل الفزع الى الاحياء واولئك احياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله شر ذلك اليوم
وامنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذي يقول الله يا ايها الناس اتقوا
ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الى قوله شديد وهذا الحديث قد رواه الطبراني وابن جرير
وابن ابي حاتم وغير واحد مطولا جدا والغرض منه انه دل على ان هذه الزلزلة كائنة
قبل يوم الساعة واضيفت الى الساعة لقربها منها كما يقال اشراط الساعة ونحو ذلك والله
اعلم وقال اخرون بل ذلك هول وفزع وزلزال وبلبال كائن يوم القيمة في العرصات
بعد القيام من القبور واختار ذلك ابن جرير واحتجوا باحاديث الاول عن عمران
بن حصين ان رسول الله صلعم قال وهو في بعض اسفاره وقد تقارب من اصحابه السير
رفع بهاتين الايتين صوته يا ايها الناس اتقوا ربكم الى قوله شديد فلما سمع اصحابه
بذلك حثوا المطي وعرفوا انه عند قول يقوله فلما تأشبوا حوله قال اتدرون اي
يوم ذاك يوم ينادي ادم عم فيناديه ربه عز وجل فيقول يا ادم ابعث بعثا الى
النار فيقول يا رب وما بعث النار فيقال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون في النار
وواحد في الجنة قال فابلس اصحابه حتى ما اوضحوا بضاحكة فلما راى ذلك قال ابشروا
واعملوا فوالذي نفس محمد بيده انكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء قط الا كثرتاه ياجوج
وماجوج ومن هلك من بني ادم وبني ابليس قال فسري عنهم ثم قال اعملوا وابشروا
فوالذي نفس محمد بيده ما انتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير والرقمة في ذراع

الذابة رواه احمد والترمذي والنساي بنحوه وقال الترمذي حسن صحيح وزاد في
روايه لاحمد والترمذي ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبروا ثم قال اني
لارجوا ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبروا ثم قال اني لارجوا ان تكونوا نصف اهل الجنة
فكبروا قال ولا ادري اقال الثلثين ام لا وعن ابي سعيد قال النبي صلعم يقول الله تعالى
يوم القيمة يا ادم فيقول لبيك ربنا وسعديك فينادي بصوت ان الله يامرك ان تخرج
من ذريتك بعثا الى النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف اراه قال تسعماية
وتسعة وتسعين فحينيذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى
وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم
قال النبي صلعم من ياجوج وماجوج تسعماية وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم انتم في
الناس كالشعرة البيضا في جنب الثور الاسود اني لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة
فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا رواه البخاري
ورواه ايضا في غير هذا الموضع ومسلم والنساي وعن عايشة عن النبي صلعم قال انكم
تحشرون يوم القيمة حفاة عراة غرلا قالت عايشة يارسول الله الرجال والنسا ينظر
بعضهم الى بعض قال يا عايشة ان الامر اشد من ان يهمهم ذلك رواه احمد واخرجاه في
الصحيحين وعن عايشة قالت قلت يارسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيمة قال
يا عايشة اما عند ثلث فلا اما عند الميزان حتى يثقل او يخف فلا واما عند تطاير الكتب
فاما يعطى بيمينه او يعطى بشماله فلا وحين يخرج عنق من النار فينطوي عليهم ويتغيظ
عليهم ويقول ذلك العنق وكلت بثلاثة وكلت بمن دعا مع الله الها اخر ووكلت بمن لا
يومن بيوم الحساب ووكلت بكل جبار عنيد قال فينطوي عليهم ويرميهم في غمرات
ولجهنم جسر ادق من الشعر واحد من السيف عليه كلاليب وحسك ياخذن
من شا الله والناس عليه كالبرق وكالطرف وكاجاويد الخيل والركاب والملايكة يقولون
رب سلم سلم فناج مسلم ومخدوش ومكوّر على وجهه والاحاديث في اهوال
القيمة والاثار كثيرة جدا ولهذا موضع اخر والله اعلم ومن الناس من يجادل في
الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه
الى عذاب السعير قيل نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملايكة بنات الله
والقران اساطير الاولين والله غير قادر على احيا من بلي وصار ترابا وهي عامة
في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا
يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة
فهو يخبط خبط عشوا غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان

غار

عات علم من حاله وتبين وظهر انه من جعله وليا له لم تثمر له ولايته الا الاضلال
عن طريق الجنة والهداية الى النار وما ارى روسا اهل البدع والاهوا والحشو
المتلقبين بالامامة في دين الله الا داخلين تحت كل هذا وهم لا اوليا بل اشد الشياطين
اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا
وكانهم ساطوه بلحومهم ودمايهم واياهم عنى من قال

ويا رب مقفو الخطا بين قومه طريق نجاة بينهم مستو نهج •
ولو قرأوا في اللوح ما خط فيه من بيان اعوجاج في طريقته عجوا •

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي ارتضيته لملايكتك في سماواتك وانبيايك في
ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين والكتبة عليه مثل اي كانما كتب عليه ضلال
من تولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرى انه فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان
الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كانما كتب
عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على تقدير قيل او على ان
كتب فيه معنى القول يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من
تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في
الارحام ما نشا الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من
يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيا وترى الارض
هامدة فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك
بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شي قدير وان الساعة اتية لا
ريب فيها وان الله يبعث من في القبور قرأ الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الحلب والطرد
في الحلب والطرد كانه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا الى بدء خلقكم والعلقة
قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملسا
من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة
خلقا اذا كانت ملسا كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس
من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم
وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة
لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من
نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والما وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين
ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل
في القدرة من تلك واهون في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام

دان من قدر

هم

بان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ
ابن ابي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقر ويخرجكم
بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء اذا صبه فالقراءة
بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشاء ان يقره من ذلك الى اجل مسمى وهو وقت
الوضع اخره ستة اشهر او تسعة او سنتين او اربع او كما شاء وقدر وما لم يشا اقراره
مجته الارحام او اسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم
مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام
من نقر حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف فاكلفهم ويعضد هذه القراءة
قوله ثم لتبلغوا اشدكم ثم وحده لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل
واحد منكم طفلا الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع
التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود والاباطيل وغير ذلك وكانها شدة
في غير شئ واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله عز وجل
اذ ارذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى في حال طفوليته ضعيف البنية
أوانم
سخيف العقل قليل الفهم بين انه كما قدر ان يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه
حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي الى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم
شيئا اي ليصير نسيا بحيث اذا كسب علما في شئ لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسال
عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سالك عنه وقرأ ابو عمرو
العمر بسكون الميم الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها
وكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه اهتزت وربت تحركت بالنبات
وانتفخت وقرئ وربأت اي ارتفعت والبهيج الحسن السار للناظر اليه اي ذلك الذي
ذكرنا من خلق بني ادم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم واللطائف
حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق الثابت
الموجود وانه قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد
وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد ح ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلعم
وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة
مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات فيكتب رزقه واجله
وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح الحديث اخرجه البخاري ومسلم وابو داود
والترمذي ق عامر بن واثلة انه سمع عبد الله بن مسعود يقول الشقي من شقي في بطن
امه والسعيد من وعظ بغيره فاتى رجلا من اصحاب رسول الله صلعم يقال له حذيفة

بن اسيد

بن أسيد الغفاري فحدثه بذلك من قول ابن مسعود وقال له كيف يشقى رجل بغير
عمل فقال له الرجل اتعجب من ذلك فاني سمعت رسول الله صلعم يقول اذا مر بالنطفة
ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها و
لحمها وعظمها ثم يقول يا رب اذكر ام انثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول
يا رب اجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب رزقه فيقضي ربك ما شاء
ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما امر ولا ينقص هذه احدى
روايات حديث اخرجه مسلم ك عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف
يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه قال ما مررت بواد اهلك محلا قال بلى قال ثم
مررت به يهتز خضرا قال بلى قال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك ايته في خلقه هذا طرف
من حديث رواه احمد وابو داود وابن ماجه **تنبيه** تجاوز الحافظ ابن كثير
في هذا الموضع احاديث وقال في بعضها ان فيه نكارة شديدة وانه غريب جدا او هو كما
قال والله اعلم ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني
عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق
ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد عن ابن عباس انه ابو جهل ابن هشام
وقيل كرر كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين
والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة
وبالكتاب الوحي السلام اي يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلثة وثني العطف عبارة عن الكبر
والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه
بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل تعليل للجدال وقرئ بضم الياء وفتحها **فان قلت**
ما كان غرضه في جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا
جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال قلت لما ادى جداله الى الضلال جعل كأن
غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل
الى الضلال م
كالخارج من الهدى وخزيه ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبب فيما مني
به من خزي الدنيا وعذاب الاخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته الفجار
واثابته الصالحين ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به
وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين
يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو
لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير على حرف على طرف من
الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون

وطمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قرّ واطمأن والا فرّ
وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت
فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ
دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر على خلافه قال ما اصبت الا شرا
وانقلب وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصائب فتشاءم
بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة
بترك التسليم لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احداهما ذهاب
ما اصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا
والاخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع
المضمر وهو وجه حسن او على انه خبر مبتدأ محذوف استعير الضلال البعيد من ضلال
من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلاله **فان قلت** الضر والنفع
منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الايتين وهذا تناقض قلت اذا حصل المعنى ذهب
هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو
يعتقد فيه بجهله وضلاله انه ينتفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيمة يقول هذا الكافر
بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة
التي ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير او كرر يدعو كانه قال يدعو
يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من
نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر
والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن ان لن ينصره الله
في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما
يغيظ وكذلك انزلناه ايات بينات وان الله يهدي من يريد هذا الكلام قد دخله
اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان يظن من حاسديه
واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص
وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل
مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل
يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمى الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه
ومنه قيل للبهر القطع وسمى فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره
او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده

الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي
ان ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون
ما وعد الله رسوله من النصر واخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت
امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه ان الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيئته
ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر ولا استسلام
فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك
اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القرآن كله ايات بينات ولان الله يهدي به الذين يعلم
انهم يؤمنون او يثبت الذين امنوا ويزيدهم هدى انزله كذلك مبينا ان الذين امنوا والذين
هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم
يوم القيمة ان الله على كل شيء شهيد الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال
والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان
خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم
وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم اي بين المؤمنين والكافرين وادخلت ان على كل واحد من
جزئي الجملة لزيادة التأكيد ونحوه قول جرير

ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم

الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم
والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن
الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من افعاله
ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بادخال افعال المكلف
في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه **فان قلت**
فما تصنع بقوله وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين احدهما ان السجود الذي
فسرته به لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني ان السجود قد اسند على سبيل
العموم الى من في الارض من الانس والجن اولا فاسناده الى كثير منهم اخرا مناقضة
قلت لا انظمه في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وانما ارفعه
بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة
ولم اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حقه لان اللفظ الواحد
لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين او ارفعه على الابتداء والخبر محذوف
وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويكون من
الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز

ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير اعلى كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرئ حق بالضم وقرئ حقا اي حق عليه العذاب حقا ومن اهانه الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بقي مهانا لن تجد له مكرما وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانه ولا يشا من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين ك عن ابن عباس قال جاء رجل فقال يا رسول الله اني رايتني الليلة وانا نائم كاني اصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها وهي تقول اللهم اكتب لي بها عندك اجرا وضع عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس فقرا النبي صلعم سجدة ثم سجد فسمعته يقول مثل ما اخبره الرجل عن قول الشجرة رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وعن عقبه بن عامر قلت يا رسول الله افضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين قال نعم فمن لم يسجدهما فلا يقراهما رواه احمد وابو داود والترمذي وله شواهد هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق كانه قيل هذان فوجان او فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا ولو قيل هؤلاء خصمان او اختصما جاز ان يراد المومنون والكافرون قال ابن عباس رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم اي في دينه وصفاته وروي ان اهل الكتاب قالوا للمومنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المومنون نحن احق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا وكتابنا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وفي روايه عن الكسائي خصمان بالكسر وقرئ قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا كالثياب المظاهره على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران الحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة اي اذا صب الحميم على رؤسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب امعاهم واحشاهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاهم والمقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها وقرئ

الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا تكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم يخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما روي عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ك في الصحيحين عن ابي ذر انه كان يقسم قسما ان هذه الايه هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في حمزة وصاحبيه علي وعبيدة وعتبة وصاحبيه اي شيبة والوليد بن عتبة يوم برزوا في بدر وعن ابي هريره عن النبي صلعم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الجمجمه حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان رواه الترمذي وغيره وعن ابي سعيد عن رسول الله صلعم قال لو ان مقمعا من حديد وضع في الارض فاجتمع الثقلان ما اقلوه من الارض وعنه ايضا قال قال رسول الله صلعم لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان ولو ان دلوا من غساق يهراق في الدنيا لانتن اهل الدنيا رواهما احمد ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد يحلون عن ابن عباس من حليت المراة فهي حال ولؤلؤا بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولولوا بقلب الهمزة الثانيه واوا ولولوا بقلبهما واوين ولوليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانيه ياء كادل وادلو كادل فيمن جر ولولي ولوليا بقلبهما ياءين عن ابن عباس وهداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنه ك في الحديث المتفق عليه عن النبي صلعم تبلغ الحليه من المومن حيث يبلغ الوضوء وفي الحديث لا تلبسوا الحرير ولا الديباج في الدنيا فانه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الاخرة وفي الصحيح انهم يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ان الذين كفروا يقال فلان يحسن الى الفقراء ويعين المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعشه في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله ويصدون عن سبيل الله اي الصد ومنهم مستمر دائم للناس اي الذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتاني وتطنين وطاري ومكي وافاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفه قائلين بان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكه واجارتها وعند الشافعي لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه



فاحتج بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وقال انسب الديار الى مالكيها والى غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب دار السجن من مالكيه او من غير مالكيه سواء بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان ومن الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطا قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمرو انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له كنا نحدث انه من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود والمعنى من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه ومن يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر المبتدا ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك عن ابن مسعود الهمة في الحرم تكتب ذنبا ك

قوله سواء العاكف فيه والباد هذه المسئلة هي التي اختلف فيها الشافعي واسحق بن راهويه بمسجد الخيف واحمد بن حنبل فذهب الشافعي الى ان رباع مكة تملك وتورث وتوجر واحتج بحديث الزهري عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن اسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله اتنزل غدا في دارك بمكة فقال وهل ترك لنا عقيل من رباع ثم قال لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وبما ثبت ان عمر بن الخطاب اشترى من صفوان بن امية دارا بمكة فجعلها سجنا باربعة الاف درهم وبه قال طاوس وعمرو بن دينار وذهب اسحق بن راهويه الى انها لا تورث لانها لا توجر وهو مذهب طائفة من السلف ونص عليه مجاهد وعطا واحتج اسحق بن راهويه بما رواه ابن ماجه بالاسناد الى علقمة بن نضلة قال توفي رسول الله صلعم وابو بكر وعمر وما تدعى رباع مكة الا السوائب من احتاج سكن ومن استغنى اسكن وقال عبد الرزاق عن ابن مجاهد عن ابيه عن عبد الله بن عمرو قال لا يحل بيع دور مكة ولا كراها وقال ايضا عن ابن جريج كان عطا ينهى عن الكراء في الحرم واخبرني ان عمر بن الخطاب كان ينهى ان تبوب دور مكة لان ينزل الحاج في عرصاتها فكان اول من بوب داره سهيل بن عمرو فارسل اليه عمر بن الخطاب في ذلك فقال انظرني يا امير المومنين اني كنت امرا تاجرا فاردت ان اتخذ بابين يحبسان على ظهري قال فذلك اذن وقال عبد الرزاق عن معمر عن منصور عن مجاهد ان عمر بن الخطاب قال يا اهل مكة لا تتخذوا لدوركم ابوابا لينزل البادي حيث شاء وتوسط الامام احمد فقال تملك وتورث ولا توجر جمعا بين الادلة والله اعلم وعن ابن مسعود في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال لو ان رجلا اراد فيه بالحاد وهو بعدن ابين لاذاقه الله من العذاب الاليم رواه ابن ابي حاتم وعنه ايضا ما من رجل يهم بسيئة فتكتب عليه ولو ان رجلا بعدن ابين هم ان يقتل رجلا بهذا البيت لاذاقه الله من عذاب اليم ع يعلى بن امية ان رسول الله صلعم قال ان احتكار الطعام في الحرم الحاد اخرجه ابو داود واذ بوانا لابرهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق

واذكر حين جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السما ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمرا فاعلم الله ابرهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم وان هي المفسرة

فان قلت كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة قلت كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابرهيم قلنا له لا تشرك بي شيا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة واذن في الناس ناد فيهم وقرا ابن محيصن وآذن والندا بالحج ان يقول حجوا وعليكم بالحج وروى انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن انه خطاب لرسول الله صلعم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى مثل عجالى عن ابن عباس وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال كانه قيل رجالا وركبانا ياتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ ياتون صفة للرجال والركبان والعميق البعيد وقرا ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق ك عن في الصحيحين عن ابي ذر قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال بيت المقدس قلت كم بينهما قال اربعون سنة وقد احتج بعض العلما بهذه الاية على ان الحج ماشيا لمن قدر عليه افضل من الحج راكبا لانه تعالى قدمهم في الذكر وعن ابن عباس قال ما آسى على شي الا اني وددت اني كنت حججت ماشيا والذي عليه الاكثرون ان الحج راكبا افضل اقتدا برسول الله صلعم فانه حج راكبا مع كمال قوته ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما

ذرقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البايس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينيه ودنيويه لا توجد في غيرها من العبادات وعن ابي حنيفه انه كان يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فضل العبادات على الحج لما شاهد من تلك الخصايص وكنى عن الذبح والنحر بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلى فيما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيا من ذلك الحسن والروعة الايام المعلومات ايام العشر عند ابي حنيفه وهو قول الحسن وقتاده وعند صاحبيه هي ايام النحر البهيمة مبهمة في كل ذوات الاربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز الامر بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من نسايكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقرا ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثمه استحب الفقها ان ياكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود انه بعث بهدى وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبه يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وايتجروا البايس الذي اصابه بوس اي شدة والفقير الذي اضعفه الاعسار قضا التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضا ازالة التفث وليوفوا نذورهم مواجب حجهم او ما عسى ينذرونه من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع والعتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس وعن الحسن وعن قتادة اعتق من الجبابره كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعنه مجاهد اعتق من الغرق وقيل بيت عتيق من قولهم عتاق الخيل والطير

فان قلت قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال في اخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه ابرهه فعل به ما فعل

ك عن ابن عباس عن النبي صلعم قال ما من ايام العمل فيها افضل منه في هذه الايام قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا رجل يخرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشي اخرجه البخارى ورواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجة بنحوه وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلعم ما من ايام اعظم عند الله ولا احب اليه العمل فيهن من هذه الايام العشر فاكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد رواه

احمد

احمد وروى ايضا عن جابر مرفوعا ان هذا هو العشر الذي اقسم الله به في قوله والفجر وليال عشر وقال بعض السلف انه المراد بقوله واتممناها بعشر قال البخارى وكان ابن عمر وابو هريره يخرجان الى السوق في ايام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما وهذه العشر تشتمل على يوم عرفه الذي ثبت في صحيح مسلم عن ابي قتادة قال سيل رسول الله صلعم عن صيام يوم عرفه فقال احتسب على الله ان يكفر السنة الماضيه والاتيه وتشتمل على يوم النحر الذي هو يوم الحج الاكبر وقد ورد في حديث انه افضل الايام عند الله وبالجملة فهذا العشر قد قيل فيه انه افضل ايام السنه كما نطق به الحديث ففضله كثير على عشر رمضان الاخيره لان هذا شرع فيه ما شرع في ذلك من صلوة وصيام وصدقه وعمرة ويمتاز هذا باختصاصه باداء فرض الحج فيه وقيل ذلك افضل لاشتماله على ليلة القدر التي هي خير من الف شهر وتوسط اخرون فقالوا ايام هذا افضل وليالي ذاك افضل وبهذا يجتمع شمل الادله والله اعلم ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفا لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السما فتخطفه الطير او تهوى به الريح في مكان سحيق ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر والشان ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى اخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفه من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبه الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له اي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها المتلو لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم ايه تحريمه وذلك قوله في سورة المايده حرمت عليكم الميتة والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل شيا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسايبه وغير ذلك وان تحلوا اشيا مما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك لما حث على تعظيم حرماته واحمد من يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركا عنه وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العباده فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيا منه لتمادية في القبح والسماجة وما ظنك

بشيء من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على
طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا
عن هذه الاشيا مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب من الاوثان بيان للرجس
وتمييز له كقولك عندي عشرون من الابل لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه
قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف
كما ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام
وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلعم انه صلى الصبح فلما
سلم قام قايما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله
عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه
الاية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا
شريك هو لك تملكه وما ملك ويجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق
فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان
صور حاله بصورة حال من خر من السما فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او
عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه
الايمان في علوه بالسما والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السما والاهوا التي
تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح [المختطف]
التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرى فتخطفه وبكسر الخا والطا وبكسر
التا مع كسرهما وهي قراة الحسن واصلهما تختطفه وقرى الرياح ك في الصحيحين عن
ابي بكرة رضي … قال رسول الله صلعم الا انبئكم باكبر الكباير قالوا بلى يا رسول الله
قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكيا فجلس فقال الا وقول الزور الا وشهادة
الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وعن فاتك بن خريم الاسدي قال صلى رسول
الله صلعم الصبح فلما انصرف قام قايما فقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عز
وجل ثم تلى هذه الاية واجتنبوا قول الزور حنفا لله غير مشركين به رواه احمد ه
ذلك ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى اجل مسمى
ثم محلها الى البيت العتيق تعظيم الشعاير وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها
عظام الاجرام سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شراها وقد كانوا يغالون في ثلث
ويتركون المكاس فيها الهدي والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن ابيه انه اهدى
نجيبة طلبت منه بثلثماية دينار فسال رسول الله صلعم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا

فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله صلعم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل
في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها
وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدايها الى بيته المعظم امر عظيم
لا بد ان يقام به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي
تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع
من الجزا الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها
وتمكنت ظهر اثرها في ساير الاعضا الى اجل مسمى اي الى ان تنحر ويتصدق بلحومها
ويوكل منها وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في
الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه
تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع
محلها الى البيت العتيق اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله
هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت
ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل
المراد بالشعاير المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه ك عن ابي هريرة ان رسول
الله صلعم قال دم عفرا احب الى الله من دم سوداوين رواه احمد وابن ماجه قالوا والعفرا
هي البيضا بياضا ليس بناصع وفي صحيح البخاري عن انس ان رسول الله صلعم ضحى بكبشين
املحين اقرنين وعن ابي سعيد ان رسول الله صلعم ضحى بكبش اقرن يأكل في
سواد ويطا في سواد وينظر في سواد رواه اهل السنن وصححه الترمذي وفي سنن
ابن ماجه ان رسول الله صلعم ضحى بكبشين عظيمين اقرنين املحين موجوئين وعن [سمينين م]
علي رضي الله عنه قال امرنا رسول الله صلعم ان نستشرف العين والاذن والا نضحي
بمقابلة ولا مدابرة ولا شرقا ولا خرقا رواه احمد واهل السنن وصححه الترمذي
ولهم عنه قال نهى رسول الله صلعم ان نضحي باعضب القرن والاذن وعن البرا قال قال
رسول الله صلعم اربع لا تجزي في الاضاحي العورا البين عورها والمريضة البين
مرضها والعرجا البين ظلعها والكبيرة التي لا تنقي رواه احمد واهل السنن وصححه
الترمذي وروى ابو داود عن عتبة بن عبد السلمي ان رسول الله صلعم نهى عن المصفرة
والمستاصلة والبخقا والمشيعة والكسيرة فالمصفرة قيل المهزولة وقيل المستاصلة الاذن
والمستاصلة مكسورة القرن والبخقا هي العورا والمشيعة التي لا تزال تشيع خلف
الغنم ولا تتبع لضعفها والكسيرة العرجا وعن ابن عمر قال اهدى عمر نجيبا فاعطى به
ثلثماية دينار الحديث رواه احمد وابو داود وفي الصحيحين عن انس ان رسول الله صلعم

رأى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها قال انها بدنة قال اركبها قال انها بدنة قال اركبها ويلك
في الثالثة وفي رواية لمسلم عن جابر عن رسول الله صلعم انه قال اركبها بالمعروف اذا الجئت
اليها وعن علي رضي الله عنه انه رأى رجلا يسوق بدنة ومعها ولدها فقال لا تشرب
من لبنها الا ما فضل عن ولدها فاذا كان يوم النحر فاذبحها وولدها ولكل امة جعلنا
منسكا هم ناسكوه ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله
اسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم
والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون شرع الله لكل امة ان ينسكوا له منسكا اي يذبحوا لوجهه
على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه على المناسك وقرئ
منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع فله
اسلموا اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه سالما لوجهه اي خالصا لا تشوبوه باشراك
المخبتون المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين
لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقرأ الحسن والمقيمي الصلوة بالنصب على تقدير النون وقرأ
ابن مسعود والمقيمين الصلوة على الاصل ك في الصحيحين عن انس قال ضحى رسول الله
صلعم بكبشين املحين اقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما وعن زيد بن ارقم قال
قلت او قالوا يا رسول الله ما هذه الاضاحي قال سنة ابيكم ابرهيم قالوا ما لنا منها قال بكل
شعرة حسنة قالوا فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة رواه احمد وابن ماجه
والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف
فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم
لعلكم تشكرون البدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان النبي صلعم
الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل
صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه والا فالبدن هي
الابل وعليه تدل الاية وقرأ الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وابن ابي اسحق
بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه
منازل من شعائر الله من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافتها الى اسمه تعالى لتعظيم
لها لكم فيها خير كقوله لكم فيها منافع ومن شان الحاج ان يحرص على شيء فيه خير ومنافع
بشهادة الله عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له
في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا واخرة وعن ابرهيم
من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب واذكروا اسم الله ان تقول عند النحر
الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن

وقرئ

وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلث وينصب الرابعة على طرف سنبكه
لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله وعن
عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا عن حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صوافي
نحو مثل العرب اعط القوس باريها بسكون الياء وجوب الجنوب وقوعها على الارض من
وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها
وسكنت نسائسها حل لكم الاكل منها والاطعام القانع السائل من قنعت اليه وكنعت
اذا خضعت له وسألته قنوعا والمعتر المعترض بغير سؤال او القانع الراضي بما عنده
وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بالسؤال وقرأ الحسن
والمعتري وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى وقرأ ابو رجاء القنع وهو الراضي
لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع من الله على عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن
مثل التسخير الذي رأوا وعلموا يأخذونها منقادة للآخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها
صافة قوائمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من
بعض الوحوش التي هي اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما يتأبد من الابل شاهدا
وعبرة ك جمهور العلماء على انه تجزي البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة كما ثبت
في الحديث عن مسلم من رواية جابر بن عبد الله وغيره قال امرنا رسول الله صلعم
ان نشترك في الاضاحي البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة وقال اسحق بن راهويه
وغيره بل تجزي البقرة عن سبعة والبدنة عن عشرة وقد ورد به الحديث في مسند
الامام احمد وسنن النسائي وغيرهما وقوله لكم فيها خير عن عائشة ان رسول
الله صلعم قال ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا احب الى الله من اهراق دم وانه لتأتي يوم
القيمة بقرونها واظلافها واشعارها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع
الى الارض فطيبوا بها نفسا رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه وعن ابن عباس
قال قال رسول الله صلعم ما انفقت الورق في شيء افضل من نحيرة في يوم عيد رواه الدارقطني
في سننه وقوله فاذكروا اسم الله عليها صواف عن جابر قال صليت مع رسول
الله صلعم الاضحى فلما انصرف اتى بكبش فذبحه فقال بسم الله والله اكبر اللهم هذا
عني وعمن لم يضح من امتي رواه احمد وابو داود والترمذي وعنه ايضا قال ضحى
رسول الله صلعم بكبشين في يوم عيد فقال حين وجههما وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب
العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد
وامته ثم سمى الله وكبر وذبح رواه محمد بن اسحق ك وعن رافع ان رسول الله صلعم

قال

كان اذا ضحى اشترى كبشين اقرنين املحين سمينين فاذا صلى وخطب الناس اتى باحدهما
وهو قايم في مصلاه فذبحه بنفسه بالمدية ثم يقول اللهم هذا عن امتي جميعا من شهد لك
بالتوحيد ولي بالبلاغ ثم يوتى بالاخر فيذبحه بنفسه ثم يقول هذا عن محمد وال محمد
فيطعمهما جميعا المساكين وياكل هو واهله منهما رواه احمد وابن ماجة وفي الصحيحين
عن ابن عمر انه اتى على رجل قد اناخ بدنته وهو ينحرها فقال ابعثها قياما مقيدة سنة
ابي القسم صلعم وعن جابر ان رسول الله صلعم واصحابه كانوا ينحرون البدن معقولة اليسرى
قايمة على ما بقي من قوايمها رواه ابو داود وفي صحيح مسلم عن جابر في حجة الوداع
قال فيه فنحر رسول الله صلعم بيده ثلثا وستين بدنة جعل يطعنها بحربة في يده وقوله
فاذا وجبت جنوبها يعني ماتت وقد جا في حديث مرفوع ولا تعجلوا النفوس ان تزهق
وفي صحيح مسلم اذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبح وليحد احدكم
شفرته وليرح ذبيحته وعن ابي واقد الليثي قال قال رسول الله صلعم ما قطع من البهيمة
وهي حية فهو ميتة رواه احمد وابو داود والترمذي وصححه وقوله فكلوا منها الاية في الحديث
الصحيح ان رسول الله صلعم قال للناس اني كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الاضاحي فكلوا وادخروا
ما بدا لكم وفي رواية فكلوا وادخروا وتصدقوا واستمتعوا بجلودها ولا تبيعوها وعن
البرا قال قال رسول الله صلعم ان اول ما نبدا به في يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر فمن
فعل فقد اصاب سنتنا ومن ذبح قبل الصلوة فانما هو لحم قدمه لاهله ليس من النسك في
شي اخرجاه *لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها*
لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين ان الله يدافع عن الذين امنوا ان
الله لا يحب كل خوان كفور اي لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدما
المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدما والمعنى لن يرضى المضحون والمتقربون
ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به
وغير ذلك من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم يغن عنهم
التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم وقرى لن ينال ولكن يناله بالتا والتاويل
كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدما حول البيت ولطخوه بالدم فلما
حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كررت تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتكبروا الله
على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام
بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته ثم خص المومنين بدفعه عنهم ونصرته
لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين امنوا وقال انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها
نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة في ذلك انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة

الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرا يدافع
فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجي اقوى وابلغ
مسئلة ذهب ابو حنيفة ومالك والثوري الى القول بوجوب الاضحية على من ملك نصابا
وزاد ابو حنيفة اشتراط الاقامة ايضا واحتج لهم بما رواه احمد وابن ماجة باسناد رجاله
كلهم ثقاة عن ابي هريرة مرفوعا من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا على ان فيه غرابة
واستنكره احمد وقال ابن عمر اقام رسول الله صلعم عشر سنين يضحي رواه الترمذي
وابن ماجة وقال الشافعي واحمد لا تجب الاضحية بل هي مستحبة لما جا في الحديث ليس في
المال حق سوى الزكوة وقد تقدم انه عليه السلام ضحى عن امته فاسقط ذلك وجوبها عنهم
وقال ابو سريحة كنت جارا لابي بكر وعمر فكانا لا يضحيان خشية ان يقتدي الناس
بهما وقال بعض العلما الاضحية سنة كفاية فاذا قام واحد من اهل دار او بيت او
محلة سقط عن الباقين لان المقصود اظهار الشعار وقد روى الامام احمد واهل
السنن وحسنه الترمذي عن مخنف بن سليم انه سمع رسول الله صلعم يقول بعرفات
على كل اهل بيت في كل عام اضحاة وعتيرة هل تدرون ما العتيرة هي التي تدعونها
الرجبية وقد تكلم في اسناده وقال ابو ايوب كان الرجل في عهد رسول الله صلعم يضحي بالشاة
الواحدة عنه وعن اهل بيته فياكلون ويطعمون حتى تباهى الناس فصار كما ترى
رواه الترمذي وابن ماجة واما سن الاضحية فقد روى مسلم عن جابر ان رسول الله
صلعم قال لا تذبحوا الا مسنة الا ان يعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضان *اذن للذين*
يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق
الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع
وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز
اذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبني للمفعول والفاعل جميعا والمعنى اذن لهم في القتال
فحذف الماذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب
رسول الله صلعم كان مشركوا مكة يوذونهم اذى شديدا وكانوا ياتون رسول الله
صلعم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى
هاجر فانزلت هذه الاية وهي اول اية اذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين
اية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة فاذن لهم في مقاتلتهم
والاخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة
وما مر من دفعه عن الذين امنوا موذن بمثل هذه العدة ايضا ان يقولوا في محل
الجر على الابدال من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب

الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله قوله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله
دفع الله الناس بعضهم ببعض اظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا
ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم
يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد او
لغلب المشركون في امة محمد على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات
الفريقين وقرئ دفاع الله ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلوة لانه يصلى فيها وقيل
هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا من ينصره اي ينصر دينه واولياءه الذين
ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا
عن المنكر ولله عاقبة الامور هو اخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون
عليه سيرة المهاجرين رضي الله عنهم ان مكن لهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف
يقومون بامر الدين وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد اثنى عليهم قبل ان
يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لان الله لم
يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار
والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلعم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره و
الظاهر انه مجرور تابع للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره
وفيه تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم
قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى
فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير فكاي من قرية اهلكناها وهي ظالمة
فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد افلم يسيروا في الارض فتكون
لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم تسلية له لست باوحدي
في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك اقوامهم وكفاك بهم اسوة **فان قلت**
لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت لان موسى ما كذبه قومه (بنو اسرائيل)
وانما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء اخر كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم (رسولهم)
وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره والنكير بمعنى الانكار
والتغيير حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا كل مرتفع
اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم
اذا سقط او الخالي من خوى المنزل اذا خلى من اهله وخوى بطن الحامل وقوله على عروشها
لا يخلو اما ان يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها

على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة او خالية مع بقاء عروشها
وسلامتها واما ان يكون خبرا بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اي هي قائمة
مطلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان
وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة **فان قلت** ما محل
الجملتين من الاعراب اعني وهي ظالمة فهي خاوية قلت الاولى في محل النصب على الحال
والثانية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل قرا الحسن معطلة
من اعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الما ومعها الات الاستقا الا انها عطلت
اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها والمشيد المجصص والمرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكناها
وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه
وفي هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه وروي ان هذه بئر نزل عليها صالح مع
اربعة الاف نفر ممن امن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك
لان صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح وامروا
عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم
حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم افلم يسيروا
الاية يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا
اثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا وراوا ذلك لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا (ولكن صح)
ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب ما لنا اي يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون
ما يجب سماعه من الوحي فانها الضمير ضمير الشان والقصة يجي مذكرا ومؤنثا وفي قراة
ابن مسعود فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والمعنى
ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار فكانه
ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب **فان قلت** اي فايدة في ذكر الصدور
قلت الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما
يطمس نورها فاستعماله في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد
من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة
تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء
للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه
وتثبيت لان محل المضا هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضا عن السيف واثبته للسانك
فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه تعمدا (بعينه صح) ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله
وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وكاين من قرية امليت لها وهي

ظالمة ثم اخذتها والى المصير انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل او الآجل
كأنه قال ولم يستعجلونك به كأنهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز
عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه
حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا عنده كالف
سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم عذابه واحد من ايام عذابه
في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة او كان ذلك اليوم الواحد لشدة
عذابه كالف سنة من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال
وقرئ تعدون بالتاء والياء قال وكم من اهل قرية كانوا امثالكم ظالمين قد انظرتهم
حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الي والى حكمي **فان قلت** لم كانت الاولى
معطوفة بالفاء وهذه بالواو قلت الاولى وقعت بدلا من قوله فكيف كان نكير واما
هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده
وان يوما عند ربك كالف سنة قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في اياتنا معاجزين
اولئك اصحاب الجحيم يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحته او افسدته بسعيه وعاجزه
سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه
وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا
واساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين
ان كيدهم للاسلام يتم لهم **فان قلت** كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير
ونذير لذكر الفريقين بعده قلت الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم
وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا في الارض ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون
وثوابهم ليغاظوا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي
الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق
بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم
وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير
الرسول والنبي وعن النبي صلعم انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون
الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول
من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل
عليه كتاب وانما امر ان يدعو الناس الى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الاية

ان رسول الله صلعم لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما
جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما
ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر
به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه
فاخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في امنيته التي
تمناها اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته
العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلم او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس
فلما سجد في اخرها سجد معه جميع من هو في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين
الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون
نورا وايقانا والمعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل
ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في امانيهم مثل ما القى في امنيتك ارادة امتحان من حولهم
والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين
ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرأ وانشد

تمنى كتاب الله اول ليله تمني داود الزبور على رسل

وامنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق العلى اشارة الى الملئكة اي هم الشفعاء لا الاصنام
فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله اياته اي يثبتها والذين في
قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون وان الظالمين
يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع المضمر قضاء عليهم
بالظلم انه الحق من ربك اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة
وان الله لهادي الذين امنوا الى ان يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتاويلات
الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المجمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة
حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهاد الذين امنوا بالتنوين
ح قوله والسبب في نزول هذه الاية الى اخره قيل هذا مردود عند المحققين والمراد
بالتمني اما القراءة او تمني القلب فاذا قلنا ان التمني بمعنى القراءة فالمعنى ان الرسول اذا
قرأ منها فيما يجوز عليه السهو عنه ويشتبه على القارئ دون ما روي من مدح الاصنام
واذا قلنا انه بمعنى تمني فالمراد ان الرسول اذا اتى فعلا مقربا الى الله القى الشيطان
في فكره ما يخالفه فيرجع الى الله في ذلك فيرفع الله تعالى ذلك الغلط وتلك الوسوسة عن
القلب وقال المرتضى رحمه الله في كتابه تنزيه الانبياء ليس بمعنى ظاهر الاية لا احد امرين اما

إنما أن يريد بالتمني التلاوة كما قال حسان

تمنى كتاب الله أول ليله وآخره لاقى حمام المقادر

أو يريد بالتمني تمني القلب فإن أراد التلاوة كان المراد أن من أرسلنا قبلك من الرسل كان إذا قرأ ما يؤديه إلى قومه حرفوه عليه وزادوا فيما يقوله ونقصوا كما فعلت اليهود في الكذب على أنبيائهم فأضاف ذلك إلى الشيطان لأنه يقع بوسوسته ثم بين أن الله تعالى يزيل ذلك ويدحضه بظهور الحجة وينسخه ويحسم مادته وإنما خرجت الآية على هذا الوجه مخرج التسلية له عليه السلام لما كذب المشركون عليه وأضافوا إلى تلاوته من مدح آلهتهم ما لم يكن فيها وإذا كان المراد تمني القلب فالوجه في الآية أن الشيطان لما تمنى النبي صلعم بعض ما تمناه من الأمور يوسوس الشيطان إليه بالباطل ويحدثه بالمعاصي ويغريه بها ويدعوه إليها فالله تعالى ينسخ ذلك ويبطله بما يرشده إليه من مخالفة الشيطان وعصيانه وترك استماع غروره إلى آخر ما ذكره ك قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرين إلى أرض الحبشة ظنا منهم أن قريشا قد أسلموا ولكنها كلها من طرق مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح ثم حكى بعض ما روي في ذلك إلى أن قال وقد ساقها البغوي في تفسيره مجموعة من كلام ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما ثم سأل ههنا سؤالا كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله لرسوله صلوات الله عليه ثم حكى أجوبة من الناس من ألطفها أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك فتوهموا أنه صدر عن رسول الله صلعم وليس كذلك في نفس الأمر بل إنما كان من صنع الشيطان لا عن رسول الرحمن وهكذا أنواع ما أجاب به المتكلمون عن ذلك على تقدير صحته والله أعلم

تنبيه اعلم أن قصة الغرانيق المذكورة مما لا ينبغي أن يقع شك في بطلانها وعدم صحتها وتحريم روايتها إلا على جهة التبيين لبطلانها لما ثبت في الحديث عن النبي صلعم أنه قال من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين وما أحسن ما ذكره الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في أوائل كتابه الموضوعات حيث قال واعلم أن الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم وينفر قلبه في الغالب ثم روى بالإسناد إلى جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلعم ما حدثتم عني مما تنكرونه فلا تأخذوا به فإني لا أقول المنكر ولست من أهله وروى أيضا بالإسناد إلى أبي حميد وأبي أسيد قالا قال رسول الله صلعم إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه انتهى ولا شك أن هذه القصة مما تنكره القلب وتقشعر منه الجسد لمنافاة ظاهرها ما ثبت بالأدلة القاطعة من عصمة النبي صلوات الله عليه وسلم وحفظ القرآن

المجيد من تخليط الشياطين وغيره ومما يستظهر به على بطلانها أن مدار جميع طرقها على روايتي ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وعلى تقدير صحة الرواية عنهما فالمعلوم أنهما لم يشهدا تلك الواقعة أما القرظي فلأنه من صغار التابعين وأما ابن عباس فولد قبل الهجرة بسنتين أو ثلاث ولم يسند أحدهما روايته ذلك إلى أحد ولو كان لتلك القصة أصل لنقلت بالتواتر لوقوعها على رؤوس الأشهاد على زعمهم فكيف ولم تعرف فيها رواية صحيحة ممن شاهدها من الموافقين والمخالفين والعجب من إيراد أكثر المفسرين لها لا سيما من لم ينبه على ضعفها وما ذاك إلا من التساهل واقتداء الآخر منهم بالأول كما فعلوه في رواية الحديث الموضوع في فضائل السور ونحوه والله أعلم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين الضمير في مرية منه للقرآن أو الرسول واليوم العقيم يوم بدر وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم إذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته ويجوز أن يراد بالساعة ويوم عقيم يوم القيامة وكأنه قيل حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير

فإن قلت التنوين في يومئذ عن أي جملة ينوب قلت تقديره الملك يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم ك لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وأن يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه وإحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روي أن طوائف من أصحاب رسول الله صلعم قالوا يا رسول الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا معك فأنزل الله هاتين الآيتين ك عن سلمان الفارسي سمعت رسول الله صلعم يقول من مات مرابطا أجرى الله عليه مثل ذلك الأجر وأجرى عليه الرزق وأمن من الفتانين واقرءوا إن شئتم والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور تسمية الابتداء بالجزاء للملابسة له من حيث إنه سبب وذاك

مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة. فان قلت
كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع؟ قلت المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل
على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه و
مستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك و
انتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب
للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور اي لا يلومه على
ترك ما بعث عليه وهو ضامن لنصرته في كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من
الباغي عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من
العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة
لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه
هو الباطل وان الله هو العلي الكبير اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن آيات قدرته
البالغة انه يولج الليل في النهار والنهار في الليل او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما
فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف وانه سميع
لما يقولون بصير بما يفعلون. فان قلت ما معنى ايلاج احد الملوين في الآخر؟
قلت تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها
كما يضيء البيت بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في احدهما ما ينقص من الآخر من
الساعات وقرئ يدعون بالياء والتاء وقرأ اليماني وانما يدعون بلفظ المبني للمفعول
والواو راجعة الى ما لانه في معنى الآلهة اي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة
بما يجري فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب ان الله الحق الثابت الالهية وان كل ما يدعى
الها دونه باطل الدعوة وانه لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل
من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات وما في
الارض وان الله لهو الغني الحميد قرئ مخضرة اي ذات خضر على مفعلة كمبقلة
ومسبعة. فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى المضارع؟ قلت لنكتة فيه
وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا فاروح
واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع. فان قلت فما له رفع
ولم ينصب جوابا للاستفهام؟ قلت لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات
الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر
ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله

مما يجب

مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله لطيف واصل علمه او
فضله الى كل شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك
تجري في البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤوف
رحيم وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور ما في الارض من البهائم
مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات وقرئ
والفلك بالرفع على الابتداء ان تقع كراهة ان تقع الا بمشيئته احياكم بعد ان كنتم جمادا
ترابا ونطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما افاض الله عليه من ضروب النعم لكل امة
جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم
وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون
الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله
يسير هو نهي لرسول الله صلعم اي لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو
زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلعم بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم
وهم كفار خزاعة روي ان بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا
للمسلمين ما لكم تاكلون مما قتلتم ولا تاكلون مما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو
نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي
لا يكون الا بين اثنين في الامر في امر الدين وقيل في امر النسائك وقرئ فلا ينزعنك اي
اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول
الله صلعم بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك عن آيات الله
ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع همة رسول الله صلعم
حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج
هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته اي لا يغلبنك في المنازعة. فان قلت
لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه؟ قلت لان تلك وقعت
مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في امر النسائك فعطفت على اخواتها
واما هذه فواقعة مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا ادع اي واثبت على دعائهم الا
المجادلة بعد اجتهادك الا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بان الله اعلم باعمالكم
وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق
ولين الله يحكم خطاب من الله للمؤمنين والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب
ومسلاة لرسول الله صلعم مما كان يلقى منهم فكيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند
العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه

والاحاطة بعلمه واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع
تعلق بمعلوم ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم
وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر
يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا قل افانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها
الله الذين كفروا وبئس المصير ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي
من جهة الوحي والسمع ولا الجاهم اليها علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي وما
للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم المنكر الفظيع من التجهم
والبسور او الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقرئ يعرف المنكر والسطو الوثب والبطش
وقرئ النار بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف كان قايلا قال ما هو فقيل النار اي هو النار
وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم
عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم وعدها الله استيناف كلام و
يحتمل ان يكون النار مبتدا ووعدها خبرا وان يكون حالا عنها اذا نصبتها او جررتها
باضمار قد يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب و
المطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز **فان قلت** الذي جاء
به ليس بمثل فكيف سماه مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة
عندهم وقرئ تدعون بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول لن اخت لا في نفي المستقبل
الا ان لن تنفيه نفيا موكدا وتاكيده ههنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف
لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا **فان قلت** ما محل ولو اجتمعوا له قلت النصب
على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم
عليه وهذا من ابلغ ما انزل الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على
ان الشيطان قد خزمهم بخزايمه حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات
كلها والاحاطة بالمعلومات عن اخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه
الله واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم
وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيا فاجتمعوا على ان يستخلصوه
منه لم يقدروا وقوله ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف و
لو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب و
ذلك مغلوب وعن ابن عباس انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون
عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه

حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا
يتخذوه شريكا له ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به الله يصطفي
من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى
الله ترجع الامور هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على
ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر ان الله عز وجل دراك للمدركات عالم باحوال المكلفين ما مضى منها
وما غبر لا يخفى عليه منهم خافية واليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسأل
عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله يا ايها الذين امنوا
اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق
جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين
من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا
الصلوة واتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير للذكر
شان ليس لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثمة دعا المؤمنين
اولا الى الصلوة التي هي ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلوة كالصوم والحج والغزو
ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع
ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلوتهم بركوع وسجود وقيل معنى اعبدوا ربكم
اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس في قوله وافعلوا الخير صلة
الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله وانتم راجون للفلاح
طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول
الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراهما وعن عبد الله بن عمر قال
فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي فراى سجدتين في سورة الحج وابو حنيفة
واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك
على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة وجاهدوا امر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى
وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلعم انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر في الله اي في ذات الله ومن اجله تعالى هو حق عالم وجد عالم اي عالم
حقا وجدا ومنه حق جهاده **فان قلت** ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد
فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص
فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز
ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا
اجتباكم اختاركم لدينه ونصرته وما جعل عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح

بانواع الرخص وما لكفارات والديات والاروش ونحوه قوله يريد الله بكم اليسر ولا
يريد بكم العسر وامة محمد صلعم هي الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة
نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قال وسّع دينكم توسعة ملة ابيكم ابرهيم ثم حذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه او على الاختصاص اى اعنى بالدين ملة ابيكم ابرهيم كقولك
الحمد لله الحميد **فان قلت** لم يكن ابرهيم ابا للامة كلها قلت هو ابو رسول الله صلعم
فكان ابا لامته لان امة الرسول فى حكم اولاده هو يرجع الى الله وقيل الى ابرهيم ويشهد
للقول الاول قراءة ابيّ بن كعب الله سماكم من قبل وفي هذا اى من قبل القران في سائر
الكتب وفي القران اى فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول شهيدا
عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهدا على الناس ان الرسل قد بلغتهم واذ خصكم بهذه
الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو
خير مولى وناصر ه ك وما جعل عليكم في الدين من حرج اى ما كلفكم ما لا تطيقون
ولهذا قال عليه السلم بعثت بالحنيفية السمحة وقال لمعاذ وابي موسى حين بعثهما امرين
الى اليمن بشّرا ولا تنفّرا ويسّرا ولا تعسّرا والاحاديث في هذا كثيرة ه

سورة المومنين مكيه وهي تسع عشره وثمان عشرة
عند الكوفيين ومائة ه

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المومنون الذين هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون
والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او
ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى ورا ذلك فاولئك هم العادون
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون
اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون قد نقيضة
لمّا هي تثبت المتوقع ولمّا تنفيه ولا شك ان المومنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة
وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما يدل على ثبات البشارة ويقال افلحه اصاره
الى الفلاح الى ما يتوقعون والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقا في الخير وافلح دخل
في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن
مصرف قد أفلح على البنا للمفعول وعنه أفلحوا على اكلوني البراغيث او على الابهام
والتفسير وعنه افلح بضمة بغير واو اجتزا بها عنها كقوله
فلو ان الاطبا كان حولي **فان قلت** ما المومن قلت هو في اللغة
المصدق واما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين احدهما ان كل من نطق بالشهادتين

مواطئا قلبه لسانه فهو مومن والاخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق
الشقي ه الخشوع في الصلوة خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهو الزامه
موضع السجود ه وعن النبي صلعم انه كان يصلي رافعا بصره الى السما فلما نزلت هذه الاية
رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلما اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن ان يشد
بصره الى شي او يحدث نفسه بشان من شان الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض
عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل الاداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه
والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك
والاختصار وتقليب الحصى روى عن النبي صلعم انه راى رجلا يعبث بلحيته فقال لو
في الصلوة م
خشع قلب هذا خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى ويقول اللهم
زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث **فان قلت**
لم اضيفت الصلوة اليهم قلت لان الصلوة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو
المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلوته واما المصلى له فغني متعال عن الحاجة
اليها والانتفاع بها ه اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروة
الغاؤه واطراحه يعني ان بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة
اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس الذين هما
قاعدتا بنا التكليف ه الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي
من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله عز وجل
فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل
ويقال لمحدثه فاعل له تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل
التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا
فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين ان يتعلق بها
فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد
انشدوا لامية بن ابي الصلت ه

المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات

ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الادا وحمل البيت عليه
اصح لانها فيه مجموعة ه على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم
او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره
كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت
المراة فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم

او تسريهم او تعلق على انه محذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم
اي يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين
من قولك احفظ على عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت
بمعنى ما طلبت منك الا فعلك فالحاصل كانه قال والذين هم لفروجهم غير حافظين الا على ازواجهم
فان قلت هلا قيل من ملكت قلت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير
العقلاء وهم الاناث حقيقة المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن ابتغى
وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم
الكاملون في العدوان المتناهون فيه **فان قلت** هل فيه دليل على تحريم المتعة
قلت لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح وقرئ لاماناتهم يسمى الشيء المؤتمن
عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه
لا الامانة نفسها والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية
ويقال من راعي هذا الشيء اي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه
وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات
الناس وعهودهم وقرئ على صلواتهم **فان قلت** كيف كرر ذكر الصلوة اولا
واخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلواتهم
وفي صلواتهم واخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها
ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا
ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اي صلوة كانت وجمعت اخرا لتفاد المحافظة على اعدادها
وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين و
الجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح و
صلوة الحاجة وغيرها من النوافل اي اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء
بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء
بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم انث
الفردوس على تاويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روي ان الله عز
وجل بنى الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي
رواية ولبنة من مسك مذري وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان
عن عمر بن الخطاب قال كان اذا نزل على رسول الله صلعم الوحي نسمع عند وجهه كدوي
النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا

تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت
علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختمها المعشر
رواه احمد والترمذي ورواه النسائي وقال منكر لا نعرف احدا رواه غير يونس بن
سليم ويونس لا نعرفه وروى النسائي عن عايشة انه قيل لها يا ام المؤمنين
كيف كان خلق رسول الله صلعم قالت كان خلق رسول الله صلعم القران فقرات قد افلح
المؤمنون حتى انتهت الى والذين هم على صلواتهم يحافظون قالت هكذا كان خلق رسول
الله صلعم وقد روي عن كعب الاحبار ومجاهد وابي العالية وغيرهم لما خلق الله جنة عدن
وغرسها بيده نظر اليها وقال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون قال كعب لما اعد لهم فيها
من الكرامة وقد روي ذلك عن ابي سعيد مرفوعا قال خلق الله الجنة لبنة من ذهب
ولبنة من فضة وملاطها المسك فقال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون فقالت الملائكة
طوبى لك منزل الملوك رواه البزار ثم قال لا نعلم احدا رفعه الا عدي بن الفضل وليس هو بالحافظ
وهو شيخ متقدم الموت وعن ابن عباس رفعه لما خلق الله جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها
وشق انهارها ثم نظر اليها فقال قد افلح المؤمنون قال وعزتي لا يجاورني فيك بخيل
رواه الطبراني وعن انس قال قال رسول الله صلعم خلق الله جنة عدن بيده لبنة
من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها المسك وحصباؤها
اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ثم قال لها انطقي قالت قد افلح المؤمنون فقال الله وعزتي
وجلالي لا يجاورني فيك بخيل ثم تلا رسول الله صلعم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون وفي الحديث الذي رواه احمد والنسائي عن انس عن رسول الله صلعم انه قال
حبب الي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة وعن انس عن النبي صلعم
قال سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار
اول الداخلين الا ان يتوبوا من تاب تاب الله عليه الناكح يده والفاعل والمفعول به ومدمن
الخمر والضارب والديه حتى يستغيثا والموذي جيرانه حتى يلعنوه والناكح حليلة
جاره رواه الامام الحسن بن عرفة وهو حديث غريب وفي اسناده من لا يعرف والله
اعلم وفي الصحيحين عن ابن مسعود سالت النبي صلعم فقلت يا رسول الله صلعم اي
العمل احب الى الله قال الصلوة على وقتها قلت ثم اي قال بر الوالدين قلت ثم اي قال
الجهاد في سبيل الله وفي مستدرك الحاكم قال الصلوة في اول وقتها وفي الحديث عن رسول
الله صلعم استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان خير اعمالكم الصلوة ولا يحافظ على الوضوء الا
مؤمن وفي الصحيحين عن رسول الله صلعم قال اذا سالتم الله الجنة فاسلوه الفردوس
فانه اعلا الجنة واوسط الجنة ومنه تفجر انهار الجنة وفوقه عرش الرحمن وعن ابي هريرة

قال قال رسول الله صلعم ما منكم من احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان
مات فدخل النار ورث اهل الجنة منزله فذلك قوله اولئك هم الوارثون رواه ابن ابي
حاتم ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين
ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام
لحما ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة
تبعثون السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة
وعن الحسن ما بين ظهراني الطين فان قلت ما الفرق بين من ومن قلت
الاول للابتداء والثاني للبيان كقوله من الاوثان فان قلت ما معنى
جعلنا الانسان نطفة قلت معناه انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره
بعد ذلك نطفة القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر
فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت قرئ عظما
فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا العظام وعظاما فكسونا
العظم وضع الواحد موضع الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة خلقا
آخر اي خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا
وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو
من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف
ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة رحمه الله فيمن غصب بيضة فافرخت عنده
قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة فتبارك الله احسن
الخالقين فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين اي احسن المقدرين تقديرا
فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله اذن للذين
يقاتلون لدلالة الصلة وروي عن عمر رض ان رسول الله صلعم لما بلغ قوله خلقا آخر
قال فتبارك الله احسن الخالقين وروي ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب
لرسول الله صلعم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلعم اكتب هكذا انزلت
فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم
يوم الفتح قرأ ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين المائت والميت ان الميت
كالحي صفة ثابتة واما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الان ومائت غدا كقولك
يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله تعالى وضائق به صدرك جعل الاماتة التي
هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين ايضا على
اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع فان قلت فاذن لا حيوة الا حيوة

مائت ح

الانشا

الانشاء وحيوة البعث قلت ليس في ذكر الحيوتين نفي الثالثة وهي حيوة القبر كما لو ذكرت
ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس عندك وايضا فالغرض
ذكر هذه الاجناس الثلثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من جنس الاعادة
ك عن ابي موسى عن النبي صلعم قال ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض
فجاء بنو آدم على قدر الارض جاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك و
الخبيث والطيب وبين ذلك رواه احمد وفي رواية ابو داود والترمذي بنحوه وقال
الترمذي حسن صحيح وفي الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم كل جسد
ابن آدم يبلى الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب وتقدم حديث ابن مسعود ونحوه
فيما يتعلق بذلك والله اعلم ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق
غافلين وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به
لقادرون فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها
تاكلون الطرائق السموات لانها طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل
وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها
طرائق للكواكب فيها مسيرها اراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقكم وما كنا
عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقكم بقدرتنا او اراد به الناس
وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها
وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى
المنفعة او بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه
ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند
وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله من
عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها
منافع للناس في اصناف معايشهم وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته
وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه
الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايا عليه
شيء اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن
ياتيكم بماء معين فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم
ويخافوا نفارها اذا لم تشكر خص هذه الانواع الثلثة لانها اكرم الشجر وافضلها
واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع بين امرين بانه فاكهة يتفكه
بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وتمرا وعنبا وزبيبا والزيتون بان دهنه صالح

السند

للاستصباح والاصطباغ جميعًا ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم فلان يأكل
من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته
التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترتزقون
وتعيشون **وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم
في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون
وعليها وعلى الفلك تحملون** وشجرة عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتدا
اي ومما انشئ لكم شجرة طور سيناء وطور سينين لا يخلو إما ان يضاف الطور
الى بقعة اسمها سيناء وسينون وإما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف
اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف
والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفها للتانيث كعلباء وحرباء ومن فتح
فلم يصرفه لان الالف للتانيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه
نودي موسى عليه السلام وقرأ الاعمش سينا على القصر بالدهن في موضع الحال اي تنبت و
فيها الدهن وقرئ تُنبت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت وانشد لزهير

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل

والثاني ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التاء
وفتح الباء وحكمه حكم تنبت وقرأ ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج
بالدهن وفي حرف ابي تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الاعمش صبغا
وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هي اول شجرة نبتت
بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة وقرئ تَسقيكم بتاء
مفتوحة اي تسقيكم الانعام ومنها تاكلون اي تتعلق بها منافع من الركوب والحمل
وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة وهي
الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في
العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة

سفينة برٍّ تحت خدي زمامها … يريد صيدحه

ك عن ابي
اسيد قال قال رسول الله صلعم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة رواه
احمد **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا
تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل
عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ان هو الا رجل
به جنة فتربصوا به حتى حين** غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة

استيناف

استيناف يجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة
الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا
فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل
عليكم ويترأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض بهذا اشارة الى نوح عليه السلام
او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذي
يدعي وهو بشر انه رسول الله وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا
للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة
او تكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عن لهم
من غير تمييز منهم بين صدق وكذب الا تراهم كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس
عقلا واوزنهم قولا والجنة الجنون او الجن اي به جن يخبلونه حتى احتملوه واصبروا
عليه الى زمان حتى ينجلي امره عن عاقبة فان افاق من جنونه والا قتلتموه **قال رب
انصرني بما كذبون فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا
وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم
ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت انت ومن معك على الفلك
فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت
خير المنزلين** في نصرته اهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي او انصرني
بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم
تكذيبهم سلوة النصرة عليهم او وانصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما
كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم باعيننا بحفظنا وكلاءتنا كأن
معه من الله حفاظا يكلؤونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه
قولهم عليه من الله عين كالئة ووحينا اي نأمرك كيف تصنع ونعلمك روي ان الله اوحي
اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر وروي انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت
الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته
امرأته بذلك فركب وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصار الى نوح واختلف
في مكانه فقال الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان
نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند
وعن ابن عباس التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه
وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه ان فوران التنور كان
عند تنور الخبز وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والقول هو الاول يقال سلكه فيه

فقال

حين ان م

بدخله وسلك فيه غيره واسلكه قال

حتى اذا اسلكوهم في قتايدة شلاً كما تطرد الجمالة الشردا

ح قتايدة بضم القاف والتاء المثناة من فوق ثنية معروفة والشل الطرد اي يشلون
شلا والجمالة جمع جمال والشرد جمع شرود يصف جيشا هزموهم حتى ادخلوهم
في هذه الثنية كما تطرد الجمالة النوق الشاردة ثم ف من كل زوجين اثنين اي
من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك
اثنين واحدين من زوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي انه لم يحمل الا
ما يلد ويبيض وقري من كلٍ اي من كل امة زوجين واثنين تاكيد وزيادة بيان جي
بعلى مع سبق الضار كما جي باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
وقول عمر رضي ليتها كانت كفافا لا علي ولا لي **فان قلت** لم نهاه عن الدعا
لهم بالنجاة قلت لما تضمنته الاية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف
من المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استبقائهم وبعد ان املى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا
الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد بالغ في ذلك
حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله عز وجل فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعو بدعا هو اهم وانفع له
وهو طلب ان ينزله في السفينة او في الارض منزلا عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه
ويعطيه الزيادة في خير الدارين وان يشفع الدعا بالثنا عليه المطابق لمسئلته وهو قوله
وانت خير المنزلين **فان قلت** هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن
معك لانه في معنى فاذا استويتم قلت لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من
الاشعار بفضل النبوة واظهار كبريا الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك
او نبي وقري منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه
ان في ذلك لايات وان كنا لمبتلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين
النافية وبينها والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلا عظيم
وعقاب شديد او مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها
اية فهل من مدكر ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا
بلقا الاخرة واترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه
ويشرب مما تشربون قرنا اخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس وتشهد له حكاية الله قول هود

لمسالته

منهم

واذكروا

واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد قوم نوح ومجي قصة هود على اثر قصة نوح في سورة
الاعراف وسورة هود والشعرا **فان قلت** حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته
التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله عدي في القران بالى تارة وبفي اخرى كقوله كذلك
ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا اي في عاد وفي موضع
اخر والى عاد اخاهم هودا قلت لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة
او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال روبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام
وقد جا بعث على ذلك في قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ان مفسرة لارسلنا
اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله **فان قلت** ذكر مقالة قوم هود في جوابه
في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في
سفاهة قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وههنا مع الواو فاي فرق بينهما
قلت الذي بغير واو على تقدير سوال سايل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت
واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق
وهذا الباطل وشتان ما بينهما بلقا الاخرة بلقا ما فيها من الحساب والثواب والعقاب
كقولك يا حبذا جوار مكة اي جوار الله في مكة حذف الضمير والمعنى من مشربكم او
حذف منه لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم
انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون
اذا واقع في جزا الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم اي تخسرون عقولكم وتغبنون
في ارائكم ثني انكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون
خبر عن الاول او جعل انكم مخرجون مبتدا واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر
بالجملة عن انكم او رفع انكم مخرجون بفعل هو جزا الشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم
ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم وفي قراة ابن مسعود ايعدكم اذا متم وقري
هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف
فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع
في قوله فهيهات هيهات العقيق واهله فما هذه اللام قلت كان
الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون او بعدٌ لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة
المصدر وفيه وجه اخر وهو ان تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة
الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به ان هي الا حياتنا الدنيا نموت
ونحيا وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمومنين
قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فاخذتهم الصيحة

قومه

هي النفس ما حملتها تحمل

بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين هذا ضمير لا تعلم ما يعنى به الا بما يتلوه
من بيانه واصله ان الحيوة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحيوة لان الخبر
يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى
لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على
الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا اي يموت بعض
ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه
من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين قليل صفة للزمان كقديم و
حديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد لمعنى القلة
المدة وقصرها الصيحة صيحة جبريل عليه السلام صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم
قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في
قضاياه شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان
ومنه قوله تعالى فجعله غثاء احوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة من السيل والغثاء فلكة مغزل

بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر
التي قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا
يقال بَعُدَ بُعْدًا وبَعَدًا نحو رَشَدَ رُشْدًا ورَشَدًا وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه
بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من
امة اجلها وما يستأخرون ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه
فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون قرونا قوم
صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني اسرائيل اجلها الوقت الذي حد لهلاكها
وقرئ تترى بلا تنوين والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرئ تترًا بالتنوين والتاء بدل
من الواو كما في تولج وتيقور اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد اضاف
الرسل اليه والى اممهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس للمرسل والمرسل اليه جميعا فاتبعنا
الامم والقرون بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث اخبارا يسمر بها ويتعجب
منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث الرسول صلعم ويكون جمعا للاحدوثة
التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو
المراد هاهنا ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون
وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما

لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين **فان قلت** ما المراد بالسلطان المبين
قلت يجوز ان تكون العصا لانها كانت ام آيات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات
شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر بها وانفجار العيون
من الحجر بضربه بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة مثمرة ودلوا ورشاء فجعلت كأنها
ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال
ويجوز ان تراد الآيات انفسها اي هي آيات وحجة بينة عالين متكبرين ان فرعون
علا في الارض لا يريدون علوا في الارض او متطاولين على الناس قاهرين بالبغي
والظلم البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين فاما ترين من البشر ومثل
وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن
ويقال ايضا هما مثلان وهم امثاله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم
وقومهما يعني بني اسرائيل كانوا يعبدون لنا خضوعا وتذللا او لانه كان يدعي الالهية
فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة ولقد آتينا موسى الكتاب
لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار
ومعين آتينا موسى الكتاب اي قوم موسى التورية لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال
على خوف من فرعون وملائهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد
قومهم ولا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملائه لان التورية انما اوتيها
بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملائه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى **فان قلت** لو قيل آيتين هل كان له وجه قلت نعم لان
مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله القي اليها وقد تكلم في المهد وكان
يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير
وجعلنا ابن مريم آية وامه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها الربوة والرباوة
في رائهما الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهي الارض المرتفعة
قيل هي ايليا ارض بيت المقدس وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر
ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن ابي هريرة
الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر والقرار
المستقر من كل ارض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار
يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة
ميمه واصالته فوجه من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه
بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع لظهوره وجريه من

الماعون وهو المنفعة يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون
عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون هذا النداء والخطاب
ليا على ظاهرهما وكيف والرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة متفرقة مختلفة وانما المعنى
الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي
له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يوخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب
وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي
الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل او اريد ما يستطاب
ويستلذ من الماكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله واويناهما الى ربوة
ذات قرار ومعين ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر
على سبيل الحكاية اي اويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا
بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل ك عن ابي ميسرة قال كان
عيسى عليه السلام ياكل من غزل امه وفي الصحيح ان داود عليه السلام كان ياكل من كسب يده وفي
صحيح مسلم وجامع الترمذي ومسند احمد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ايها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وقال يا ايها الذين امنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر ومطعمه حرام
ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يمد يديه الى السماء يا رب يا رب فانى
يستجاب لذلك ف قرئ وان بالكسر على الاستيناف وان بمعنى ولان وان مخففة
من الثقيلة وامتكم مرفوعة معهما ح قيل اي مع القراءات والاولى ان يقال اي مع المخففة
قال ابو البقا امتكم بالرفع على انه خبر ان والنصب على انه بدل او عطف بيان وامة بالنصب
حال وبالرفع بدل من امتكم او خبر مبتدا محذوف فعلى المخففة امتكم اما خبر او بدل
وعلى التقدير لا يجوز سوى الرفع بخلافه في المثقلة فتقطعوا امرهم بينهم زبرا
كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين ايحسبون انما نمدهم
به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقرئ زبرا جمع زبرة
اي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة
الحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل اي كل فرقة من فرق هولاء المختلفين المتقطعين
دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقدا انه على الحق الغمرة الماء الذي يغمر القامة
فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء
لما هم عليه من الباطل قال

ليالي اللهو يطبيني فاتبعه كانني ضارب في غمرة لعب
وعن علي رضي الله عنه في غمرتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا
ورزي بالمعجمة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهي عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره وقرئ يمدهم
ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه ويجوز في نسارع ونسرع ان يتضمن ضمير الممد
به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى
المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما
لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات
كما يفعل باهل الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله ايحسبون يعني بل هم اشباه
البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا في ذلك اهو استدراج ام
مسارعة في الخير فان قلت اين الراجع من خبر ان الى اسمها اذا لم
يستكن فيه ضميره قلت محذوف تقديره نسارع له او نسارع به او نسارع الله به
كقوله ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع امن
الالباس ك عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم بينكم اخلاقكم
كما قسم بينكم ارزاقكم وان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين الا
من احب فمن اعطاه الله الدين فقد احبه والذي نفس محمد بيده لا يسلم عبد حتى
يسلم قلبه ولا يومن حتى يامن جاره بوايقه قالوا وما بوايقه يا رسول الله قال
غشمه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق
منه فيتقبل منه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله لا يمحو
السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث رواه الامام
احمد ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم يومنون
والذين هم بربهم لا يشركون والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى
ربهم راجعون اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون يوتون ما
اتوا اي يعطون ما اعطوا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعايشة ياتون ما اتوا اي
يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت قلت يا رسول الله اهو الذي يزني ويسرق ويشرب
الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق
وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين احدهما
ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون
في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الاخرة واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع

ولتانه م

لهم بها فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للاية المتقدمة
لان فيه اثبات ما نفي من الكفار للمومنين وقرئ يسرعون في الخيرات لها سابقون
اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون اي ينالونها
قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى
وهم لها كمعنى قوله ✿ انت لها احمد من بين البشر ✿
ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في
غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا اخذنا مترفيهم
بالعذاب اذا هم يجارون لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت اياتي تتلى
عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون يعني ان هذا الذي
وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كلما كلفه عباده وما عملوه
من الاعمال فغير ضايع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح او صحيفة الاعمال ناطق
بالحق لا يقرؤون منه يوم القيمة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم
منهم احدا واراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هولاء السابقين
بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد
ولا نظلم احدا من حقه ولا نحطه دون درجته بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا
اي مما عليه هولاء الموصوفون من المومنين ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اي لما
وصف به المومنون هم لها معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى ياخذهم الله
بالعذاب وحتى هذه هي التي يبتدا بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب
قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلعم فقال اللهم اشدد وطاتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب
والعظام المحترقة والقد والاولاد ✿ الجوار الصراخ باستغاثة قال ✿
جار ساعات النيام لربه ✿ اي يقال لهم حينئذ لا تجاروا فان الجوار
غير نافع لكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم نصر
ومعونة قالوا الضمير في به للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا
اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم يكن لهم
مفخرة الا انهم ولاته والقايمون به ويجوز ان يرجع الى اياتي الا انه ذكر لان اياتي في
معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقران تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى
مكذبين فعدي تعديته او يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون بسببه
او تتعلق الباء بسامرا اي تسمرون بذكر القران وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت

بالليل

بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله
صلعم او تهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون
وتهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في
هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يات اباءهم
الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق
واكثرهم للحق كارهون القول القران افلم يتدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا
به وبمن جاء به بل اجاءهم ما لم يات اباءهم الاولين فلذلك انكروه واستبدعوه كقوله لتنذر
قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون او ليخافوا عند تدبر اياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن
قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما لم يات اباءهم حين خافوا الله فامنوا به وبكتبه
ورسله واطاعوه واباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان ح عدنان من
ذرية اسمعيل عليه السلم واما قحطان فهو قحطان بن هود عليه السلم وليس من ذرية اسمعيل بل هو
متقدم على زمانه بمدة طويلة ف وعن النبي صلعم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما
كانا مسلمين ولا تسبوا قسا اي ابن ساعدة الايادي فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث
بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه
من شيء فلا تشكوا ان تبعا كان مسلما وروي ان ضبة بن اد كان مسلما وكان على
شرطة سليمن بن ~~عبد الملك~~ داود عليهما السلم ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلول سنه
في نسبه في بني هاشم وامانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش
والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا ح
هذا مثل يضرب للامر الذي دل عليه دليل واضح ومعناه في الاصل ان رغاء الناقة
الضيف يكفي في التعرض للضيافة ويغني عن نداء لذلك ف الجنة الجنون وكانوا
يعلمون انه بريء منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم
واهواءهم لم يوافق ما نشؤوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا
له مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا
على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر **فان قلت** قوله
واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق **قلت** كان فيهم من يترك الايمان به انفة
واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك دين اباءه لا كراهة للحق
كما يحكى عن ابي طالب **فان قلت** يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه
قلت يا سبحان الله كان ابا طالب كان اخمل اعمام رسول الله صلعم حتى يشتهر اسلام
حمزة والعباس ويخفى اسلام ابي طالب ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات

يقول ح

مثل ح

والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون دل
هذا على عظم شان الحق وان السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع
اهواهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى بعده قوام او اراد ان
الحق الذي جاء به محمد وهو الاسلام لو اتبع اهواهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة
ولاهلك العالم ولم يوخر وعن قتادة ان الحق هو الله ومعناه لو كان الله الها يتبع
اهواهم ويامر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر على ان يمسك
السموات والارض بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم او
فخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا
عباد الله المخلصين وقرى بذكراهم ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير
الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا يومنون بالاخرة
عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم
يعمهون قرئ خراجا فخراج وخرجا فخرج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من
زكوة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما
لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة
ح الكردة بالضم عن المصنف رح جمعها الكرد وهي من وضع الكرد والعرب لا تعرفها
وهي قطعة ارض مزروعة ف وزيادة اللفظ لزيادة المعنى فلذلك حسنت قراءة
من قرا خرجا فخراج ربك يعني ام تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق والكثير
من عطاء الخالق خير وقد الزمهم الحجة في هذه الايات وقطع معاذيرهم وعللهم
بان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان
يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي بمثل
هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء
اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون
من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتامل واستهتارهم بدين الاباء الضلال من
غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات
والايات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر يحتمل ان
هولاء وصفتهم انهم لا يومنون بالاخرة لناكبون اي عادلون عن الحق هذا الصراط
المستقيم المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وان كل من لا يومن بالاخرة فهو
عن القصد ناكب ك عن ابن عباس ان رسول الله صلعم اتاه فيما يرى النائم ملكان فقعد
احدهما عند رجليه والاخر عند راسه فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه

ولكن

اضرب مثل

اضرب مثل هذا ومثل امته فقال ان مثله هذا ومثل امته كمثل قوم سفر انتهوا
الى راس مفازة فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به
فبينما هم كذلك اذ اتاهم رجل في حلة حبرة فقال ارايتم ان وردت بكم رياضا معشبة
وحياضا رواء اتتبعوني فقالوا نعم قال فانطلق بهم فاوردهم رياضا معشبة و
حياضا رواء فاكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم الم القكم على تلك الحال فجعلتم لي ان
وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء ان تتبعوني فقالوا بلى قال فان بين ايديكم
رياضا اعشب من هذه وحياضا هي اروى من هذه فاتبعوني قال فقالت طائفة
صدق والله لنتبعنه وقالت طائفة قد رضينا بهذا نقيم عليه رواه احمد
وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلعم اني ممسك بحجزكم هلم عن النار
وتغلبونني وتقاحمون فيها تقاحم الفراش والجنادب فاوشك ان ارسل حجزكم وانا
فرطكم على الحوض فتردون علي معا واشتاتا اعرفكم بسيماكم واسمائكم كما يعرف
الرجل الغريب من الابل في ابله فيذهب بكم ذات الشمال فاناشد فيكم رب العالمين
اي رب قومي اي رب امتي فيقال يا محمد انك لا تدري ما احدثوا بعدك انهم كانوا
يمشون بعدك القهقرى على اعقابهم فلا اعرفن احدكم ياتي يوم القيمة يحمل بعيرا
له رغاء ينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك شيئا قد بلغت ولا اعرفن احدكم ياتي
يوم القيمة يحمل فرسا له حمحمة فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك شيئا قد بلغت
ولا اعرفن احدكم ياتي يوم القيمة يحمل شقا من ادم ينادي يا محمد يا محمد فاقول لا
املك لك شيئا قد بلغت رواه الحافظ ابو يعلى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا
لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم
فيه مبلسون وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما
تشكرون وهو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون وهو الذي
يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون لما اسلم ثمامة بن اثال
الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا
العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلعم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت
رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع ع ابو هريرة
قال بعث رسول الله صلعم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن
اثال سيد اهل اليمامة فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج اليه رسول الله
صلعم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم
تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله صلعم

اوردتكم

حتى اذا كان الغد قال له ما عندك يا ثمامة قال مثل ذلك فتركه حتى كان بعد الغد
وقال له ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك وذكر مثله فقال رسول الله صلعم اطلقوا
ثمامة فاطلقوه فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله يا محمد والله ما كان على الارض ابغض
الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه كلها الي والله ما كان من دين
ابغض الي من دينك فقد اصبح دينك احب الدين كله الي والله ما كان من بلد ابغض
الي من بلدك فقد اصبح بلدك احب البلاد كلها الي وان خيلك اخذتني وانا اريد
العمرة فماذا ترى فبشره رسول الله صلعم وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قيل له اصبأت
قال لا ولكني اسلمت مع محمد رسول الله صلعم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة
حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلعم هذا لفظ حديث مسلم واخرجه البخاري
مختصرا م ابن مسعود قال ان قريشا ابطأوا عن الاسلام فدعا عليهم النبي صلعم
فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام فجاءه ابو سفيان فقال يا محمد
جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله فقرأ فارتقب يوم تأتي السماء
بدخان مبين ثم عادوا الى كفرهم فذلك قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى يوم
بدر زاد في رواية فدعا رسول الله صلعم فسقوا الغيث واطبقت عليهم سبعا وشكا
الناس كثرة المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة عن راسه فسقوا
الناس حولهم وفي رواية ان النبي صلعم رأى من الناس ادبارا فقال اللهم سبع كسبع
يوسف فاخذتهم سنة حصت كل شيء حتى اكلوا الجلود والميتة والجيف وذكر الحديث
اخرجه البخاري وغيره وفي رواية لما دعا قريشا كذبوه واستعصوا عليه فقال اللهم
اعني عليهم بسبع كسبع يوسف وذكر نحوه ك عن ابن عباس انه قال جاء ابو سفيان
الى رسول الله صلعم فقال يا محمد انشدك الله والرحم قد اكلنا العلهز يعني الوبر والدم
فانزل الله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون رواه
ابن ابي حاتم والنسائي ح العلهز شيء يتخذ في المجاعة يخلطون الدم باوبار الابل
ثم يشوونه بالنار ويأكلونه وقيل هو شيء ينبت ببلاد بني سليم كاصل البردي
ف والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته
عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول
الله صلعم والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق
بين يديه يسترحمونه واستشهد على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم
يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم استكانة بعد ذلك ولا تضرع

حتى فتحنا

حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب
فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك
او محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى
اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون
لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت
مع التحير **فان قلت** ما وزن استكان قلت استفعل من الكون اي انتقل
من كون الى كون كما قيل استحال اي انتقل من حال الى حال ويجوز ان يكون افتعل
من السكون اشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح **فان قلت** هلا قيل وما تضرعوا
او فما يستكينون قلت لان المعنى محناهم فما وجدنا منهم عقيب المحنة استكانة
من عادة هؤلاء ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرئ
فتحنا انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية
والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم
في آيات الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة
عادمها كما قال جل وعز فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ
كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل
له ند ولا شريك اي تشكرون قليلا وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقا ذرأكم
خلقكم وبثكم بالتناسل واليه تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وله اختلاف الليل
والنهار اي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرئ يعقلون
بالياء عن ابي عمرو بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ءانا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين
اي قال اهل مكة مثل ما قال الكفار قبلهم الاساطير الاولين جمع اسطار جمع
سطر قال رؤبة اني واسطار سطرن سطرا
وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق قل لمن الارض ومن
فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو
يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون بل اتيناهم
بالحق وانهم لكاذبون اي اجيبوني عما استعلمتكم منه ان كان عندكم فيه علم
وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الظاهر
البين وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر

الارض ومن فيها اخترعها كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به
بعض خلقه في الربوبية قرئ الاول باللام لا غير والاخيران باللام وهو هكذا في
مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف اهل البصرة
فباللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام على
اللفظ ويجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية افلا تعقلون افلا تذكرون
فلا تشركوا به وتعصوا رسله اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني
وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احد منه احدا تسحرون تخدعون عن توحيده
وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى وقرئ اتيتهم وآتيتهم بالفتح والضم
بالحق بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل وانهم لكاذبون حيث يدعون
له ولدا ومعه شريكا ك في الحديث الذي رواه ابو داود عن رسول الله صلعم
شان الله اعظم من ذلك ان عرشه على سمواته هكذا واشار بيده مثل القبة
وفي الحديث الآخر ما السموات السبع والارضين السبع وما فيهن وما بينهن
في الكرسي الا كحلقة ملقاة بارض فلاة وان الكرسي بما فيه بالنسبة الى العرش
كتلك الحلقة في تلك الفلاة ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب و
الشهادة فتعالى عما يشركون لذهب كل اله بما خلق لانفرد كل واحد من الالهة
بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين
ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون
وحين لم تروا اثرا لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت
كل شيء **فان قلت** اذا لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع
قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل قلت الشرط محذوف
تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو
جواب لمن معه المحاجة من المشركين عما يصفون من الانداد والاولاد عالم
الغيب بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدا محذوف قل رب اما تريني ما يوعدون
رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون
ما والنون مؤكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب
في الدنيا او في الآخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن
اخبره الله ان له في امته نقمة ولم يخبره افي حياته ام بعد موته فامره ان
يدعو بهذا الدعاء **فان قلت** كيف يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم

مع

مع الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله معهم قلت يجوز ان يسال العبد ربه ما علم انه
يفعله وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه و
اخباتا له واستغفاره صلعم اذا قام من مجلسه سبعين مرة او مائة مرة لذلك
وما احسن قول الحسن في قول ابي بكر رضي الله عنه وليتكم ولست بخيركم كان
يعلم انه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ اما ترئنهم بالهمز مكان تريني
كما قرئ فاما ترئن ولترؤن الجحيم وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء
حث على فضل تضرع وجؤار كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه
واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تاملتم فما وجه
هذا الانكار ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون وقل
رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون هو ابلغ
من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قيل ادفع بالحسنى السيئة
والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح
والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية
قوله ادفع بالتي هي احسن وعن ابن عباس هي شهادة لا اله الا الله والسيئة الشرك
وعن مجاهد السلام تسلم عليه اذا لقيته وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هي
منسوخة باية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين
وازراء بمروءة بما يصفون بما يذكرونه من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم
لك وسوء ذكرهم والله اعلم بذلك منك واقدر على جزائهم الهمز النخس والهمزات
جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على
المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي ونحو الهمز
الأز في قوله تؤزهم ازا امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر
لندائه وبالتعوذ من ان يحضروه اصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس عند تلاوة
القرآن وعن عكرمة عند النزع ك جاء في الحديث الذي رواه احمد والترمذي
واذا اردت بقوم فتنة فتوفني غير مفتون وقد ورد مسندا الاستعاذة ان رسول
الله صلعم كان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه
ونفثه وروى ابو داود ان رسول الله صلعم كان يقول اللهم اني اعوذ بك من الهرم
واعوذ بك من الهدم ومن الغرق واعوذ بك ان يتخبطني الشيطان عند الموت
وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلعم يعلمنا كلمات نقولهن
عند النوم من الفزع باسم الله اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر

وهي صفته م

ان لا اله الا الله صح

عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون الحديث رواه احمد وابو داود والترمذي والنسائي حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون حتى يتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والاية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستفزه عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم او بقوله وانهم لكاذبون رب خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله

فان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

وقوله

الا فارحموني يا اله محمد وان لم اكن اهلا فانت له اهل

اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسال ربه الرجعة وقال لعلي اعمل صالحا في الايمان كما تقول لعلي ابني على اس تو بدا وشس اسا وابني عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صللم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا يسمع منه ومن ورائهم برزخ والضمير للجماعة اي امامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الاخرة فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالفتح والكسر عن ابي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ونفي الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتالف الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يتساءلون بادغام التاء في السين فان قلت

يناقض هذا وهو قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله ولا يسال حميم حميما فكيف التوفيق بينهما قلت فيه جوابان احدهما ان يوم القيمة مقداره خمسون الف سنة وفيه ازمنة واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعض لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع والثاني ان التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا وعن ابن عباس الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال اي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا في جهنم خالدون بدل من قوله خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف تلفح تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تاثيرا والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق براس اخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن وروي عن النبي صللم انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون ك عن ابي سعيد الخدري سمعت رسول الله صللم يقول على هذا المنبر ما بال رجال يقولون ان رحم رسول الله صللم لا تنفع قومه بلى والله ان رحمي موصولة في الدنيا والاخرة واني ايها الناس فرط لكم فاذا جئتم قال رجل يا رسول الله انا فلان بن فلان وقال اخر انا فلان بن فلان فاقول لهم اما النسب فقد عرفته ولكنكم احدثتم بعدي وارتددتم القهقرى رواه احمد وقد ذكرنا في مسند عمر بن الخطاب رض لما تزوج ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال اما والله ما بي الا اني سمعت رسول الله صللم يقول كل سبب ونسب فانه منقطع يوم القيمة الا سببي ونسبي رواه الطبراني والبزار والبيهقي وغيرهم الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم وقرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما قال اخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون

اخسئوا فيها ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأت الكلب فخسأ
بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو اخر كلام يتكلمون
به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون
ولا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة
ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين و
احييتنا اثنتين فيجابون ذلك بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فينادون الفا يا مالك
ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم
تكونوا فينادون الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون
الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها وفي حرف أبي انه كان فريق بالفتح بمعنى
لانه السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في يا النسب زيادة قوة في الفعل كما
قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم
من السخرة والعبودية اي تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه
قيل هم الصحابة وقيل هم اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم
بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه اي تركتم
ان تذكروني فتخافوني في اوليائي وقرئ انهم بالفتح والكسر استئناف اي فعد
فازوا حيث صبروا لجزوا بصبرهم احسن الجزاء والفتح على انه مفعول جزيتهم كقولك
جزيتهم فوزهم قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون افحسبتم انما
خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب
العرش الكريم في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال ضمير الله او
المأمور بسؤالهم من الملائكة وفي قل ضمير الملك او بعض رؤساء اهل النار استقصروا
مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل
ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة اليها او لانهم كانوا في سرور وايام
السرور قصار او لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله تعالى في مقالهم لسني لبثهم
في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فاسأل العادين والمعنى لا
نعرف من عدد تلك السنين ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فيه
ان نعد كم هي فاسأل من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فاسأل الملائكة
الذين يعدون اعمار العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة
فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها



فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين
عبثا حال اي عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا
الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات
وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب
المسيء وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم عبثا ويجوز ان يكون معطوفا
على عبثا اي للعبث ولتركناكم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء الحق الذي
يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش
بالكريم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما
يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد
عن رسول الله صلعم انه قال ان الله اذا ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار قال يا اهل الجنة كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم قال لنعم ما اتجرتم في يوم او بعض يوم رحمتي ورضواني وجنتي امكثوا فيها
خالدين مخلدين ثم يقول يا اهل النار كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم فيقول بئس ما اتجرتم في يوم او بعض يوم ناري وسخطي
امكثوا فيها خالدين مخلدين رواه ابن ابي حاتم والله اعلم ومن يدع مع
الله الها اخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل
رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا
وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان يكون في الالهة
ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك
من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة
ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون
جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون
فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة روي ان اول سورة قد افلح واخرها من كنوز
العرش من عمل بثلاث ايات من اولها واتعظ باربع ايات من اخرها فقد نجا وافلح
وعن عمر بن الخطاب كان رسول الله صلعم اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي
كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا
واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا
ثم قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون
حتى ختم العشر قلت وقد تقدم تمام هذا الحديث وما قيل فيه والله اعلم

وعن رسول الله صلعم ان لله ملكا موكلا بمن يقول يا ارحم الراحمين فمن قالها ثلثا قال له
الملك ان ارحم الراحمين قد اقبل عليك فسل ذكره في عدة الحصن الحصين منسوبا الى المستدرك

سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون اية

وقيل اربع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها ايات بينات لعلكم تذكرون الزانية
والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله
ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر وليشهد عذابهما طايفة من المومنين

سورة خبر مبتدا محذوف وانزلناها صفة او هي مبتدا موصوف والخبر محذوف اي
فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها
لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه او على دونك سورة او اتل سورة وانزلناها
صفة ومعنا فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها
واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده او لان فيها فرايض
شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرايض او لكثرة المفروض عليهم من
السلف ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها الزانية والزاني
رفعهما على الابتدا والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم
الزانية والزاني اي جلدهما ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفا
لان الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى
فاجلدوهما كما تقول من زنا فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا
باربعة شهدا فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن
من سورة انزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا يا والجلد ضرب الجلد يقال
جلده كقولك ظهره وبطنه وراسه **فان قلت** اهذا حكم جميع الزناة والزواني
ام حكم بعضهم قلت بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرايط الاحصان
عند ابي حنيفة ست الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول
اذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول
الله صلعم رجم يهوديين زنيا وحجة ابي حنيفة قوله عليه السلم من اشرك بالله فليس بمحصن **فان
قلت** اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني
عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن قلت الزانية والزاني يدلان على الجنسين
المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قايمة في الكل والبعض جميعا

فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك ح توجيه الجواب انا لا نسلم انه عام
بل هو مطلق فان لام الجنس اذا دخلت على مفهوم دلت دلالة مطلقة شايعة في الجنس
فيصح حمله على البعض وعلى الكل فاذا انتهضت قرينة تعين المقصود منهما كاللفظ المشترك
فان ارادة احد مفهوميه انما يتعين بالقرينة وقرينة تقييد هذا المطلق اية الرجم التي
نسخت قراتها فقط وهي الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما الى اخرها وعن المص ان الالف
واللام في الصفات عند المازني ومن تبعه كالمبرد وغيره موصول لكنهما في الاسما للتعريف وعند
سيبويه هما بمعنى الذي والصفة بمعنى الفعل ف وقرئ ولا ياخذكم بالياء ورافة
بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى ان الواجب على المومنين ان يتصلبوا في دين
الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا ياخذهم اللين والهوادة في استيفا حدود
الله وكفى برسول الله صلعم اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها
وقوله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر من قبيل التهييج والهاب الغضب لله ولدينه
وقيل لا تترحموا عليهما حتى لا تعطلوا الحدود وحتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يوتى
بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم به مني فيومر به الى النار
ويوتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيومر به الى النار وعن ابي هريرة
اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود
رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قايما على مجرده ليس عليه الا ازار
ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضا كلها لا يستثنى منها الا ثلثة الراس والفرج
والوجه وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم والمراة تجلد قاعدة
ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الاية استشهد ابو حنيفة على ان الجلد
حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي على وجوب التغريب من قوله عليه السلم البكر
بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده
وعند اصحابه بالاية او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب وقول
الشافعي في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلثة اقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب
نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة وبهذه الاية نسخ الحبس
والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فاذوهما قيل تسميته عذابا دليل على
انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا الطايفة الفرقة
التي يمكن ان تكون حلقة واقلها ثلثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول
الشي وعن ابن عباس في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن
عشرة وعن قتادة ثلثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد

فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح ان
هذه الكبيرة من امهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون
ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن
النبي صلعم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في
الاخرة فاما التي في الدنيا فانه يذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي
في الاخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك ذكر الله فيه عدد
المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى
المومنين عن الرافة على المجلود فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب ان يكون طائفة
يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه المومنين لان
ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين رجلا
من المصدقين بالله ع ابن عباس قال سمعت عمر وهو على منبر رسول الله صلعم
يخطب ويقول ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب وكان مما انزل عليه اية
الرجم فقرأناها ووعيناها ورجم رسول الله صلعم ورجمنا بعده فاخشى ان طال الزمان
ان يقول قائل ما وجدنا اية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله في كتابه
فان الرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة
او كان حمل او الاعتراف وايم الله لولا ان يقول الناس زاد في كتاب الله لكتبتها هذه رواية
ابي داود وللباقين الى النسائي نحوه خ م ت ابو سعيد ان رجلا من اسلم يقال له ماعز بن
مالك اتى رسول الله صلعم فقال اني اصبت فاحشة فاقمه علي فرده النبي صلعم مرارا
قال ثم سال قومه فقالوا ما نعلم به باسا الا انه اصاب شيئا يرى انه لا يخرجه منه الا ان
يقام فيه الحد قال فرجع الى رسول الله صلعم فامرنا ان نرجمه فانطلقنا به الى بقيع
الغرقد قال فما اوثقناه ولا حفرنا له فرميناه بالعظام والمدر والخزف قال
فاشتد واشتددنا خلفه حتى اتى عرض الحرة فانتصب لنا فرميناه بجلاميد الحرة
يعني الحجارة حتى سكت اي مات قال ثم قام رسول الله صلعم خطيبا من العشي قال
او كلما انطلقنا غزاة في سبيل الله تخلف رجل في عيالنا له نبيب كنبيب التيس
علي ان لا اوتى برجل فعل ذلك الا نكلت به قال فما استغفر له ولا سبه وفي رواية
فاعترف بالزنا ثلاث مرات هذه رواية مسلم م ح وقد رواه الجماعة من طرق عدة
بالفاظ تزيد وتنقص وهو مشهور ح جابر ان رجلا زنا بامراة فامر به رسول
الله صلعم فجلد الحد ثم اخبر انه محصن فامر به فرجم وفي رواية ان رجلا زنا بامراة
فلم يعلم باحصانه فجلد ثم علم باحصانه فرجم اخرجه ابو داود د ع عمران بن الحصين

ما الناس ح

قال ان امراة من جهينة اتت رسول الله صلعم وهي حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله
اصبت حدا فاقمه علي فدعا نبي الله وليها فقال احسن اليها فاذا وضعت فاتني بها ففعل
فامر بها رسول الله صلعم فشدت عليها ثيابها ثم امر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر
اتصلي عليها وقد زنت فقال رسول الله صلعم لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من
اهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت افضل من ان جادت بنفسها لله عز وجل اخرجه
مسلم والترمذي وابو داود والنسائي الا انهما قالا فشكت عليها ثيابها يعني شدت
ابو بكرة ان النبي صلعم رجم امراة فحفر لها الى الثندوة زاد في رواية ثم رماها ولا
رسول الله صلعم بحصاة مثل الحمصة ثم قال ارموها واتقوا الوجه فلما طفئت اخرجت وصلى
عليها اخرجه ابو داود د ابو هريرة وزيد بن خالد الجهني قالا جاء اعرابي الى رسول
الله صلعم وهو جالس فقال يا رسول الله انشدك الله الا قضيت لي بينا بكتاب الله فقال الخصم
الاخر وهو افقه منه نعم فاقض بيننا بكتاب الله واذن لي فقال رسول الله صلعم قل قال
ان ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامراته واني اخبرت ان على ابني الرجم فافتديت
منه بمائة شاة ووليدة فسالت اهل العلم فاخبروني ان ما على ابني الا جلد مائة
وتغريب عام وان على امراة هذا الرجم فقال رسول الله صلعم والذي نفسي بيده
لاقضين بينكما بكتاب الله تعالى الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب
عام اغد يا انيس لرجل من اسلم الى امراة هذا فان اعترفت فارجمها فغدا عليها فاعترفت
فامر بها رسول الله صلعم فرجمت قال مالك والعسيف الاجير اخرجه الجماعة ح الشعبي
ان عليا رضي الله عنه حين رجم المراة ضربها يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة فقال جلدتها
بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلعم اخرجه البخاري خ ابن عمر ان امر جدا على
بعض امائه فجعل يضرب رجليها وساقيها فقال له سالم اين قول الله ولا تاخذكم بهما
رافة في دين الله فقال اتراني اشفقت عليها ان الله لم يامرني بقتلها ط لم يذكر مخرجه
وقد رواه ابن كثير عن ابن ابي حاتم بنحوه ط زيد بن اسلم ان رجلا اعترف على نفسه
بالزنا على عهد رسول الله صلعم فدعا له رسول الله صلعم بسوط فاتي بسوط مكسور
فقال فوق هذا فاتي بسوط جديد لم تقطع ثمرته فقال دون هذا فاتي
بسوط قد ركب به ولان فامر به رسول الله صلعم فجلد ثم قال يا ايها الناس قد ان لكم ان
تنتهوا عن حدود الله من اصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فانه
من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله اخرجه الموطا ط يحيى بن راشد قال جلسنا الى
ابن عمر فخرج الينا فسمعته يقول سمعت رسول الله صلعم يقول من حالت شفاعته
دون حد من حدود الله فقد ضاد الله عز وجل ومن خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل

في سخط الله حتى ينزع ومن قال في مؤمن ما ليس فيه اسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج
مما قال زاد في رواية ومن اعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله اخرجه ابو داود
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك
على المؤمنين الفاسق الخبيث الذي من شانه الزنا والتخبث لا يرغب في نكاح الصوالح
من النسا واللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة و
الفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحا من الرجال وينفرون عنها
وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله
الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محظور
لما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة
وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الاثام فكيف بمزاوجة
الزواني والقحاب وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقرا المهاجرين
في نكاحهن فاستاذنوا رسول الله صلعم فنزلت وعن عائشة ان الرجل اذا زنا بامراة
ليس له ان يتزوجها لهذه الاية واذا باشرها كان زانيا وقد اجازه ابن عباس وشبهه
بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلعم انه سيل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره
نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطي وليس بقول لامرين احدهما
ان هذه الكلمة اينما وردت في القران لم ترد الا في معنى العقد والثاني فساد المعنى
واداوه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وقيل كان
نكاح الزانية محرما في اول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم
وقيل الاجماع وروي ذلك عن سعيد بن المسيب **فان قلت** اي فرق بين معنى
الجملة الاولى ومعنى الثانية قلت معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفايف
ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفا
ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان **فان قلت** كيف قدمت الزانية على الزاني
اولا ثم قدم عليها ثانيا قلت سيقت تلك الاية لعقوبتهما على ما جنيا والمراة هي
المادة التي منها نشات الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع
ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدي بذكرها واما الثانية فمسوقة لذكر
النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدا الطلب وعن عمرو
بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع فيه ايضا معنى النهي ولكن ابلغ واكد كما
ان رحمك الله ويرحمك الله ابلغ من ليرحمك الله ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى

ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويصون
نفسها وقدره وحرم بفتح الحاء ع عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان رجل
يقال له مرثد ابن ابي مرثد وكان رجلا يحمل الاسرى من مكة حتى ياتي بهم المدينة قال
وكانت امراة بغي بمكة يقال لها عناق وكانت صديقة له وانه كان وعد رجلا من اسارى
مكة ان يحمله قال فجئت حتى انتهيت الى ظل حايط من حوايط مكة في ليلة مقمرة قال
فجاءت عناق فابصرت سواد ظلي بجنب الحايط فلما انتهت الي عرفتني فقالت مرثد فقلت مرثد
فقالت مرحبا واهلا هلم فبت عندنا الليلة قال قلت يا عناق حرم الله الزنا قالت يا اهل
الخيام هذا الرجل يحمل اساراكم قال فتبعني ثمانية وسلكت الخندمة فانتهيت الى غار
او كهف فدخلت فيه فجاوا حتى قاموا على راسي فبالوا فظل بولهم على راسي واعماهم
الله عني ثم رجعوا ورجعت الى صاحبي فحملته وكان رجلا ثقيلا حتى انتهيت الى الاذخر
ففككت عنه اكبله فجعلت احمله ويعييني حتى قدمت المدينة فاتيت رسول الله صلعم فلم
يرد علي شيا حتى نزلت الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك
فقال رسول الله صلعم يا مرثد الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان
او مشرك فلا تنكحها هذه رواية الترمذي واخرجه النسائي بنحوه ورواية الترمذي اتم
واختصره ابو داود ك عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم لا ينكح الزاني المجلود
الا مثله رواه احمد وابو داود وعن ابن عمر قال رسول الله صلعم ثلثة لا يدخلون الجنة
ولا ينظر الله اليهم يوم القيمة العاق لوالديه والمراة المترجلة المتشبهة بالرجال والديوث
وثلثة لا ينظر الله اليهم يوم القيمة العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان بما اعطى رواه
احمد والنسائي وعنه ايضا ان رسول الله صلعم قال ثلثة حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر
والعاق والديوث الذي يقر في اهله الخبث رواه احمد واما الحديث الذي رواه النسائي
وابو داود ان رجلا جا الى رسول الله صلعم فقال ان عندي امراة من احب الناس الي
وهي لا تمنع يد لامس قال طلقها قال لا اصبر عنها قال استمتع بها فقد اختلف العلما فيه
فقال النسائي هذا الحديث غير ثابت وقال الامام احمد هو حديث منكر وقال ابن قتيبة انما اراد
انها سخية لا تمنع سائلا ورد هذا بانه لو كان المراد لقال لا ترد يد ملتمس وقيل المراد
ان سجيتها لا ترد يد لامس لا ان المراد ان هذا وقع منها وانها تفعل الفاحشة فان
رسول الله صلعم لا ياذن في مصاحبة من هذه صفتها فان زوجها والحالة هذه يكون
ديوثا وقد تقدم الوعيد على ذلك ولكن لما كان سجيتها هكذا ليس فيها ممانعة ولا
مخالفة لمن ارادها لو خلا بها احد امره رسول الله صلعم بفراقها فلما ذكر انه يحبها
اباح له البقا معها لان محبته لها محققة ووقوع الفاحشة منها متوهم فلا يصار الى الضرر

وقلنا يا رسول الله صلعم ... فامسك ... غنان ... (marginal note, partly illegible)

الفاحل لتوهم الاجل والله اعلم انتهى ولفظ هذا الحديث في جامع الاصول عن ابن عباس
قال جاء رجل الى رسول الله صلعم فقال ان امرأتي لا ترد يد لامس قال غربها قال اخاف
أن تتبعها نفسي قال فاستمتع بها اخرجه ابو داود والنسائي وقال النسائي رفعه احد
الرواة الى ابن عباس واحدهم لم يرفعه قال وهذا الحديث ليس بثابت انتهى وهذا
الحديث قد ذكره ابو الفرج بن الجوزي في الموضوعات من رواية ابن الزبير ولعل
ذلك سهو وحكى عن احمد بن حنبل انه قال هذا الحديث لا يثبت عن رسول الله صلعم
ليس له اصل والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم
ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا
من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم القذف يكون بالزنا وبغيره والذي
دل على ان المراد قذفهن بالزنا شيئان احدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني
والثاني اشتراط اربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف
بالزنا ان يقول الحر البالغ العاقل للمحصنة يا زانية او للمحصن يا زاني يا ابن الزاني
يا ابن الزانية يا ولد الزنا لست لابيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا ان يقول يا
آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه
التعزير ولا يبلغ به حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه وقال ابو يوسف يجوز ان
يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام ان يعزر الى المائة وشروط احصان القذف خمسة
الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة وقرئ باربعة شهداء بالتنوين وشهداء
صفة **فان قلت** كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين قلت الواجب عند
ابي حنيفة واصحابه ان يحضروا في مجلس واحد وان جاءوا متفرقين كانوا قذفة وعند
الشافعي يجوز ان يحضروا متفرقين **فان قلت** هل يجوز ان يكون
زوج المقذوفة واحدا منهم قلت يجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي **فان قلت**
كيف يجلد القاذف قلت كما جلد الزاني الا انه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع من
المرأة من الحشو والفرو والقاذفة ايضا كالزانية واشد الضرب ضرب التعزير
ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل
للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها **فان قلت**
فاذا لم يكن المقذوف محصنا قلت يعزر القاذف ولا يحد الا ان يكون المقذوف
معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير رد شهادة القاذف معلق عند ابي حنيفة
باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفي
لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي يتعلق

رد شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان رجع عنه عاد مقبول الشهادة
وكلاهما متمسك بالآية فابو حنيفة جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد
الشهادة عقيب الجلد على التأبيد فكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم
وهو مدة حياتهم وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستأنفا غير داخل في حيز
جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية والا الذين
تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله فان الله غفور رحيم والشافعي رضي الله عنه
جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي
بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى
عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه
عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث بمجموعهن
جزاء الشرط كأنه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم
اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان
الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين **فان قلت**
الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب
عن القذف فلا تقبل شهادته عند ابي حنيفة كان القذف مع الكفر اهون من القذف
مع الاسلام قلت المسلمون لا يعبأون بسب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم والطعن
فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف
مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار **فان
قلت** هل للمقذوف او للامام ان يعفوا عن حد القاذف قلت لهما ذلك قبل
ان يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف ولا
يطالبه بالحد ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض
عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما ان يعفو لانه
خالص حق الله تعالى ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال **فان قلت** هل يورث
الحد قلت عند ابي حنيفة لا يورث لقوله عليه السلام الحد لا يورث ويورث عند الشافعي
واذا تاب القاذف قبل ان يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت حين
تاب مما قال في عايشة ع عن عايشة قالت لما نزل عذري قام النبي صلعم على المنبر فذكر
ذلك وتلا فلما نزل من المنبر امر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم وفي رواية عن محمد
بن اسحق لم يذكر عايشة قال فامر برجلين وامرأة ممن تكلم بالفاحشة حسان بن ثابت
ومسطح بن اثاثة قال النفيلي ويقولون المرأة حمنة بنت جحش اخرجه ابو داود

عمرة بنت عبد الرحمن ان رجلين استبّا في زمن عمر فقال احدهما للآخر والله ما ابي
بزان ولا امي بزانية فاستشار عمر في ذلك فقال قائل مدح اباه وامه وقال آخرون قد
كان لابيه وامه مدح سوى هذا فجلده عمر ثمانين جلدة اخرجه الموطأ ع ابن عباس
ان رسول الله صلعم قال اذا قال الرجل للرجل يا يهودي فاضربوه عشرين فان قال
له يا مخنث فمثله ومن وقع على ذات محرم فاقتلوه هذا والله اعلم اخرجه الترمذي **والذين
يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
ويدرأ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان
الله تواب حكيم** قاذف امرأته اذا كان مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف
والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول
لها يا زانية او زنيت او رأيتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا في القذف
والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان
واللعان ان يبدأ الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها
به من الزنا ثم يقول والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من
الزنا وتقول المرأة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم
تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند
الشافعي يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد
ويأمر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله
وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس في مسجده
ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مسجدنا الا في المسجد الحرام
لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا
تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة واصحابه الا عند زفر ان الفرقة تقع
باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند الشافعي تقع بلعان الزوج وتكون
هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتأبد حكمها فاذا
اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز له ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر
والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما
ان يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي ان آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلعم على
المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد الرجل مع امرأته



رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت
سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح
وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك فقال شر اللهم وجدت على
بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما اسرع ما
ابتليت به فرجعا فاخبر عاصم رسول الله صلعم فكلم خولة فقالت لا ادري الغيرة
ادركته ام بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم فقال هلال والله لقد رأيته على
بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلعم عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه
ان غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال لها ان كنت الممت بذنب فاعترفي به
فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فان
جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا جماليا
خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت به اشبه خلق الله بشريك
فقال صلعم لولا الايمان لكان لي ولها شأن وقرئ ولم تكن بالتاء لان الشهداء جماعة
او لانهم في معنى الانفس التي هي بدل ووجه من قرأ اربع بالنصب ان ينتصب لانه
في حكم المصدر والعامل المصدر الذي هو فشهادة احدهم وهي مبتدأ محذوف الخبر
تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات وقرئ ان لعنة الله وان غضب الله
بتخفيف ان ورفع ما بعدها وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب وقرئ بنصب
الخامستين على معنى وتشهد الخامسة **فان قلت** لم خصت الملاعنة بان
تخمس بغضب الله قلت تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها
ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد لذلك قوله صلعم لخولة فالرجم اهون
عليك من غضب الله م الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على امر
عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به ع ابن عباس ان هلال
بن امية قذف امرأته عند النبي صلعم بشريك بن سحماء فقال النبي صلعم البينة او حد في ظهرك
فقال يا رسول الله اذا رأى احدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي
صلعم يقول البينة والا حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن
الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل عليه السلم وانزل عليه والذين يرمون ازواجهم حتى
بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلعم فارسل اليها فجاء هلال فشهد والنبي
صلعم يقول ان الله يعلم ان احدكما لكاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت
عند الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى
ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي سائر اليوم فمضت قال النبي صلعم ابصروها فان

جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك
فقال النبي صلعم لولا ما مضى من كتاب الله عز وجل لكان لي ولها شأن أخرجه البخاري وأبو
داود والترمذي م أنس أن هلال بن أمية قذف امرأته بشريك بن سحماء وكان أخا
البراء بن مالك لأمه فكان أول رجل لاعن في الإسلام فلاعنها فقال رسول الله صلعم
أبصروها فإن جاءت به أبيض سبطًا قضيء العينين فهو لهلال بن أمية وإن جاءت به أكحل
جعدًا أحمش الساقين فهو لشريك بن سحماء قال فأنبئت أنها جاءت به أكحل جعدًا أحمش الساقين
أخرجه مسلم والنسائي وللنسائي رواية أخرى أبسط من هذه د ابن عباس قال جاء هلال
بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلا
فرأى بعينيه وسمع بأذنه فلم يهجه حتى أصبح ثم غدا على رسول الله صلعم فقال يا رسول
الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندهم رجلا فرأيت بعيني وسمعت بأذني فكره رسول
الله صلعم ما جاء به واشتد عليه فنزلت والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء
إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين إلى قوله والخامسة
أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فسري عن رسول الله صلعم وقال أبشر
يا هلال فقد جعل الله لك فرجًا ومخرجًا قال هلال قد كنت أرجو ذلك من ربي تعالى
فقال رسول الله صلعم أرسلوا إليها فجاءت فتلاها عليهما رسول الله صلعم وذكرهما وأخبرهما
أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا وقال هلال لقد صدقت عليها فقالت كذب
فقال رسول الله صلعم لاعنوا بينهما فشهد هلال أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين
فلما كانت الخامسة قيل له يا هلال اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة
وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني
عليها فشهد الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم قيل لها اشهدي فشهدت
أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فلما كانت الخامسة قيل لها اتقي الله فإن عذاب
الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فتلكأت ساعة
ثم قالت والله لا أفضح قومي فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين
ففرق رسول الله صلعم بينهما وقضى بأن لا يدعى ولدها لأب ولا ترمى ولا يرمى ولدها
ومن رماها أو رمى ولدها فعليه الحد وقضى أن لا بيت عليه لها ولا قوت من أجل
أنهما يتفرقان من غير طلاق ولا متوفى عنها وقال رسول الله صلعم إن جاءت به
أصيهب أريصح أثيبج ناتئ الأليتين حمش الساقين فهو لهلال وإن جاءت به أورق جعدًا
جماليًا خدلج الساقين سابغ الأليتين فهو للذي رميت به فجاءت به أورق جعدًا جماليًا
خدلج الساقين سابغ الأليتين فقال رسول الله صلعم لولا الأيمان لكان لي ولها شأن

وقال

وقال عكرمة فكان ولدها بعد ذلك أميرًا على مصر وما يدعى لأب هذه رواية أبي داود
وفي رواية له وللبخاري والترمذي نحو الرواية السابقة عن ابن عباس خ ابن
شهاب أن سهل بن سعد الساعدي أخبره أن عويمرًا العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي
الأنصاري فقال له أرأيت يا عاصم لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه
أم كيف يفعل فسل لي يا عاصم رسول الله صلعم فسأل عاصم رسول الله صلعم فكره رسول
الله المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلعم فلما رجع عاصم إلى
أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلعم قال عاصم لعويمر لم
تأتني بخير قد كره رسول الله صلعم المسألة التي سألته عنها فقال عويمر والله
لا أنتهي حتى أسأله عنها فأقبل عويمر حتى أتى رسول الله صلعم وسط الناس فقال يا رسول
الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل فقال
رسول الله صلعم قد نزل فيك وفي صاحبتك فاذهب فأت بها قال سهل فتلاعنا
وأنا مع الناس عند رسول الله صلعم فلما فرغا قال عويمر كذبت عليها يا رسول
الله إن أمسكتها فطلقها ثلاثًا قبل أن يأمره رسول الله صلعم قال ابن شهاب
فكانت سنة المتلاعنين وفي رواية نحوه وأدرج فيه قوله وكان فراقه إياها
بعد سنة في المتلاعنين ولم يقل إنه من قول الزهري وزاد فيها قال سهل فكانت
حاملا فكان ابنها ينسب إلى أمه ثم جرت السنة أنه يرثها وترث منه ما فرض الله
لها وفي أخرى نحوه قال فتلاعنا في المسجد وأنا شاهد وزاد بعد قوله فطلقها
ثلاثًا قبل أن يأمره رسول الله صلعم فقال النبي صلعم ذاكم التفريق بين كل متلاعنين وفي
أخرى فقال رسول الله صلعم إن جاءت به أحمر قصيرًا كأنه وحرة فلا أراها إلا قد صدقت
وكذب عليها وإن جاءت به أسود أعين ذا أليتين فلا أراه إلا قد صدق عليها فجاءت
به على المكروه من ذلك أخرجه البخاري ومسلم وأخرج الموطأ وأبو داود
والنسائي الرواية الأولى إلى قوله فكانت تلك سنة المتلاعنين وفي رواية لأبي
داود فمضت السنة بعد في المتلاعنين وفي رواية لأبي داود أن يفرق بينهما
ثم لا يجتمعان أبدًا وفي حديث أخرجه الستة من رواية ابن عمر قال قال
رسول الله صلعم للمتلاعنين حسابكما على الله أحدكما كاذب لا سبيل لك عليها قال
يا رسول الله مالي قال لا مال لك إن كنت صدقت عليها فهو بما استحللت من فرجها
وإن كنت كذبت عليها فذلك أبعد لك منها وفي رواية للنسائي عن ابن عباس أن
النبي صلعم أمر رجلا حين أمر المتلاعنين أن يتلاعنا أن يضع يده عند الخامسة على
فيه وقال إنها موجبة إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم

بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب
عظيم الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى
يفجاك واصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على
عائشة رضي الله عنها والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة
واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي راس المنافقين وزيد بن رفاعة وحسان
بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقرئ كبره وكبره بالضم
والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لامعانه في عداوة رسول الله صلعم و
انتهازه الفرصة وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب كل خائض في حديث
الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله لان
معظم الشر كان منه يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال
من هذه قالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل
حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة
رسول الله صلعم وابو بكر وعائشة وصفوان بن المعطل ومعنى كونه خيرا لهم انهم
اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة
آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لرسول الله صلعم وتسلية له وتنزيه لام
المؤمنين رضوان الله عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع
به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيامة وفوائد دينية
واحكام وآداب لا تخفى على متأمليها ع الزهري عن عروة بن الزبير وسعيد بن
المسيب وعلقمة بن وقاص الليثي وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث
عائشة زوج النبي صلعم حين قال لها اهل الافك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا قال
الزهري وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان اوعى له من بعض وقد وعيت عن
كل واحد منهم الحديث الذي حدثني به عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا
قالت كان رسول الله صلعم اذا اراد ان يخرج سفرا اقرع بين ازواجه فايتهن خرج
سهمها خرج بها معه قالت فاقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت معه بعد
ما نزل الحجاب وانا احمل في هودجي وانزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلعم من
غزاته تلك وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل
فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شاني اقبلت الى الرحل فلمست صدري
فاذا عقد لي من جزع اظفار وفي رواية ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي
فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه

على بعيري الذي كنت اركب وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم
يثقلن ومنهم من قال لم يهبلن ولم يغشهن اللحم وانما ياكلن العلقة من الطعام
فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج ومنهم من قال خفة الهودج فحملوه
وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعد ما استمر
الجيش فجئت منازلهم وليس فيه احد ومنهم من قال فجئت منازلهم وليس بها داع
ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون الي
فبينا انا جالسة غلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني
قد عرس من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فاتاني
فعرفني حين رآني وقد كان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني
فخمرت وجهي بجلبابي والله ما يكلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى
حتى اناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش
بعد ما نزلوا معرسين وفي رواية موغرين في نحر الظهيرة قال احد رواته والوغرة
شدة الحر قالت فهلك من هلك في شاني وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن
ابي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون في قول اصحاب
الافك ولا اشعر وهو يريبني في وجعي اني لا ارى من النبي صلعم اللطف الذي
كنت ارى منه حين اشتكي انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذي
يريبني منه ولا اشعر بالشر حتى نقهت فخرجت انا وام مسطح قبل المناصع وهي متبرزنا
وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب
الاول في التبرز قبل الغائط وكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا فاقبلت انا وام
مسطح وهي ابنة ابي رهم بن المطلب بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر خالة ابي
بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شاننا نمشي فعثرت
ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلا شهد
بدرا فقالت يا هنتاه الم تسمعي ما قال قلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك
فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل رسول الله صلعم وقال كيف
تيكم فقلت ايذن لي ان اتي ابوي قالت وانا حينئذ اريد ان استيقن الخبر من قبلهما
فاذن لي رسول الله صلعم فاتيت ابوي فقلت لامي يا امتاه ماذا يتحدث الناس به
فقالت يا بنية هوني على نفسك الشان فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند
رجل قط يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس
بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لي دمعة ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت

ابكي فدعا رسول الله صلعم علي بن ابي طالب رضي الله عنه واسامه بن زيد حين استلبث
الوحي يستشيرهما في فراق اهله قالت فاما اسامه فاشار عليه بما يعلم من براءة اهله
وبالذي يعلم في نفسه من الود لهم فقال اسامه هم اهلك يا رسول الله ولا نعلم
والله الا خيرا واما علي بن ابي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء
سواها كثير وسل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلعم بريرة فقال اي
بريره هل رايت من شيء يريبك قالت له بريره لا والذي بعثك بالحق ان رايت منها
امرا اغمصه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتاتي الداجن
فتاكله قالت فقام رسول الله صلعم من يومه فاستعذر من عبد الله بن ابي بن
سلول وقال رسول الله صلعم وهو على المنبر من يعذرني من رجل بلغني اذاه في
اهلي ومن الرواه من قال في اهل بيتي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد
ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي قالت فقام
سعد بن معاذ اخو بني عبد الاشهل فقال يا رسول الله انا والله اعذرك منه ان
كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا الخزرج امرتنا ففعلنا فيه
امرك فقام سعد بن عباده وهو سيد الخزرج وكانت ام حسان بنت عمه من فخذه
وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحميه ومن الرواة من قال اجتهلته الحميه فقال
لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام اسيد بن حضير وهو
ابن عم سعد يعني بن معاذ فقال لسعد بن عباده كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك
منافق تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا
ورسول الله قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلعم يخفضهم حتى سكتوا وسكت
وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي
دمع ولا اكتحل بنوم فاصبح عندي ابواي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى اظن ان
البكا فالق كبدي ومن الرواه من قال وابواي يظنان ان البكا فالق كبدي قالت فبينما
هما جالسان عندي وانا ابكي اذ استاذنت امراة من الانصار فاذنت لها فجلست
تبكي معي فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا رسول الله صلعم فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي
من يوم قيل لي ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه في شاني بشيء قالت فتشهد
رسول الله صلعم ثم قال اما بعد يا عايشه فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة
فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف
بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلعم مقالته قلص دمعي حتى ما
احس منه قطرة وقلت لابي اجب رسول الله فيما قال قال والله ما ادري ما

حين جلس

اقول لرسول الله فقلت لامي اجيبي عني رسول الله فيما قال فقالت والله ما ادري
ما اقول لرسول الله قالت وانا جارية حديثة السن لا اقرا كثيرا من القران فقلت
اني والله لقد علمت انكم سمعتم ما يتحدث به الناس حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلئن قلت
لكم اني بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقني
فوالله ما اجد لي ولكم مثلا الا ابا يوسف اذ قال فصبر جميل والله المستعان على
ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشي وانا والله اعلم اني حينئذ بريئة
وان الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت اظن ان ينزل الله في شاني وحيا يتلى ولشاني
كان احقر في نفسي من ان يتكلم الله في بامر يتلى ومن الرواة من قال ولانا احقر
نفسي من ان يتكلم الله في بالقران في امري ولكن كنت ارجو ان يرى رسول الله صلعم
في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما رام مجلسه ولا خرج احد من اهل البيت حتى
انزل الله عز وجل على نبيه فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه
مثل الجمان من العرق في يوم شات من ثقل القول الذي انزل عليه قالت فسري عن
رسول الله صلعم وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال لي يا عايشة احمدي الله
ومن الرواه من قال ابشري يا عايشه اما الله فقد براك فقالت لي امي قومي الى
رسول الله صلعم فقلت لا والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله هو الذي انزل براءتي
فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤوا بالافك عصبة منكم العشر الايات فلما انزل الله
هذا في براءتي قال ابو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره
والله لا انفق على مسطح شيئا ابدا بعد الذي قال لعايشه فانزل الله تعالى ولا ياتل
اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى الى قوله غفور رحيم فقال ابو بكر
بلى والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح الذي كان يجريه عليه وقال والله
لا انزعها منه ابدا قالت عايشه وكان رسول الله صلعم سال زينب بنت جحش عن
امري فقال يا زينب ما علمت ما رايت فقالت يا رسول الله احمي سمعي وبصري والله ما علمت
عليها الا خيرا قالت عايشه وهي كانت تساميني من ازواج رسول الله صلعم فعصمها
الله بالورع قالت فطفقت اختها حمنه تحارب لها فهلكت فيمن هلك من اصحاب الافك قال
ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هولاء الرهط هذه من روايات البخاري ومسلم
قال البخاري قال الزهري كان حديث الافك في غزوة المريسيع غزوة بني المصطلق
قال ابن اسحق وذلك سنة ست وقال موسى بن عقبه سنة اربع لولا اذ سمعتموه ظن
المومنون والمومنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاؤوا عليه
باربعة شهدا فاذ لم ياتوا بالشهدا فاولئك هم الكاذبون بانفسهم اي بالذين منهم

عبد الله

من المومنين والمومنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما روي ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عايشه ما خنت رسول الله صلعم فعايشه خير مني وصفوان خير منك **فان قلت** هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مومن على اخيه ولا مومنة على اختها قول عايب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المومن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمومن الخير هذا افك مبين هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القايم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات ك قال الامام محمد بن اسحق بن يسار عن ابيه عن بعض رجال بني النجار ان ابا ايوب خالد بن زيد قالت له امراته ام ايوب يا ابا ايوب اما تسمع ما يقول الناس في عايشة قال نعم ذلك الكذب اكنت فاعلة ذلك يا ام ايوب قالت لا والله ما كنت لافعله قال فعايشه والله خير منك ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عايشه لم يكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله اي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امراة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بام المومنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله وحبيبة حبيب الله عز وجل ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشي لوجود غيره والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الاخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث واندفع فيه وهضب وخاض اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وقرئ على الاصل تتلقونه واذ تلقونه بادغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه

من

من القاء بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عايشه وعن سفيان سمعت امي تقرا اذ تثقفونه وكان ابوها يقرا بحرف عبد الله بن مسعود **فان قلت** ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم قلت معناه ان الشي المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم ويدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشي من سياتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقيرة وصفهم بارتكاب ثلثة اثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظايم **فان قلت** كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت للظروف شان وهو تنزلها من الاشيا منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها **فان قلت** فاي فايدة في تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا قلت الفايدة فيه بيان انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم **فان قلت** فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا قلت معناه معنى ينبغي ويصح اي ما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وسبحانك للتعجب من عظم الامر **فان قلت** ما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت الاصل في ذلك ان يسبح الله عند روية العجيب من صنايعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او لتنزيه الله من ان يكون حرمة نبيه صلعم فاجرة **فان قلت** كيف جاز ان امراة النبي كافرة كامراة نوح وامراة لوط ولم يجز ان تكون فاجرة قلت لان الانبيا مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات ك في الصحيحين ان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدري ما تبلغ يهوي بها في النار ابعد مما بين السما والارض وفي رواية لا يلقي لها بالا يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين ويبين الله لكم الايات والله عليم حكيم اي كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه وابدا ما داموا احيا مكلفين وان كنتم مومنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير

في القلب

بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد من كل مؤمن ويبين الله لكم الدلالات
على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرايع ويعلمكم من الاداب الجميلة ويعظكم من المواعظ
الشافيه والله عالم بكل شي فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة ان الذين يحبون ان تشيع
الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة والله يعلم وانتم
لا تعلمون المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة لها وعذاب
الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلعم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان
لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بالذي تولى كبره والله يعلم
ما في القلوب من الاسرار والضماير وانتم لا تعلمون يعني انه قد علم محبة من احب الاشاعة
وهو معاقبه عليها ك عن ثوبان عن رسول الله صلعم قال لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم
ولا تطلبوا عوراتهم فانه من طلب عورة اخيه المسلم طلب الله عورته ومن طلب
الله عورته يفضحه في بيته رواه الامام احمد ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان
الله رءوف رحيم كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفي
هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب والرءوف والرحيم
يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه
يامر بالفحشا والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن
الله يزكي من يشا والله سميع عليم الفحشا والفاحشة ما افرط قبحه قال ابو ذويب

لهن نشيج بالنسيل كانها ضرابر حرمي تفاحش غارها

اي افرطت غيرتها يصف قدورا وصوت غليانها باللحم ونشج نشيجا اذا بكى حتى يسمع له
صوت ونشل اللحم من القدر انتزاعه منها والنشيل اللحم المطبوخ بلا توابل والحرمي منسوب
الى الحرم وهو من تغييرات النسب وتفاحش غارها افرطت غيرتها وانما خصهن بذلك لان اهل
الحرم دابهم الترحل والتجارات فاذا قدموا بالتحف والطرف يتخاصمن عليها ويتغايرن
ف والمنكر ما تنكره النفوس وتنفر عنه ولا ترتضيه وقري خطوات الشيطان بفتح الطا
وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة
لما طهر منكم احد اخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله يطهر التايبين بقبول توبتهم
اذا محصوها وهو سميع لقولهم عليم بضمايرهم واخلاصهم ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة
ان يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا
تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم هو من ايتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل
هو من قولهم ما آلوت جهدا اذا لم يدخر منه شيا ويشهد للاول قراة الحسن ولا يتال والمعنى لا
يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان او لا تقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت

تولهم كلام

بينهم

بينهم وبينهم شحنا لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل
ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في شان مسطح وكان
ابن خالة ابي بكر الصديق رضه وكان فقيرا من فقرا المهاجرين وكان ابو بكر ينفق عليه
فلما فرط منه ما فرط الى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافاة
للمسي وروي ان رسول الله صلعم قراها على ابي بكر فقال ابو بكر بلى والله احب ان يغفر الله
لي ورجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا وقرا ابو حيوة وابن قطيب ان توتوا
بالتا على الالتفات ويعضده قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم ان الذين يرمون المحصنات
الغافلات المومنات لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد
عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يوميذ يوفيهم الله دينهم
الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين الغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب
اللاتي ليس فيهن دها ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما
يفطن له المجربات العرافات قال الشاعر

ولقد لهوت بطفلة ميالة بلها تطلعني على اسرارها

وكذلك البله من الرجال في قوله اكثر اهل الجنة البله ح لهوت لعبت والطفلة بفتح
الطا المراة الناعمة وبكسرها الصغيرة والميالة المتثنية الاعطاف والبلها التي لا مكر
فيها ولا دها م وقوله اكثر اهل الجنة البله قيل من جمع الابله وهو الغافل من الشر
المطبوع على الخير وقيل هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس
لانهم اغفلوا امر دنياهم فجهلوا حذق التصرف فيها واقبلوا على اخرتهم فشغلوا
نفوسهم بها فاستحقوا ان يكونوا اكثر اهل الجنة واما الابله الذي لا عقل له فغير مراد
ف وقري يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزا وبالرفع صفة لله
ولو قلبت القران كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شي تغليظه
في افك عايشة رضوان الله عليها ولا انزل من الايات القوارع المشحونة بالوعيد
الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما
اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم
تنزل الا هذه الثلث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم
بالعذاب العظيم في الاخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا
وانه يوفيهم جزاهم الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق
المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجا بما لم يقع في وعيد المشركين
عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس انه كان

بالبصرة يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات الثلاث فقال
من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة وهذا منه مبالغة وتعظيم
لأمر الإفك ولقد برّأ الله أربعة بأربعة برّأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد وشهد شاهد
من أهلها وبرّأ موسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرّأ مريم عليها السلام
بإنطاق ولدها حتى نادى من حجرها إني عبد الله وبرّأ عائشة رض بهذه الآيات العظام في
كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين
تبرئة أولئك وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله صلعم والتنبيه على إنافة
محل سيد ولد آدم وخيرة الأولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن
أراد أن يتحقق عظم شأنه وتقدم قدمه وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق
ذلك من آيات الإفك وليتأمل كيف غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن
حجابه **فإن قلت** إن كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات قلت فيه
وجهان أحدهما أن يراد بالمحصنات أزواج رسول الله صلعم وأن يخصصن بأن من قذفهن
فهذا الوعيد لاحق به وإذا أردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلعم
كانت المرادة أولا والثاني أنها أم المؤمنين فجمعت إرادة لها ولبناتها من نساء الأمة
الموصوفات بالإحصان والغفلة والإيمان كما قال

قدني من نصر الخبيبين قدي ۞ أراد عبد الله بن الزبير وأشياعه

وكان أعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة أبو بكر إلا أن هذا في
الاسم وذلك في الصفة **فإن قلت** ما معنى قوله هو الحق المبين قلت معناه
ذو الحق المبين أي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف
بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده إساءة مسيء ولا إحسان محسن فحق مثله أن
يتقى وتجتنب محارمه ك عن أبي هريرة أن رسول الله صلعم قال اجتنبوا السبع الموبقات
قيل وما هن يا رسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا
بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات
المؤمنات أخرجاه في الصحيحين وعن أنس بن مالك قال كنا عند النبي صلعم فضحك
حتى بدت نواجذه قال تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مجادلة
العبد ربه يوم القيمة يقول يا رب ألم تجرني من الظلم فيقول بلى فيقول لا أجيز على
شاهدا إلا مني فيقول كفى بنفسك اليوم وبالكرام الكاتبين عليك شهيدا فيختم على
فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بعمله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا
فعنكن كنت أناضل رواه مسلم والنسائي ثم قال النسائي لا أعلم أحدا روى هذا

الحديث عن سفيان الثوري غير الأشجعي وهو حديث غريب **الخبيثات للخبيثين**
والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون
مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم أي الخبيثات من القول تقال أو تعد للخبيثين
من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون
وأولئك إشارة إلى الطيبين وأنهم مبرؤون مما يقوله الخبيثون من خبيثات الكلم وهو
كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب
ويجوز أن يكون أولئك إشارة إلى أهل البيت وأنهم مبرؤون مما يقول أهل الإفك وأن يراد
بالخبيثات والطيبات النساء أي الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك أهل
الطيب وذكر الرزق الكريم ههنا مثله في قوله وأعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة رض
لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين أمر
رسول الله صلعم أن يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي
وإن رأسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وإن الوحي لينزل عليه
في أهله فيتفرقون عنه وإن كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه وإني لابنة خليفته وصديقه
ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا
كريما ك وروى الإمام أحمد في مسنده مرفوعا مثل الذي يسمع الحكمة [الحكمة] الحديث
ثم لا يحدث إلا بشر ما سمع كمثل رجل جاء إلى صاحب غنم فقال أجزرني شاة فقال
اذهب فخذ بأذن أيها شئت فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم وفي الحديث الآخر الكلمة
ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم**
حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا
فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى
لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها
متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون تستأنسوا فيه وجهان أحدهما أنه
من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لأن الذي يطرق باب غيره
لا يدري أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فإذا أذن له استأنس
فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم وهذا من باب
الكناية والإرداف لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن فوضع موضع الإذن
والثاني أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال
من أنس الشيء إذا أبصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال
هل يراد دخولكم أو لا ومنه قولهم استأنس هل ترى أحدا واستأنست فلم أر أحدا

اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة

كأن رحلي وقد زال النهار بنا بذي الجليل على مستأنس وحد ح

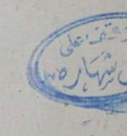
زال النهار انتصف والجليل نبات وذو الجليل موضع والمستأنس الذي ينظر هل يرى شخصا والوحد المنفرد شبه راحلته بحمار وحش مستوحش خائفا مما يراه منفردا

ف ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثمة انسان وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة ويتنحنح يؤذن اهل البيت والتسليم ان يقول السلام عليكم أادخل ثلاث مرات فان اذن له والا رجع وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب عمر فقال السلام عليكم أادخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلعم يقول الاستيذان ثلث واستأذن رجل على رسول الله صلعم فقال أألج فقال عليه السلام لامرأة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستأذن قولي له يقول السلام عليكم أادخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان الرجل من اهل الجاهلية يقول اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن الاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة وقد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك بينا انت في بيتك اذ رعف عليك الباب بواحد من غير استيذان ولا تحية من تحايا الاسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله صلعم ولكن اين الاذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا على اهلها وتستأذنوا وعن ابن عباس وابن جبير انما هو حتى تستأذنوا فاخطأ الكاتب ولا يقول على هذه الرواية وفي قراءة ابي حتى تستأذنوا ذلكم الاستيذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استيذانه فقد دمر وروي ان رجلا قال للنبي صلعم أستأذن على امي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستيذان ثم فان لم تجدوا الاية يحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من الاذنين فاصبروا ولا تدخلوها حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها وذلك لان الاستيذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التي يطويها الناس في العادة

فلا تدخلوها ح

عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع احد عليها ولانه تصرف في ملك الغير فلا بد ان يكون برضاه والا اشبه الغصب والتغلب فارجعوا اي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلحوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروة ومرتاضين بالاداب الحسنة واذا نهى عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي عبيد رحمه الله ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني اسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون **فان قلت** هل يصح ان يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وامرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقد الاذن وحده من اهل الدار حاضرين وغائبين لم تبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن **فان قلت** فاذا عرض في الدار امر من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر يجب انكاره قلت ذلك مستثنى بالدليل اي الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة وانفع وانمى خيرا ثم اوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه استثنى من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشراء والبيع ويروى ان ابا بكر رض قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك اية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة ع ابو سعيد وابي بن كعب وابو موسى قال ابو سعيد كنت في مجلس من مجالس الانصار اذ جاء ابو موسى كأنه مذعور فقال استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت قال ما منعك قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن فرجعت وقال رسول الله صلعم اذا استأذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع فقال والله لتقيمن عليه بينة أمنكم احد سمعه من النبي صلعم قال ابي بن كعب فوالله لا يقوم معك الا اصغر القوم فكنت اصغر القوم فقمت معه فاخبرت عمر ان النبي صلعم قال ذلك قال الحميدي الفاظ الرواة في الحكاية عن عمر وابي موسى في هذا الحديث مختلفة والمعاني متقاربة ولفظ المتن منها واحد كما قدمنا ثم ساق الحميدي الفاظ الروايات في ذلك

الحديث واخرجه الستة الا النسائي ❁ قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلعم في
منازلنا فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد ابي ردا خفيا فقلت الا تأذن لرسول الله
فقال ذره حتى يكثر علينا من السلام فقال رسول الله صلعم السلام عليكم ورحمة الله
فرد سعد ردا خفيا ثم قال رسول الله صلعم السلام عليكم ورحمة الله ثم رجع رسول
الله صلعم فاتبعه سعد فقال يا رسول الله اني كنت اسمع تسليمك وارد عليك ردا خفيا لتكثر
علينا من السلام فانصرف معه رسول الله صلعم فامر له سعد بغسل فاغتسل ثم ناوله
ملحفة مصبوغة بزعفران او ورس فاشتمل بها ثم رفع رسول الله صلعم يديه وهو
يقول اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد قال ثم اصاب رسول الله صلعم من
الطعام فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا قد وطأ عليه بقطيفة فقال سعد
يا قيس اصحب رسول الله فصحبته فقال لي اركب معي فابيت فقال اما ان تركب معي واما
ان تنصرف فانصرفت اخرجه ابو داود ❁ عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلعم
اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن او الايسر ويقول
السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور اخرجه ابو داود ❁ هزيل بن
شرحبيل قال جاء رجل وفي رواية سعد فوقف على باب رسول الله صلعم يستأذن فقام
على الباب وفي رواية مستقبل الباب فقال له النبي صلعم هكذا عنك او هكذا فانما الاستئذان
من النظر اخرجه ابو داود ❁ ابو هريرة ان رسول الله صلعم قال اذا دخل البصر فلا
اذن اخرجه ابو داود ❁ ابو هريرة قال قال رسول الله صلعم اذا دعي احدكم فجاء
مع الرسول فان ذلك اذن له اخرجه ابو داود ❁ عطاء بن يسار ان رجلا سأل النبي صلعم
فقال استأذن على امي فقال نعم فقال الرجل اني معها في البيت فقال رسول الله صلعم استأذن
عليها فقال الرجل اني خادمها فقال رسول الله صلعم استأذن عليها اتحب ان تراها عريانة
قال لا قال فاستأذن عليها اخرجه الموطأ ❁ علي رضي الله عنه كان لي من رسول الله
صلعم ساعة آتيه فيها فاذا اتيته استأذنت ان وجدته يصلي تنحنح فدخلت وان وجدته
فارغا اذن لي وفي رواية انه كان لي من رسول الله صلعم مدخل بالليل ومدخل بالنهار
وكنت اذا دخلت بالليل تنحنح اخرجه النسائي ❁ جابر قال اتيت رسول الله صلعم في امر دين
كان على ابي فدققت الباب فقال من ذا فقلت انا فخرج وهو يقول انا انا كانه يكرهه اخرجه
البخاري ومسلم وابو داود والترمذي ❁ انس ان رجلا اطلع من بعض حجر النبي صلعم فقام
اليه النبي بمشقص او بمشاقص فكاني انظر اليه يختل الرجل ليطعنه اخرجه البخاري ومسلم
وابو داود والترمذي نحوه وفي رواية للنسائي ان اعرابيا اتى باب النبي صلعم فالقم عينه
خصاصة الباب فبصر به النبي صلعم فتوخاه بحديدة او عود ليفقأ عينه فلما بصر انقمع فقال له



النبي

النبي صلعم اما انك لو ثبت لفقأت عينك ❁ سهل بن سعد قال اطلع رجل من جحر في باب النبي
صلعم ومع رسول الله صلعم مدرى يرجل وفي رواية يحك به رأسه فقال له رسول الله صلعم
لو علمت انك تنظر لطعنت به في عينك انما جعل الاذن من اجل النظر اخرجه البخاري ومسلم
والترمذي ❁ ابو هريرة ان رسول الله صلعم قال من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد
حل لهم ان يفقؤوا عينه وفي اخرى انه سمع رسول الله صلعم يقول نحن الآخرون السابقون
وقال لو اطلع في بيتك احد ولم تأذن له فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح
اخرجه البخاري ومسلم وفي رواية ابي داود بغير اذنهم ففقأوا عينه فقد هدرت عينه
وللنسائي بمعناه ❁ ربعي بن حراش قال جاء رجل من بني عامر فاستأذن على رسول الله
صلعم وهو في بيت فقال أألج فقال رسول الله صلعم لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان
فقل له قل السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلعم فقال السلام عليكم أأدخل
فاذن له رسول الله صلعم فدخل وفي رواية قال حدثت ان رجلا جاء وذكر الحديث وفي اخرى
عنه عن رجل من بني عامر انه جاء وذكر الحديث اخرجه ابو داود ❁ جابر قال كنا مع رسول
الله صلعم في سفر فلما ذهبنا لندخل قال امهلوا حتى لا ندخل ليلا لكي تمتشط الشعثة وتستحد
المغيبة هذه رواية ابي داود وفي رواية ذكرها رزين قال كان رسول الله صلعم اذا قفل
من غزاة او سفر فوصل عشية لم يدخل حتى يصبح وان وصل قبل ان يصبح لم يدخل الا وقت الغداة
ويقول امهلوا كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة وفيه روايات اخر ❁



قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير
بما يصنعون من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز
الاخفش ان تكون مزيدة وأباه سيبويه **فان قلت** كيف دخلت في غض
البصر دون حفظ الفرج قلت دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا بأس
بالنظر اليهن شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن واسوقهن واقدامهن وكذلك
الجواري المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين
واما امر الفرج فمضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثني منه وحظر الجماع الا
ما استثني منه ويجوز ان يراد مع حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن
ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفروج فهو عن الزنا الا هذا فانه اراد به الاستتار
ثم اخبر بانه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر
حواسهم وجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة
وسكون ع جرير قال سألت رسول الله صلعم عن نظر الفجاءة فقال اصرف بصرك اخرجه
مسلم والترمذي وابو داود ❁ بريدة قال قال رسول الله صلعم لعلي رضي الله عنه يا علي

لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية اخرجه الترمذي وابو داود من حديث شريك قال الترمذي غريب لا نعرفه الا من حديثه ك وفي الصحيح عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلعم اياكم والجلوس على الطرقات قالوا يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها فقال رسول الله صلعم ان ابيتم فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق يا رسول الله قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي حديث البخاري من يكفل لي ما بين لحييه ورجليه اكفل له الجنة وفي المسند والسنن احفظ عورتك الا من زوجتك او ما ملكت يمينك

وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايه المومنون لعلكم تفلحون

النساء مامورات ايضا بغض الابصار ولا يحل للمراة ان تنظر من الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها راسا ولا تنظر من المراة الا الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب اصلا اولى بها واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة قالت كنت عند رسول الله صلعم وعنده ميمونة فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا فقال افعمياوان انتما الستما تبصرانه

فان قلت لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه. الزينة ما تزينت به المراة من حلي او كحل او خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا باس بابدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه الا لهولاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة في مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها لغير هولاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والراس والصدر والاذن فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل ان النظر اليها غير ملابسة تلك المواقع لا مقال في حله كان النظر الى المواقع انفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم

في الحرمة شاهدا على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها

فان قلت ما تقول في القراميل هل يحل نظر هولاء اليها قلت نعم

فان قلت اليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي تحت السرة قلت الامر كما قلت ولكن امر القراميل خلاف امر سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر للاجانب فضلا عن هولاء الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه

فان قلت ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار الذي تلابسه الزينة منه قلت الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقع الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء

فان قلت لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة قلت لان سترها فيه حرج فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المراة الى صحبتهم في الاسفار والركوب للنزول وغير ذلك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة ما رايت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الاية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن كان على رؤوسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم قيل في نسائهن هن المومنات لانه ليس للمومنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية عن ابن عباس والظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر

وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور فانها الاناث فان المراد
بها الاما وهذا هو الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعن
ميسون ابنة بجدل الكلابية ان معوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال انه
خصي فقالت يا معوية اترى ان المثلة به تحل ما حرم الله وعن ابي حنيفة رضي لا يحل امساك
الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم

فان قلت روي انه اهدي الى رسول الله صلعم خصي فقبله قلت لا
يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف وان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من
الاسباب غير الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة
لهم الى النسا لانهم بله لا يعرفون شيا من امرهن او شيوخ صلحا اذا كانوا معهن
غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثنا او الحال وبالجر على
الوصفية ووضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به
الجمع ونحوه نخرجكم طفلا لم يظهروا اما من ظهر على الشي اذا اطلع عليه اي لا يعرفون
ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها او من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على
القرآن اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطي وقرئ عورات وهي لغة هذيل

فان قلت لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال قلت سئل الشعبي عن ذلك
فقال لان لا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات تشترك الاب
والابن في المحرمية الا العم والخال وابناوهما فاذا راها الاب فربما وصفها لابنه وليس
بمحرم فيدنى تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على
وجوب الاحتياط عليهن في التستر كانت المراة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها
فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات
خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك
ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ وابلغ اوامر الله تعالى ونواهيه في كل باب لا يكاد
العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع
منه فلذلك وصى المومنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتاميل الفلاح اذا تابوا
واستغفروا وعن ابن عباس توبوا عما كنتم تفعلون في الجاهلية لعلكم تسعدون
في الدنيا والاخرة

فان قلت قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام
يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت اراد بها ما يقوله العلما ان من اذنب ذنبا ثم تاب
منه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى
ان يلقى به وقرئ ايه المومنون بضم الها ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف

فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها ذهب كثير من العلما
الى انه لا يجوز للمراة ان تنظر الى الرجال الاجانب بشهوة ولا بغير شهوة لحديث ابن ام
مكتوم واخرجه ابو داود والترمذي وذهب اخرون الى جواز ذلك لما ثبت في الصحيحين
ان رسول الله صلعم كان ينظر الى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد وعايشة
ام المومنين تنظر اليهم من ورايه وهو يسترها منهم حتى ملت ورجعت وعن عايشة قالت
يرحم الله نسا المهاجرات الاول لما انزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن
فاختمرن به رواه البخاري وعنها انها قالت ان لنسا قريش لفضلا واني والله ما رايت افضل
من نسا الانصار اشد تصديقا بكتاب الله ولا ايمانا بالتنزيل لقد انزلت سورة النور وليضربن
بخمرهن على جيوبهن انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما انزل اليهن فيها ويتلو
الرجل على امراته وبنته واخته وعلى ذي قرابته فما منهن امراة الا قامت الى مرطها
المرحل فاعتجرت به تصديقا وايمانا بما انزل الله من كتاب فاصبحن ورا رسول الله صلعم
الصبح معتجرات كان على رؤسهن الغربان رواه ابن ابي حاتم ورواه ابن ابي حاتم
ابو داود من عروة وقال رسول الله صلعم لا تباشر المراة المراة فتنعتها لزوجها
كانه ينظر اليها اخرجاه في الصحيحين وروى سعيد بن منصور في سننه ان عمر بن
الخطاب رض كتب الى ابي عبيدة اما بعد فانه بلغني ان نسا من نسا المسلمين يدخلن
الحمامات مع نسا اهل الشرك فانه من قبلك فانه لا يحل لامراة تومن بالله واليوم
الاخر ان ينظر الى عورتها الا اهل ملتها يعني نساهم وقوله او ما ملكت ايمانهن قال
ابن جريج يعني من نسا المشركين فيجوز لها ان تظهر زينتها لها وان كانت مشركة لانها
امتها وقيل بل يجوز لها ان تظهر على رقيقها من الرجال والنسا واستدلوا بالحديث
الذي رواه ابو داود عن انس ان النبي صلعم اتى فاطمة بعبد قد وهبه لها قال وعلى
فاطمة ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها وان غطت به رجليها لم يبلغ راسها فلما راى
النبي صلعم ما تلقى قال انه ليس عليك باس انه ابوك وغلامك رواه ابو داود وذكر الحافظ
ابن عساكر ان عبد الله بن مسعدة الفزاري كان شديد الادمة وانه قد كان النبي
صلعم وهبه لابنته فاطمة فربته ثم اعتقته ثم كان بعد ذلك كله مع معوية ايام صفين و
كان من اشد الناس على علي رضي الله عنه وعن ام سلمة قالت قال لنا رسول الله صلعم
اذا كان لاحداكن مكاتب وكان له ما يودي فلتحتجب منه رواه احمد وابو داود
وقوله او التابعين قيل هو المونث وفي الصحيح عن عايشة ان مخنثا كان يدخل على
اهل رسول الله صلعم وكانوا يعدونه من غير اولي الاربة فدخل النبي صلعم وهو
ينعت امراة يقول انها اذا اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت ادبرت بثمان فقال رسول الله

الا ادرى هذا يعلم ماههنا لابد خلق عليكم فاخرجه فكان بالبيدا يدخل كل يوم جمعة يستطع
وفيه روايات اخر وفى الصحيحين عن رسول الله صلعم انه قال اياكم والدخول على النسا
قالوا يا رسول الله افرايت الحمو قال الحمو الموت وعن ابي موسى عن النبى صلعم قال
كل عين زانيه والمراه اذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا يعنى زانيه اخرجه
الترمذي قال وفى الباب عن ابي هريره وله عن ميمونه بنت سعيد ان رسول الله صلعم
قال الرافلة فى الزينه فى غير اهلها كمثل ظلمة يوم القيمه لانور لها وعن ابي اسيد
الانصارى انه سمع رسول الله صلعم يقول وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال
مع النسا فى الطريق فقال رسول الله صلعم للنسا استاخرن فانه ليس لكن ان تحققن الطريق
عليكن بحافات الطريق فكانت المراة تلصق بالجدار حتى ان ثوبها ليتعلق بالجدار من
لصوقها به وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامايكم ان يكونوا
فقرا يغنهم الله من فضله والله واسع عليم الايامى واليتامى اصلهما ايايم فقلبا
والايم للرجل والمراة وقد ام وامت وتايما اذا لم يتزوجا بكرين كانا ام ثيبين قال
فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم

وعن رسول الله صلعم اللهم انا نعوذ بك من العيمه والغيمة والايمة والكزم
والقرم ح العيمه بالمهمله شده شهوه اللبن وبالمعجمه شده العطش والكزم الزاى
كثره الاكل وقيل شده البخل والقرم شده شهوه اللحم ف والمراد انكحوا من
تايم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرى
من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب
فى حق الاوليا عند طلب المراة ذلك وعند اصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على
كونه مندوبا اليه قوله عليه السلام من احب فطرتى فليستن بسنتى وهى النكاح وعنه من كان
له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه صلعم اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله
عصم منى ابن ادم ثلثى دينه وعنه صلعم يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فانى
مكاثر والاحاديث فيه عن رسول الله صلعم والاثار كثيره وربما كان واجب الترك اذا
ادى الى معصيه او مفسده وعن النبى صلعم اذا اتى على امتى مايه وثمانون سنه فقد
حلت لهم العزبه والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفى الحديث ياتى على الناس
زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبه

فان قلت لم خص الصالحين قلت ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم
ولان الصالحين من الارقا هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد
فى الاثره والموده فكانوا مظنه للتوصيه بشانهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم

وانما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك او لان يد الصلاح القيام بحقوق
النكاح صح ينبغى ان تكون شريطه الله عز منته فى هذا الموعد ونظائره وهى مشيئته
ولا يشا الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحه ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جات الشريطه منصوصه فى قوله تعالى وان خفتم عيلة
فسوف يغنكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطه لم
ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شى
ففنى واصبح مسكينا وعن النبى صلعم التمسوا الرزق بالنكاح وشكى اليه رجل الفقر
فقال عليك بالباه وعن عمر رض عجب لمن لا يطلب الغنا بالباه ولقد كان عندنا رجل
رازح الحال فرايته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسالته فقال كنت فى
اول امرى على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكر ولدى تراخيت
عن الفقر فلما ولد لى الثانى زدت خيرا فلما تتاموا ثلثة صب على الله الخير صبا
فاصبحت الى ما ترى والله واسع اي غنى ذو سعة لا يرزاه اعنات الخلائق ولكنه
عليم يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ع ابن مسعود قال لنا رسول الله صلعم يا معشر
الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن
لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء اخرجه السته بروايات متقاربه معقل
بن يسار قال جا رجل الى رسول الله صلعم فقال انى اصبت امراة ذات حسب وجمال
وانها لا تلد افاتزوجها قال لا ثم اتاه الثانيه فنهاه ثم اتاه الثالثه فقال تزوجوا
الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم اخرجه ابو داود والنسائى ابن عمرو
بن العاص ان رسول الله صلعم قال الدنيا متاع ومن خير متاعها المراة الصالحة
اخرجه مسلم والنسائي وفى روايه ذكرها رزين قال ان الدنيا متاع ومن خير
متاعها امراة تعين زوجها على الاخرة مسكين مسكين رجل لا امراة له مسكينه
مسكينه امراة لا زوج لها ابو هريرة ان رسول الله صلعم قال تنكح المراة
لاربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك اخرجه
البخارى ومسلم وابو داود والنسائي ك فاما ما يورده كثير من الناس
على انه حديث تزوجوا فقرا يغنكم الله فلا اصل له ولم اره باسناد قوي ولا ضعيف
الى الان وفى القران غنيه عنه وكذا فى نحو الحديث الذى رواه احمد والترمذى
والنسائى وابن ماجه من حديث ابى هريره قال قال رسول الله صلعم ثلثة حق على
الله عونهم الناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الادا والغازي فى سبيل الله
وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغو

الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا واتوهم من مال الله الذي
اتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا
ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ولقد انزلنا اليكم ايات
بينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين وليستعفف وليجتهد في العفة
وظلف النفس كان المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه ولا يجدون نكاحا اي
استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله من فضله
ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله
منهم لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء
وادنى من الصلحاء وما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة
ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به
الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح
الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه والذين يبتغون مرفوع
على الابتداء او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء
لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه
كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت
بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق
ويجوز عند ابي حنيفة حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله عز وجل لم يذكر التنجيم
وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده
بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لانه لا يقدر
على اداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة
وعلى عمل معلوم موقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار
قد اراه آجرها وجصها وما يبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان
كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له ان يطأ المكاتبة واذا اعتق عتق
وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا الامر للندب
عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر
هي عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود خيرا قدرة
على اداء ما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان
يكاتبه فقال اعندك مال قال لا قال افتامرني ان اكل غسالة ايدي الناس واتوهم
امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله

لهم من بيت المال كقوله وفي الرقاب عند ابي حنيفة واصحابه **فان قلت** هل يحل
لمولاه اذا كان غنيا ان ياخذ ما تصدق به عليه قلت نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة
بجميع البدل وعجز عن اداء الباقي طاب للمولى ما اخذه لانه لم ياخذه بسبب الصدقة وانما
اخذه بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له ومنه قوله
عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي هو ايجاب على الموالي ان
يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع وعن
ابن عباس يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر انه كاتب عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد
كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو
اخرته الى اخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا عند ابي حنيفة على وجه الندب
وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى واتوهم واسلفوهم
وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي انه كان
لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سال مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت
كانت اماء اهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابي راس النفاق
ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء
وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلعم فنزلت ويكنى بالفتى
والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي
وامتي والبغاء مصدر البغي **فان قلت** لم اقحم قوله ان اردن
تحصنا قلت لان الاكراه لا يتاتى الا مع ارادة التحصن وامر الطيعة المواتية للبغاء
لا يسمى مكرهة ولا امره اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بان المساعيات
كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز
الشاذ النادر غفور رحيم لهم او لهن او لهم ولهن ان تابوا واصلحوا وفي قراءة ابن عباس
لهن غفور رحيم **فان قلت** لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على
الزنا بخلاف المكره عليه في انها غير اثمة قلت لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة
من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف او غيره حتى يسلم
من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون اثمة ع ابن مسعود قال نهى
رسول الله صلعم عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن اخرجه الجماعة ع رافع
بن خديج ان رسول الله صلعم قال مهر البغي خبيث وثمن الكلب خبيث وكسب الحجام خبيث
وفي اخرى شر الكسب مهر البغي وثمن الكلب وكسب الحجام اخرجه الترمذي وابو داود وفي
معناه احاديث اخر مبينات هي الايات التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني

الاحكام والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر اي بينت
هي الاحكام والحدود وجعل الفعل لها على المجاز او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد
بين الصبح لذي عينين ﴿ومثلا من﴾ امثال من قبلكم اي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف
ومريم يعني قصة عائشة رض وموعظة ما وعظ به من الايات والمثل من نحو قوله ولا
تاخذكم بهما رافة في دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا
لمثله ابدا ﴿الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في
زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا
غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من
يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم﴾ نظير قوله الله نور السموات
والارض مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول
ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات
ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين
امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات
والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات
والارض واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به مثل نوره اي
صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكوة كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير
النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة اراد قنديلا من زجاج شامي ازهر
شبهه في زهرته باحدى الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ
وسهيل ونحوها توقد هذا المصباح من شجرة اي ابتدا ثقوبه من شجرة الزيتون يعني
زويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض التي بارك الله
فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابرهيم وعن النبي صلعم عليكم بهذه
الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور لا شرقية ولا غربية
اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا في مقناة ولكن
الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها قال رسول الله صلعم
لا خير في شجرة في مقناة ولا في نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما
تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا
فهي شرقية غربية ثم وصف الزيت بالصفا والوبيص وانه لتلالؤه يكاد يضيء من غير
نار نور على نور اي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة
والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده بامداد

بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بخلاف
المكان الواسع فان النور ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة
وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده اي يوفق لاصابة
الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة
اليه يمينا ولا شمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة
النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه الله نور السموات والارض اي نشر فيها الحق
وبثه فاضاءت بنوره او نور قلوب اهلها به وعن ابي بن كعب مثل نور من امن به وقرئ
زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب الى الدر اي ابيض متلالئ ودريء
يدرا الظلام بضوئه ودريء كمريق ودريء كالسكينة عن ابي زيد
وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد
بحذف التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب وتمسسه بالياء لان التانيث
غير حقيقي والضمير فاصل ﴿ك﴾ عن رسول الله صلعم انه قال في دعائه يوم اذاه اهل
الطايف اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان
يحل بي غضبك او ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله رواه
ابن اسحق في سيرته وعن ابن عباس كان رسول الله صلعم اذا قام من الليل يتهجد
يقول اللهم ربنا لك الحمد انت قيم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت نور
السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك
الحمد انت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق ومحمد حق و
الساعة حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انيب وبك خاصمت واليك حاكمت
فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت
المؤخر لا اله الا انت ولا اله غيرك اخرجه الستة انتهى وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلعم
القلوب اربعة قلب اجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب اغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس
وقلب مصفح فاما القلب الاجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره واما القلب الاغلف فقلب
الكافر واما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم انكر واما القلب المصفح فهو القلب الذي فيه
ايمان ونفاق ومثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة
يمدها القيح والدم فاي المدتين غلبت على الاخرى غلبت عليه رواه احمد واسناده جيد
﴿في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب
فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق﴾

من يشا بغير حساب في بيوت يتعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد
كانه قيل مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو
يسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف كقوله
في تسع ايات اي سبحوا في بيوت والمراد بالاذن الامر ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها
فسواها واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت ٥ وعن ابن عباس هي المساجد امر الله
ان تبنى او تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما امر الله ان يرفع بالبنا ولكن بالتعظيم
ويذكر فيها اسمه او فوله وهو عام في كل ذكر ٥ وعن ابن عباس وان يتلى فيها كتابه وقرى
يسبح على البنا للمفعول ويسند الى احد الظروف الثلاثة اعنى له فيها بالغدو ورجال مرفوع
بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتا وكسر البا وعن ابي جعفر بالتا وفتح البا ووجهها
ان تسند الى اوقات الغدو والاصال على زيادة البا وتجعل الاوقات مسبحة والمراد ربها
كقولهم صيد عليه يومان والمراد وحشهما والاصال جمع اصيل وهو العشي والمعنى باوقات
الغدو اي الغدوات وقرى والايصال وهو الدخول في الاصيل يقال آصل كاظهر واعتم
التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما ان يريد لا يشغلهم نوع من هذه
الصناعة ثم خص البيع لانه ادخل في الالهاء من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة
وهي طلبته الكلية من صناعته الهته ما لا يلهيه شرا شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني
لان هذا يقين وذاك مظنون واما ان يسمى الشرا تجارة اطلاقا لاسم الجنس على
النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح او شرا وقيل التجارة لاهل
الجلب تجر فلان في كذا اذا جلبه ٥ التا في اقامة عوض عن العين الساقطة للاعلال والاصل
اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه ٥
واخلفوك عد الامر الذي وعدوا ٥ وتتقلب القلوب والابصار اما ان
تتقلب وتتغير في انفسها وهو ان تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله واذ زاغت
الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما ان تتقلب احوالها وتتغير ففقه القلوب بعد
ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر ٥ احسن
ما عملوا اي احسن جزا اعمالهم كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة والمعنى يسبحون
ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك قوله
الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطا الله عز وجل اما
ثواب واما تفضل واما عوض والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب فاما الثواب
فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق ك قال قتادة هي المساجد امر الله ببنائها ورفعها
وامر بعمارتها وتطهيرها وقد وردت احاديث كثيرة في بنا المساجد واحترامها

وتنويرها وتطييبها وعن عثمن رض سمعت رسول الله صلعم يقول من بنى مسجدا يبتغي به
وجه الله بنى الله له مثله في الجنة اخرجاه في الصحيحين وروى ابن ماجه عن عمر بن
الخطاب قال قال صلعم من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا في الجنة ٥ وللنسائي
عن عمرو بن عبسة مثله والاحاديث في هذا كثيرة جدا وعن عائشة امر رسول الله
صلعم ببنا المساجد في الدور وان تنظف وتطيب رواه احمد واهل السنن الا النسائي
ولاحمد وابي داود عن سمرة بن جندب نحوه وقال البخاري قال عمر ابن للناس
ما يكنهم واياك ان تحمر او تصفر فتفتن الناس ٥ وروى ابن ماجه عنه قال قال رسول
الله صلعم ما ساء عمل قوم قط الا زخرفوا مساجدهم وفي اسناده ضعف وروى
ابو داود عن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم ما امرت بتشييد المساجد قال
ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى وعن انس قال قال رسول الله
صلعم لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد رواه احمد واهل السنن الا الترمذي
وعن بريدة ان رجلا نشد في المسجد فقال من دعا الى الجمل الاحمر فقال النبي صلعم
لا وجدت انما بنيت المساجد لما بنيت له رواه مسلم ٥ وعن عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده قال نهى رسول الله صلعم عن البيع والابتياع وعن تناشد الاشعار
في المساجد رواه احمد واهل السنن وقال الترمذي حسن ٥ وعن ابي هريرة ان
رسول الله صلعم قال اذا رايتم من ينشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك
رواه الترمذي وقال حسن غريب ٥ وقد روى ابن ماجه وغيره من حديث ابن عمر
مرفوعا قال خصال لا تنبغي في المسجد لا يتخذ طريقا ولا يشهر فيه سلاح ولا ينبض
فيه بقوس ولا ينثر فيه نبل ولا يمر فيه بلحم نيء ولا يضرب فيه حد ولا يقتص فيه احد
ولا يتخذ سوقا ٥ وعن واثلة بن الاسقع عن رسول الله صلعم قال جنبوا مساجدكم
صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع اصواتكم واقامة حدودكم
وسل سيوفكم واتخذوا على ابوابها المطاهر وجمروها في الجمع رواه ابن ماجه
وفي اسناده ضعف ٥ وفي الصحيحين عن رسول الله صلعم انه قال صلوة الرجل في
الجماعة تضعف على صلوته في بيته وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفا وذلك انه اذا
توضأ فاحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلوة لم يخط خطوة الا
رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام
في مصلاه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ولا يزال في صلوة ما انتظر الصلوة وعند
الدارقطني مرفوعا لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد ٥ وفي السنن بشر المشائين

الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة و المستحب لمن يدخل المسجد ان يقدم رجله
اليمنى وان يقول كما ثبت في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلعم
انه كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم و بوجهه الكريم و سلطانه القديم من
الشيطان الرجيم فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم وروى مسلم
بسنده عن ابي حميد وابي اسيد قالا قال رسول الله صلعم اذا دخل احدكم المسجد فليقل
اللهم افتح لي ابواب رحمتك و اذا خرج فليقل اللهم اني اسالك من فضلك ورواه النسائي
عنهما مثله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم اذا دخل احدكم المسجد فليسلم على
النبي صلعم وليقل اللهم افتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فليسلم على النبي صلعم وليقل اللهم
اعصمني من الشيطان الرجيم رواه ابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما
وعن فاطمه بنت الحسين عن جدتها فاطمه بنت رسول الله صلعم قالت كان رسول الله
صلعم اذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
رحمتك واذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
فضلك رواه احمد وابن ماجه والترمذي وقال هذا حديث حسن واسناده ليس
بمتصل لان فاطمه الصغرى لم تدرك فاطمه الكبرى فهذا الذي ذكرناه مع ما تركناه
من الاحاديث الواردة في ذلك لاجل الطول داخل كله في قوله تعالى اذن الله ان
ترفع ويذكر فيها اسمه فاما النسا فصلوتهن في بيوتهن افضل لما رواه ابو داود
عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلعم قال صلوة المراة في بيتها افضل من صلوتها
في حجرتها وصلوتها في مخدعها افضل من صلوتها في بيتها وعن ام سلمه عن رسول الله
صلعم انه قال خير مساجد النسا قعر بيوتهن رواه احمد وروي ايضا عن ام حميد
انها جاءت الى النبي صلعم فقالت يا رسول الله اني احب الصلوة معك قال قد علمت انك
تحبين الصلوة معي وصلوتك في بيتك خير من صلوتك في حجرتك وصلوتك في حجرتك
خير من صلوتك في دارك وصلوتك في دارك خير من صلوتك في مسجد قومك وصلوتك
في مسجد قومك خير من صلوتك في مسجدي قال فامرت فبني لها مسجد في اقصى موضع
في بيتها واظلمه فكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل ويجوز لها شهود جماعة الرجال
بشرط ان لا يؤذي احدا من الرجال بظهور زينة ولا ريح طيب كما ثبت في الصحيحين عن عبد الله
بن عمر انه قال قال رسول الله صلعم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله رواه البخاري ومسلم
ولاحمد وابي داود وبيوتهن خير لهن وفي رواية وليخرجن وهن تفلات وفي صحيح مسلم
عن زينب امراة ابن مسعود قالت قال لنا رسول الله صلعم اذا شهدت احداكن المسجد فلا
تمس طيبا وفي الصحيحين عن عايشة قالت كان نسا المومنات يشهدن الفجر مع رسول الله

صلعم ثم يرجعن متلفعات بمروطهن ما يعرفن من التغليس وفي الصحيحين ايضا عنها
انها قالت لو ادرك رسول الله صلعم ما احدث النسا لمنعهن المساجد كما منعت نسا
بني اسرايل وعن اسما بنت يزيد قالت اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة جا
مناد فنادى بصوت تسمع الخلايق سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ليقم الذين لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم يحاسب ساير الخلايق رواه
ابن ابي حاتم والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ما حتى اذا
جاءه لم يجده شيا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات
في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض
اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اعمالهم كسراب
السراب ما يرى بالفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه
ما يجري والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في
جار وقرى بقيعات بتا ممطوطة كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم
بقيعاه بتا مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق
من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة امله
ويلقى خلاف ما قدره بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه
ما فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه
الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن
امية قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام
اللجي العميق الكثير الما منسوب الى اللج وهو معظم ما البحر وفي اخرج ضمير الواقع فيه
لم يكد يراها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها ومنه قول
ذي الرمة   اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
اي لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور ضررها
بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجده شيا كغيره من
السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا تقتل ظماه بالما وشبهها ثانيا في ظلمتها
وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج
والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له
وهذا الكلام مجرى مجرى الكنايات لان الالطاف انما ترد في الايمان والعمل او كونهما
مترقبين الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله

العالمين وقرئ سحابُ ظلماتٍ على الاضافة وسحابٌ ظلماتٌ برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات
بدلا من ظلمات الاولى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير
صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات و
الارض والى الله المصير صافات يصففن اجنحتهن في الهوى والضمير في علم لكل او
لله وكذلك في صلوته وتسبيحه والصلوة الدعا ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاه وتسبيحه كما
الهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلا يهتدون اليها الم تر ان الله يزجي
سحابا ثم يولف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من
السما من جبال فيها من برد فيصيب به من يشا ويصرفه عمن يشا يكاد سنا برقه يذهب
بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار يزجي يسوق
ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا
كالرباب ومعنى تاليف الواحد انه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد
لان المعنى بين اجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل * والركام المتراكم بعضه
فوق بعض والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ
من خلله وينزل بالتشديد ويكاد سنا على الادغام وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق
كالغرفة من الغرف واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات
وسنا برقه على المد المقصور بمعنى الضو والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك
سني للمرتفع ويذهب بالابصار على زيادة البا كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
عن ابي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور امره حيث ذكر
تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير بين السما والارض ودعاهم له وابتهالهم
اليه وانه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر
منه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق
في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار
ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته
ودلايل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتدبر وتبصر فان قلت متى
راى رسول الله صلعم تسبيح من في السموات ودعاهم وتسبيح الطير ودعاه وتنزيل
المطر من جبال برد في السما حتى قيل له الم تر قلت علمه من جهة اخبار الله اياه بذلك
على طريق الوحي فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله
من السما من جبال فيها من برد قلت الاولى لابتدا الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان
او الاوليان للابتدا والاخرى للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السما من جبال فيها

وعلى

وعلى الاول مفعول ينزل من جبال فان قلت ما معنى من جبال فيها من برد
قلت فيه معنيان احدهما ان يخلق الله في السما جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر والثاني
ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب والله خلق كل دابة من
ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع
يخلق الله ما يشا ان الله على كل شيء قدير لقد انزلنا ايات مبينات والله يهدي من
يشا الى صراط مستقيم وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير
المميز غلب المميز واعطى ما وراه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم
وقيل من يمشي في الماشي على بطنه والماشي على اربع قوايم فان قلت لم نكر
الماء في قوله من ماء قلت لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة
او خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام
ومنها بهايم ومنها ناس ونحوه قوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
فان قلت فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت قصد ثمة معنى
اخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الما وذلك انه
هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسايط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الما والجن
من نار خلقها منه وادم من تراب خلقه منه فان قلت لم جاءت الاجناس
الثلاثة على هذا الترتيب قلت قدم ما هو اعرق في القدرة وهو الماشي بغير اله مشي
من ارجل وقوايم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع فان قلت لم سمي
الزحف على البطن مشيا قلت على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى
هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر
مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين ويقولون امنا
بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين
واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن
لهم الحق ياتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف
الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين
امنا واطعنا او الى الفريق المتولي منهم فمعناه على الاول اعلام من الله بان جميعهم
منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي منهم وحده وعلى الثاني اعلام بان الفريق المتولي
منهم لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعا باللسان من غير مواطاة القلب لانه
لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمانينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في
قوله بالمؤمنين دال على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون

على الايمان الموصوفون في قوله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم
يرتابوا معنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد
ومنه قوله ❀ غلسته قبل القطا وفرطه ❀ اراد قبل فرط القطا
روى انها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما الى رسول الله صلعم في ارض
فجعل اليهودي يجره الى رسول الله والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان
محمدا يحيف علينا وروى ان المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
خصومة في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست اتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا
اخاف ان يحيف علي ❀ اليه صلة يأتوا لان اتى وجاء قد جاء معديين بالى او صلة لمذعنين
لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص
والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة
اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت
لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكمك لتأخذ لهم ما ذاب في ذمة
الخصم ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بان يكونوا مرضى
القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه ثم ابطل خوفهم
حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما
هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه
في مجلس رسول الله صلعم فمن ثمة يأبون المحاكمة اليه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا
الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ومن
يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون وعن الحسن قول المؤمنين
بالرفع والنصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا
اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما
كان لله ان يتخذ من ولد وما يكون لنا ان نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول ❀

فان قلت الام اسند ليحكم ولا بد له من فاعل قلت هو مسند الى مصدره
لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما والف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ
بينكم منصوبا اي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا وقرئ ويتقه بكسر
القاف والهاء بالوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه
بكتف فخفف كقوله ❀ قالت سليمى اشتر لنا سويقا ❀ ولقد جمع الله سبحانه في
هذه الاية اسباب الفوز وعن ابن عباس رض في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه
ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض الملوك

انه سأل عن اية كافية فتليت عليه هذه الاية ❀ قال قتادة ذكر لنا ان ابا الدرداء
قال لا اسلام الا بطاعة ولا خير الا في جماعة والنصيحة لله ولرسوله وللخليفة و
للمؤمنين عامة ❀ قال وذكر لنا ان عمر بن الخطاب رض كان يقول عروة الاسلام
شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة والطاعة لمن ولاه الله امر
المسلمين رواه ابن ابي حاتم والاحاديث والاثار في الطاعة لمن ولاه الله امر
المسلمين لكتاب الله وسنة رسوله وللخلفاء الراشدين وللائمة اذا امروا بطاعة كثيرة
جدا اكثر من ان تحصى في هذا المكان ❀ واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم
ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل اطيعوا الله
والرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا
وما على الرسول الا البلاغ المبين جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ
اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس
رض من قال بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا
فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب
وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قيل جاهدين ايمانهم وطاعة معروفة خبر مبتدأ
محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي امركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة
لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن امرهم ظاهره
لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها
بالقول دون الفعل او طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة
وقرأ اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى اطيعوا الطاعة ان الله خبير يعلم
ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم
صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم يريد فان
تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله وكلفه
من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج من عهدة تكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم من
التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله
وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلال الى الهدى
فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا ان يبلغ
ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية
ومعنى المبين كونه مقرونا بالايات والمعجزات وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم

دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي
شيا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون الخطاب لرسول الله صلعم ولمن معه ومنكم
للبيان كالتي في اخر سورة الفتح وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم
الارض ويجعلهم فيها خلفا كما فعل ببني اسرايل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة
وان يمكن لهم الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يومن سربهم
ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلعم واصحابه مكثوا بمكة
عشر سنين خايفين ولما هاجروا كانوا في المدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه
حتى قال رجل ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال عليه لا تغبرون الا يسيرا
حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم
على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا
خزاينهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الانعم و
فسقوا وذلك قوله عليه الخلافة بعدي ثلثون سنة ثم يملك الله من يشا فتصير ملكا ثم تصير
بزيزى قطع سبيل وسفك دما واخذ اموال بغير حقها وقري كما استخلف على البنا للمفعول
وليبدلنهم بالتشديد **فان قلت** اين القسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم
قلت محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم
فتلقى بما يتلقى به كانه قيل اقسم الله ليستخلفنهم **فان قلت** ما محل يعبدونني قلت
ان جعلته استينافا لم يكن له محل كان قايلا قال ما لهم يستخلفون ويومنون فقال
يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم
فمحله النصب ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون
اي هم الكاملون في الفسق حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها
فان قلت هل في هذه الاية دليل على امر الخلفا الراشدين قلت اوضح دليل
وابينه لان المستخلفين الذين امنوا وعملوا الصالحات هم هم ك قال وهب بن منبه
اوحى الله الى نبي من انبيا بني اسرايل يقال له شعيا ان قم في بني اسرايل فاني ساطلق لسانك
بوحي فقام فقال يا سما اسمعي ويا ارض انصتي فان الله يريد يقضي شانا ويدبر امرا هو
منفذه انه يريد ان يحول الريف الى الفلاة والاجام في الغيطان والانهار في الصحاري
والنعمة في الفقرا والملك في الرعاة ويريد ان يبعث نبيا من الاميين ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب في الاسواق لو يمر على سراج لم يطفه من سكينته ولو يمشي على القصب
اليابس لم يسمع من تحت قدميه ابعثه مبشرا ونذيرا لا يقول الخنا افتح به اعينا عميا و
اذانا صما وقلوبا غلفا واسدده لكل امر جميل واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة

لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته
والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والهدى امامه والاسلام
ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد
واعرف به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة
واولف به بين امم متفرقة وقلوب مختلفة واهوا متشتتة واستنقذ به فياما من الناس
عظيما من الهلكة واجعل امته خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن
المنكر مومنين مخلصين مصدقين بما جاءت به رسلي رواه ابن ابي حاتم وفي الصحيح عن رسول
الله صلعم انه قال ان الله زوى لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك امتي ما زوي لي منها وقد تقدم حديث عدي بن حاتم وعن ابي بن كعب قال قال رسول
الله صلعم بشر هذه الامة بالسنا والرفعة والدين والنصر والتمكين فمن عمل منهم
عمل الاخرة للدنيا لم يكن له في الاخرة نصيب رواه احمد وعن معاذ بن جبل قال بينما
انا رديف رسول الله صلعم ليس بيني وبينه الا اخرة الرحل قال يا معاذ قلت لبيك يا رسول
الله وسعديك قال ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبيك يا رسول الله وسعديك
قال ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال هل تدري
ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله اعلم قال حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا
به شيا قال ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال
فهل تدري ما حق العباد على الله ان لا يعذبهم رواه احمد واخرجاه في الصحيحين وفي الصحيحين
من غير وجه عن رسول الله صلعم انه قال لا تزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم
من خذلهم ولا من خالفهم الى يوم القيمة وفي رواية حتى ياتي امر الله وهم كذلك وفي رواية
حتى يقاتلون الدجال وفي رواية حتى ينزل عيسى بن مريم وهم ظاهرون وكل هذه الروايات
صحيحة لا تعارض بينها واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم
ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وماويهم النار ولبيس المصير
واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين
المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه
وكررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها وقري لا يحسبن باليا وفيه اوجه ان يكون
معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض
حتى يطمعوا هم في ذلك وهذا معنى قوي وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في
قوله واطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير
الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت لشي

واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله وماواهم النار على لا تحسبن الذين
كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون وماواهم النار والمراد بهم المقسمون
بالله جهد ايمانهم يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا
الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن
بعد صلوة العشا ثلث عورات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون
عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم امر بان يستاذن العبيد
وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يبلغوا الحلم من الاحرار ثلث مرات في اليوم والليلة
قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب
اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقايلة وبعد صلوة العشا لانه وقت
التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحد من هذه الاحوال عورة
لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنه اعور الفارس واعور المكان
والاعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستيذان في وراء هذه المرات وبين وجه
العذر في قوله طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون
عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لادى
الى الحرج وروي ان مدلج بن عمرو كان غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلعم الى عمر رض
وقت الظهيرة ليدعوه فدخل عليه وهو نايم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت
ان الله تعالى نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم
انطلق معه الى النبي صلعم فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية وهي احدى الايات المنزلة
بسبب عمر وقيل نزلت في اسماء بنت ابي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمراة ولعلهما
يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام كبير في وقت كرهت دخوله فاتت النبي
صلعم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو الحلم
بالسكون وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا من ثلث مرات اي اوقات ثلث عورات
وعن الاعمش عورات على لغة هذيل **فان قلت** ما محل ليس عليكم قلت اذا رفعت
ثلث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى ثلث عورات مخصوصة بالاستيذان
واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة
فان قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتدا وخبره على بعض على معنى طايف على بعض
وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة واذا بلغ
الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم اياته
والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان

يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم الاطفال
منكم اي من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم
الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
حتى تستانسوا الاية والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات
الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا من حد الطفولية بان يحتلموا ويبلغوا السن
التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا
في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما
الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس اية لا يؤمن بها اكثر
الناس اية الاذن واني لامر جاريتي ان تستاذن علي وساله عطا استاذن على اختي
قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الاية وعنه ثلث ايات جحدهن الناس الاذن
كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة
وعن ابن مسعود عليكم ان تستاذنوا على ابائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي
ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن
جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها
فان قلت ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ قلت قال ابو حنيفة ثماني عشرة سنة
في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلما على خمس عشرة فيهما وعن
علي رضي الله عنه انه كان يعتبر بالقامة ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق
في قوله ما زال مذ عقدت يداه ازاره وسما فادرك خمسة الاشبار
واعتبر غيره الانبات وعن عثمن رض انه سال عن غلام فقال هل اخضر ازاره
القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه و
المراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات
بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي ارادها في قوله ولا يبدين زينتهن
الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف
من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار افضل الاعمال
واحسنها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم **فان قلت**
ما حقيقة التبرج قلت تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء
عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه
اختص بان تتكشف المراة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى
ظهر من اخوات تبرج وتبلج ليس على الاعمى حرج ولا على المريض الاعرج حرج

اي زوجتي

ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت اباىكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون كان المومنون يذهبون بالضعفا وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم واصدقايهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعِمين والمطعَمين ريبة في ذلك وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وخافوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفا ولا على انفسكم يعني عليكم ولا على من في مثل حالكم من المومنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت الانصار في انفسها قزازة فكانت لا تاكل من هذه البيوت اذا استغنوا وقيل كان هولا يتوقون مجالسة الناس ومواكلتهم لما عسى يودي الى الكراهة من قبلهم لان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين الكيل اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه وياخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رايحة تؤذي او جرح يبض او انف يذن او نحو ذلك وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفا في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم ان ياكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون حكي عن الحرث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع راه مجهودا فقال له ما اصابك فقال لم يكن عندي شي ولم يحل لي ان اكل من مالك فقيل ليس على الضعفا حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك اذا فسر بان هولا ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم ان تاكلوا من البيوت المذكورة لالتقا الطايفتين في ان كل واحد منهما منفي عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر فان قلت هلا ذكر الاولاد قلت دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه ٤ ابن عمرو بن العاص ان رسول الله صلعم اتاه رجل فقال يا رسول الله ان لي مالا وولدا وان ابي يحتاج مالي فقال انت ومالك لوالدك ان اولادكم من اطيب كسبكم فكلوا من كسب اولادكم اخرجه ابو داود وعن عايشة ان رسول الله صلعم قال اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذي والنساي ولرواية ابي داود ان من اطيب ما اكل الرجل من كسبه وولده من كسبه

ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم وان الولد اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى فان قلت ما معنى او ما ملكتم مفاتحه قلت اموال الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له ان ياكل منها من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه وقرى مفاتحه فان قلت ما معنى او صديقكم قلت معناه او بيوت اصدقايكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو يحكى عن الحسن انه دخل داره واذا حلقة من اصدقايه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبرا الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غايب فيسال جاريته كيسه فياخذ ما شا فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك ومن عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالابا والامهات وانما قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه جميعا او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة وقيل في قوم من الانصار كانوا اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فابدوا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم والتحية طلب سلامة وحيوة للمسلم عليه والمحيا من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة من المومن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس قال خدمت رسول الله صلعم عشر سنين وروي تسع سنين فما قال لي لشي فعلته لم فعلته ولا قال لي لشي كسرته لم كسرته وكنت واقفا على راسه اصب الما على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام

علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله
وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من
عند الله وانتصب تحية بسلموا لانها في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا ك عن وحشي
بن حرب ان رجلا قال للنبي صلعم انا ناكل ولا نشبع قال فلعلكم تاكلوا متفرقين اجتمعوا
على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه رواه احمد وابو داود وابن ماجه وروى
ابن ماجه من حديث عمر رض عن رسول الله صلعم انه قال كلوا جميعا ولا تفرقوا فان البركة
مع الجماعة ٭ وروى البزار من حديث انس قال اوصاني النبي صلعم بخمس خصال قال
يا انس اسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من لقيك من امتي تكثر حسناتك واذا دخلت
يعني بيتك فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الاوابين
قبلك يا انس ارحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيمة انما المومنون الذين
امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه
ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض
شانهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم اراد عز وجل
ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلعم بغير اذنه اذا كانوا
معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله
وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المومنين
مبتدا مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا و
تشديدا حيث اعاده على اسلوب اخر وهو قوله ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون
بالله ورسوله وضمنه شيا اخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين
وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه لم يذهبوا
حتى يستاذنوه وياذن لهم الا ترى انه كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم بمشيته واذنه
لمن استصوب ان ياذن له ٭ والامر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على
سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو وتشاور في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف
او تماسح في حلف او غير ذلك او الامر الذي يعم بضرره او بنفعه وقرئ امر جميع وفي
قوله اذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله فيه من ذوي راي
وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضئ بارائهم ومعارفهم وتجاربهم في
كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رايه فمن ثم
غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستيذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه
واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شانهم وذكر الاستغفار للمستاذنين

دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه ك عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم اذا انتهى احدكم الى المجلس فليسلم فاذا اراد ان يقوم
فليسلم فليست الاولى باحق من الاخرة رواه احمد وابو داود والترمذي والنسائي ٭
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم
لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم
قيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغي ان يكون
الناس مع ائمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة
من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن مفوض الى الامام ان شاء اذن وان
شاء لم ياذن على حسب ما اقتضاه رايه ٭ اذا احتاج رسول الله صلعم الى اجتماعكم عنده
لامر فلا تتفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم
عن المجمع بغير اذن الداعي او لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا
ويناديه باسمه الذي سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع
التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ٭ ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل
ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يساله حاجته فربما اجابه وربما رده فان دعوات
رسول الله صلعم مسموعة مستجابة ٭ يتسللون ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج و
تدخل واللواذ الملاوذة وهي ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني يتسللون عن الجماعة
في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال اي ملاوذين وقيل كان
بعضهم يلوذ بالرجل اذا استاذن فياذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا
بالفتح يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى الذين يخالفون عن
امره الذين يصدون عن امره دون المومنين وهم المنافقون فحذف المفعول لان
الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه والضمير في امره لله سبحانه او للرسول عم والمعنى عن
طاعته ودينه ٭ فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة وعن ابن عباس
فتنة قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر ع
عن عائشة قالت قال رسول الله صلعم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي
رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد اخرجه البخاري ومسلم وابو داود ٭
ابو هريرة انه سمع رسول الله صلعم يقول انما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا
فلما اضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار تقع فيها فجعل
ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فانا اخذ بحجزكم عن النار وانتم تقتحمون فيها هذه رواية

البخاري ومسلم نحوها وقال في آخرها فذلك مثلي ومثلكم انا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن
النار هلم عن النار فتغلبوني وتقحمون فيها واخرجه الترمذي بنحوه الا ان لله ما في السموات
والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل
شيء عليم ادخل قد لتوكيد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد
العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوجهها الى
معنى التكثير في نحو قوله

فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود ونحوه قوله
اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله

والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه
احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها وسينبئهم يوم
القيمة بما ابطنوا من سوء اعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله
قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز
ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله اعلم

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات
والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا
البركة كثرة الخير وزيادته ومنه تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر او تزايد على
كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما
وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا
مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس
على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال

ومشركي كافر بالفرق وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله صلعم
وامته كما قال لقد انزلنا اليكم وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا والضمير في ليكون لعبده او
للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والانس نذيرا
منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله فكيف كان عذابي ونذر
الذي له رفع على الابدال من الذي نزل او رفع على المدح او نصب عليه **فان**
قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما
بشيء لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به

فان قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا كانه
قال وقدر كل شيء فقدره قلت معناه انه احدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر
المسوى الذي نراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل
حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر
ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه او سمي احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيئا لحكمته
الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث واوجد من
غير نظر الى وجه الاشتقاق فكانه قيل واوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا
وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى امد معلوم واتخذوا من دونه
آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون
موتا ولا حيوة ولا نشورا الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله تعالى انما تعبدون من
دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى انهم آثروا على عبادة الله تعالى عبادة آلهة
لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على شيء من افعال الله ولا من افعال العباد حتى لا يفعلوا
شيئا وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون اي لا يستطيعون
لانفسهم دفع ضرر عنها او جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا من الافتعال
ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحيوة والنشور
التي لا يقدر عليها الا الله اعجز وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه
عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي
تملى عليه بكرة واصيلا قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه
كان غفورا رحيما قوم آخرون هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى
ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وابو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحرث بن عبد الدار
جاؤا واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى وردوا ظلما
كما تقول جئت المكان ويجوز ان يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم ان جعلوا العربي
يتلقف من الرومي العجمي كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان
بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من نحو
احاديث رستم واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه
واخذها كما تقول استكب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه وقرئ اكتتبها
على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه عليه السلام كان اميا لا يكتب بيده وذلك
من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله
واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان

٤٢ ذ

كان بادئاً منصوباً وبقي ضمير الأساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى **فإن قلت** كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وإنما يقال أمليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه وجهان أحدهما أراد اكتتابها أو طلبه فهي تملى عليه أو كتبت له وهو أمي فهي تملى عليه أي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب وعن الحسن أنه قول الله سبحانه يكذبهم وإنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي هو في معنى الإنكار ووجهه أن يكون نحو قوله

أفرح أن أرزأ الكرام وأن أورث ذوداً شصائصاً نبلا

وحق الحسن أن يقف على الأولين بكرة وأصيلا بدائماً أو في الحقيقة قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون إلى مساكنهم أي يعلم كل سر خفي في السموات والأرض ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه **فإن قلت** كيف طابق قوله إنه كان غفوراً رحيماً هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صباً ولكن صرف ذلك عنهم أنه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون أي إن صح أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكاً إلى اقتراح أن يكون إنساناً معه ملك حتى يتساندا في الإنذار والتخويف ثم نزلوا أيضاً فقالوا وإن لم يكن مرفوداً بملك فليكن مرفوداً بكنز يلقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلاً له بستان يأكل منه ويرتزق كما الدهاقين والمياسير أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم وأراد بالظالمين إياهم بأعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع أو يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون **فإن قلت** ما وجه الرفع والنصب في فيكون قلت النصب لأنه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على أنه معطوف على

أنزل ومحله الرفع ألا تراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لأنهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون إلا مرفوعاً والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم مسحوراً سحر فغلب على عقله أو ذا سحر وهو الرئة عنوا أنه بشر لا ملك ضربوا لك الأمثال أي قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة من نبوة مشتركة بين إنسان وملك وإلقاء كنز عليك من السماء أو غير ذلك فبقوا متحيرين ضلالاً لا يجدون قولاً يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقاً إليه تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً تكاثر خير الذي إن شاء وهب لك خيراً مما قالوا وهو أن يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقرئ ويجعل بالرفع عطفاً على جعل لأن الشرط إذا وقع ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله

مسغبة

وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم

ويجوز في يجعلك إذا أدغمت أن يكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعاً وقرئ بالنصب على أنه جواب الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز أن يتصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن أنه اسم من أسماء جهنم رأتهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومن قوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما كأن بعضها يرى بعضاً على سبيل المجاز والمعنى إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز أن يراد إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضباً على الكفار وشهوة للانتقام منهم الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والأرض وجاء في الحديث أن لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على أهل النار أنواع التضييق والإرهاق حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصاً كما روي عن ابن عباس في تفسيره أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع وقيل يقرن

مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد والثبور الهلاك ودعاؤه ان يقال
واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك لا تدعوا اي يقال لهم ذلك او هم احقاء
بان يقال لهم وان لم يكن ثمه قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم
فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل لون منها ثبور لشدته
وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم قل اذلك
خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاءون خالدين
كان على ربك وعدا مسئولا الراجع الى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون
وما يشاءونه وانما قيل كانت لان ما وعده الله وحده فهو في تحققه كانه قد كان او
كان مكتوبا في اللوح قبل ان براهم بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم
فان قلت ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا قلت هو كقوله نعم الثواب وحسنت
مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه
لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة والا تنغص
وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء و
الكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء والضمير في كان لما يشاءون والوعد الموعود
اي كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسال ويطلب لانه جزاء واجر
مستحق وقيل قد سالته الناس والملائكة في دعواتهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك
ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم
ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء
ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء
ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون
فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا يحشرهم
فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين وما يعبدون يريد المعبودين
من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله ويجوز ان يكون عاما لهم
جميعا فان قلت كيف صح استعمال ما في العقلاء قلت هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم
بدليل قولك اذا رايت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو
ومنه قولهم من لما يعقل او اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم الا تراك تقول اذا
اردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام قصير افقيه ام طبيب فان قلت
ما فائدة انتم وهم وهلا قيل اضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل قلت ليس السؤال عن
الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من

ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسئول عنه فان قلت فالله سبحانه
قد سبق علمه بالمسئول عنه فما فائدة هذا السؤال قلت فائدته ان يجيبوا بما اجابوا به
حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا وينخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما
يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة
اولئك وليكون حكاية ذلك في القران لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم ان الله
يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أانتم اضللتموهم ام هم ضلوا
السبيل بانفسهم فيتبرؤون من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين ويقولون بل
انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وابائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها
ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملائكة
والرسل انفسهم من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه
فهم لربهم الغني العدل اشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل
بالنعمة والتمتيع بها واسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا
الاضلال المجازي الذي اسنده الله تعالى الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان
هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد ان يقولوا بل انت اضللتهم والمعنى انتم اوقعتم
هؤلاء في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع اضله وكان القياس
ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل
الى الطريق وللطريق وقولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضائعا لما كان اكثر ذلك
بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل اضله سواء كان منه فعل ام لم يكن سبحانك
تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال
الذي هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون
الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده او قصدوا به تنزيهه عن الانداد
وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون
ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك او ما كان ينبغي
لنا ان نكون امثال الشياطين في تولينا الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا
اولياء الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت وقرا ابو جعفر
المدني نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل اعني اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقوله
اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى ام اتخذوا الهة من الارض
وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو من اولياء
والاصل ان نتخذ اولياء فزيد من لتاكيد معنى النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين

فالاول ما بني له الفعل والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء
من حيث انهم اولياء مخصوصين وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به او القرآن
والشرايع والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ
وعوذ وهذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رايعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات
وحذف القول ونحوها قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة
من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القايل

قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا

وقرئ تقولون بالياء والتاء فمعنى من قرا بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم الهة ومعنى من
قرا بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء

فان قلت هل يختلف حكم البا مع التاء والياء قلت اي والله هي مع التاء كقوله بل
كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع
الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ تستطيعون بالياء والتاء ايضا يعني فما تستطيعون انتم
يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي
يحتال او فما يستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ان يحتالوا لكم الخطاب على
العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك
لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقرئ يذقه بالياء
وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون
وكان ربك بصيرا الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من
المرسلين الا اكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه
قوله عز من قايل وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد ويمشون على البناء
للمفعول اي تمشيهم حوايجهم او الناس ولو قرئ يمشون لكان اوجه لولا
الرواية ح قال ابن جني ولو كانت يمشون بضم الشين لكانت اوفق لقوله تعالى يأكلون
الطعام لان معناه يكثرون المشي لانه ضيد يوا فقه في اسناد الفعل اليهم وان
اتى به للتكثير مع تقدم اذا نه في يأكلون ف وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا
الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق فتنة اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول
الله صلعم على ما قالوه واستبدعوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعدما احتج
عليهم بسوال سائر الرسل يقول جرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها
الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم له العداوة

واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان
تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم
بعد ذكر الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلى به وغيره
فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين
وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة
وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيته يغني من يشاء
ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنات لكان
ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة
من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان ابو جهل والوليد بن المغيرة
والعاصي بن وايل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال
وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض وقال الذين
لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم
وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا
محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا واحسن مقيلا اي لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا
بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت
الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا من الايات ان ينزل
الله عليهم الملائكة فتخبرهم بان محمدا صادق حتى يصدقوه او يروا الله جهرة فيأمرهم
بتصديقه واتباعه ولا يخلوا اما ان يكونوا عالمين بان الله لا يرسل الملائكة الى غير
الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان لا يكونوا عالمين
بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح ايات سوى الايات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم
كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة **فان قلت** ما معنى في
انفسهم قلت معناه انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه
كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال
عتى علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه يعني انهم لم يجسروا على هذا
القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف
وهذه الجملة في حسن استينافها غاية وفي اسلوبها قول القايل

وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها

وفي نحو هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب ألا ترى أن المعنى ما أشد
استكبارهم وما أكبر عتوهم وما أغلى نابا بواؤها كليب يوم يرون منصوب بأحد
شيئين إما بما دل عليه لا بشرى أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها
ويومئذ للتكرير وإما بإضمار اذكر أي اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى
يومئذ للمجرمين إما ظاهر في موضع ضمير وإما لأنه عام فقد تناولهم بعمومه ۞
حجرا محجورا ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك
إظهارها نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك الله وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند
لقاء عدو موتور أو هجوم نازلة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه
ويقول الرجل للرجل تفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره إذا منعه لأن المستعيذ
طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منعا ويحجره
حجرا ومجيئه على فِعْل أو فُعْل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد
كما كان قعدك وعمرك كذلك وأنشدت لبعض الرجاز ۞

قالت وفيها حيدة وذعر ۞ عوذ بربي منكم وحجر ۞

فإن قلت فإذ قد ثبت أنه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجورا قلت
جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت
والمعنى في الآية أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم إذا رأوهم عند الموت
أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون
وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة
وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة والبشرى أي
جعل الله ذلك حراما عليكم ۞ ليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال
هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن
على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا
عليه فقدم إلى أشيائهم وقصد إلى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم
يترك لها أثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي
أمثالهم أقل من الهباء منثورا صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده وأنه لا
ينتفع به بالمنثور منه لأنك تراه منتظما مع الضوء فإذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب
كل مذهب ونحوه قوله كعصف مأكول لم يكف أن شبههم بالعصف حتى جعله مأكولا
ولا أن شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا أو مفعول ثالث لجعلناه أي جعلناه جامعا لحقارة
الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين أي جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة

المستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون
والمقيل المكان الذي يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن
كما أن المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب ۞ وروي أنه يفرغ من الحساب في نصف
ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وفي معناه قوله عز وعلا إن أصحاب
الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون قيل في الشغل
هو افتضاض الأبكار ولا نوم في الجنة وإنما سمي مكان دعتهم واسترواحهم إلى الحور
مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الأحسن رمز إلى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه
وملاحة الصور إلى غير ذلك من التحاسين والزين ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل
الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا وقرئ تشقق
والأصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره أدغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام
منها جعل الغمام كأنه الذي تشقق به كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله
السماء منفطر به **فإن قلت** أي فرق بين قولك انشقت الأرض بالنبات قلت
معنى انشقت به أن الله تعالى شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه أن التربة ارتفعت
عنه عند طلوعه والمعنى أن السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي
أيديهم صحائف أعمال العباد ۞ وروي تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة إلى الأرض وقيل هو غمام
أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم وفي معناه قوله هل ينظرون
إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ۞ وننزل الملائكة وتنزل الملائكة ونزل الملائكة و
نزلت الملائكة وأنزل الملائكة ونُزِّل الملائكة ونَزَّل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء
الفعل من ننزل قراءة أهل مكة ۞ الحق الثابت لأن كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى
إلا ملكه ۞ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا
ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان
خذولا عض اليدين والأنامل والسقوط في اليد وأكل البنان وحرق الأسنان
والأرم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفهما فتذكر الرادفة ويدل
بها على المردوف فيرتفع به الكلام في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من
الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه ۞ وقيل نزلت في عقبة بن أبي معيط
بن أمية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلعم فقيل اتخذ ضيافة فدعا إليها رسول
الله صلعم فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه
فعاتبه وقال صبأت يا عقبة فقال لا ولكن أبى أن يأكل طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه
فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمدا فلم تطأ قفاه

وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوه ففعل ذلك فقال رسول الله صلّلم
لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا رضي الله عنه بقتله
وقيل قتله عاصم بن ثابت بن أفلح الانصاري فقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن
رسول الله صلّلم أبيّا باحد فرجع الى مكه فمات واللام في الظالم يجوز ان تكون للعهد
يراد به عقبه خاصه ويجوز ان تكون للجنس فيتناول عقبه وغيره تمنى ان لو صحب الرسول
وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب به طرق الضلالة والهوى او اراد
اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا وقرئ يا ويلتي
بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالى فهذا اوانك وانما
قلبت الياء الفا كما في صحارى ومداري فلانا كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن
الاجناس فان اريد بالظالم عقبه فالمعنى ليتني لم اتخذ أبيّا خليلا فكنى عن اسمه وان
اريد الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله
كناية عنه عن الذكر عن ذكر الله او القرآن او موعظة الرسول ويجوز ان يريد نطقه
بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله
كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة او اراد ابليس وانه الذي حمله على مخالة
المضل ومخالفة الرسول ثم خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس
ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام قول الظالم وان يكون كلام الله اتخذت يقرأ
على الاظهار والادغام اكثر وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن
مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا
الرسول محمد صلّلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم
للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجأوا اليه وشكوا الله قومهم حل بهم
العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا ومواسيا ووعدا النصرة عليهم فقال كذلك
كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هاديا ونصيرا الى طريق قهرهم والانتصار
منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلّلم
من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول
يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا
هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما انهم زعموا انه
هذيان وباطل واساطير الاولين والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه
كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز ان يكون
المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعدو يجوز

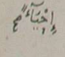
ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي الا رب العالمين وقيل المعنى وقال الرسول
يوم القيمه وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به
فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا نزل
ههنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم
واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه
دفعة في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلاثة وما له انزل على التفاريق والقائلون قريش
وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز و
الاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا وقوله كذلك جواب لهم اي كذلك
انزل مفرقا والحكمة فيه ان نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما
يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة لبعل
به وتعيا بحفظه والرسول صلّلم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا
لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه
منجما في عشرين سنة وقيل في ثلث وعشرين سنة وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث
وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ فلا يتأتى ذلك الا فيما انزل مفرقا
فان قلت ذلك في كذلك يجب ان يكون اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم
هو انزاله جملة واحدة فكيف فسرته بكذلك انزلناه مفرقا قلت لان قولهم لولا
انزل عليه جملة معناه لم انزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا
عن ان يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا
صفحة عجزهم وتسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة وقالوا
هلا نزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته ورتلناه ترتيلا
معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله
ان قدرناه اية بعد اية ووقفة عقيب وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك
قوله ورتل القرآن ترتيلا اي اقرأه بترتيل وتثبيت ومنه حديث عائشة في صفة قراءته لا كسردكم
هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها يقال
ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان نزله مع كونه متفرقا على
تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة ولا يأتونك
بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا اتيناك نحن بالجواب
الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير هو
التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت

كأنه قيل معناه كذا وكذا او لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك
نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او يكون لك جنة او ينزل عليك القرآن جملة الا اعطيناك
نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان نعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه
ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما
نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب
في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه **الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر**
مكانا واضل سبيلا كأنه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله
وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم
الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل
انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية ويجوز ان يراد
بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله اي الفريقين خير مقاما واحسن
نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي صلعم يحشر الناس يوم القيمة
على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون
نسلا **ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا**
الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا الموازرة لا تنافي النبوة فقد
كان يبعث في الزمان الواحد انبيا ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا والمعنى فذهبا
اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق
اراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها واخرها لانهما المقصود من القصة
بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه
فدمرتهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة **وقوم نوح**
لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس اية واعتدنا للظالمين عذابا اليما
وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا
تبرنا تتبيرا كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا اذ كان تكذيبهم لواحد منهم
تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او
قصتهم للظالمين اما ان يعني بهم قوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم
فاظهروا واما ان يتناولهم بعمومه عطف عادا على هم في جعلناهم وعلى الظالمين
لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واما المنصرف فعلى
تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر قيل في اصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام
اصحاب ابار ومواش فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم

وفي ايذائه فبينا هم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن ابي عبيدة انهارت بهم
فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود
قوم صالح وقيل هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقا وهي اعظم ما
يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض على صبيانهم
فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا حنظلة عليها فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة
فاهلكوا وقيل انهم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس في انطاكية
قتلوا فيها النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر اي دسوه فيها بين ذلك اي بين ذلك
المذكور وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة
ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب او المعدود ضربنا له الامثال
بينا له القصص من قصص الاولين ووصفنا لهم ما جروا عليه من تكذيب الانبياء وما
جرى عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو
كسارة الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال
وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له **ولقد اتوا على القرية التي امطرت**
مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا اراد بالقرية سدوم
من قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله اربعا باهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة يعني
ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة
من السماء افلم يكونوا في مرار مرورهم ينظرون الى اثار عذاب الله ونكاله ويذكرون
بل كانوا كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما
يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثمة لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم او لا
يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة
التهامية **واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد**
ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من
اضل سبيلا ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذه
هزوا في معنى استهزأ به والاصل اتخذه موضع هزؤ او مهزوا به اهذا محكي بعد
القول المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا اخراجه في معرض التسليم و
الاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزئوا لقالوا اهذا
الذي زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على
افراط مجاهدة رسول الله صلعم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة
في استعطافهم مع عرضه الايات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا

دينهما الى دين الاسلام لو لا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة الهتهم ولولا في مثل هذا
الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون
وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا
يغرنهم التاخير وقوله من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال اذ لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه ويروى انه من قول
ابي جهل لعنه الله ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب
ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا من كان في
طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما ياتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغى الى برهان
فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول الله لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه
كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان
تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله وما انت عليهم بجبار لست عليهم
بمصيطر ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا راى احسن منه رمى به واخذ الاخر
ومنهم الحرث بن قيس السهمي ام هذه منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من
التي قبلها تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهو كونهم مسلوبي الاسماع والعقول
لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل
في الغفلة والضلالة ثم ارجح ضلالة منها **فان قلت** لم اخر هواه والاصل قولك
اتخذ الهوى الها قلت ما هو الا تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول
علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق **فان قلت** ما معنى ذكر الاكثر قلت
كان فيهم من لا يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا
فان قلت كيف جعلوا اضل من الانعام قلت لان الانعام تنقاد لاربابها
التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما
يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه
اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم
المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي
هو المشرع الهني والعذب الروي الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا
ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا الم تر الى ربك كيف مد الظل
ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع ربك
وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا
اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به احد سمى

انبساط

انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا
ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا
في مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب
ذلك وقبضه اليه انه ينسخه بضح الشمس يسيرا اي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا
بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصى ولو قبض مرة واحدة لتعطلت اكثر مرافق الناس
بالظل والشمس جميعا **فان قلت** ثم في هذين الموضعين كيف موقعها قلت موقعها
لبيان تفاضل الامور الثلاثة كان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها
لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه اخر وهو انه
مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض
فينانا ما في اديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم
خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل
في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا
يسيرا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام
التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه
وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير وهو الذي
جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا شبه ما يستر من ظلام
الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحيوة وهذا كقوله
وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار **فان قلت** هلا فسرته بالراحة
قلت النشور في مقابلته يأباه اباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الاية مع دلالتها
على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من
الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحيوة اي عبرة فيها
لمن اعتبر وعن لقمان انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل
الرياح نشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتة ونسقيه

مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا قرئ الريح والرياح نشرا ونشرا جمع نشور وهي المحيية
ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى وبين يدي رحمته استعارة مليحة
اي قدام المطر طهورا بليغا في طهارته وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه
مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى
وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين
في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما

يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا
حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله عليه السلام لا صلاة الا بطهور اي بطهارة
فان قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور قلت تيقن مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن
تغير احد اوصافه الثلاثة او لم يتغير او استعماله في البدن لاداء عبادة عند ابي حنيفة و
عند مالك بن انس ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور **فان قلت** فما تقول في قوله
عليه السلام حين سئل عن بئر بضاعة خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه
قلت قالوا قد كانت بئر بضاعة طريقا للماء الى البساتين ح قيل لم يرد لونه في الحديث وانما
الحديث الا ما غير طعمه او ريحه لكن العلماء قاسوا اللون على الطعم والريح انتهى فائدة
لم يرو حديث بئر بضاعة من الستة الا ابو داود من حديث ابي سعيد الخدري
ولفظه قيل يا رسول الله انه يستقى لك من بئر بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق المحايض
وعذر الناس فقال رسول الله صلعم ان الماء طهور لا ينجسه شيء وفي رواية قيل يا رسول
الله انتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر يطرح فيها الحيض ولحم الكلاب والنتن فقال رسول
الله صلعم الماء طهور لا ينجسه شيء انتهى ورواه الدارقطني بنحوه وليس في شيء من رواياتها
لحديث بضاعة استثناء اصلا وانما روى الدارقطني حديثا عن طريق راشد بن سعد بروايات
بعضها مرفوع وبعضها موقوف وبعضها مرسل وبعضها مضعف ولم يذكر في شيء منها بئر
بضاعة وانما قال في احدها قال رسول الله صلعم الماء طهور الا ما غلب على ريحه او على
طعمه وفي اخرى لا ينجس الماء الا ما غير طعمه او ريحه وفي اخرى بنحوه والله اعلم

وانما قال ميتا لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت وانه غير جار على الفعل
كمفعول ومفعال ومفعيل وقرئ نسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له
سقيا الاناسي جمع انسي او انسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والاصل
اناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اناعم في اناعيم **فان قلت**
انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يؤذن بان الطهارة شرط في
صحة ذلك كما تقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش قلت لما كان
سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم و
بيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة واراد هم عليها ان يؤثروها في بواطنهم
وفي ظواهرهم وان يربؤوا بانفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم
فان قلت لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب قلت لان
الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي
وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام بسقيهم

فان قلت فما معنى تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة قلت معناه ان
علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع الماء فيهم غنية عن
سقي السماء واعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه
وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء **فان
قلت** لم قدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي قلت لان حياة الاناسي
بحياة ارضهم وحياة انعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا
ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم ولقد صرفناه بينهم ليذكروا
فابى اكثر الناس الا كفورا يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي
سائر الكتب والصحف التي انزلت على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليفكروا
ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فابى اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها
وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة
وعلى الصفات المختلفة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا الا الكفور
وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرا
من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما يشاء وتلا هذه الآية وروي ان الملائكة يعرفون عدد
المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكنه يختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب
في تنكير البلدة والانعام والاناسي كانه قيل لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام
والاناسي وذلك البعض كثير **فان قلت** هل يكفر من ينسب الامطار الى الانواء
قلت ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد ان تكون هي والانواء من خلق الله فهو كافر وان
كان يرى ان الله خالقها وقد نصب الانواء دلائل وامارات عليها لم يكفر ع زيد بن خالد
قال صلى بنا رسول الله صلعم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف
اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من
عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب
واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب اخرجه البخاري ومسلم
والموطأ وابو داود والنسائي بنحوه ولو شئنا لبعثنا في كل امة نذيرا فلا تطع الكافرين
وجاهدهم به جهادا كبيرا يقول لرسوله ولو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى
ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به واجللناك وفضلناك
على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وانما
اراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم والضمير في به للقرآن او لترك الطاعة
الذي يدل عليه فلا تطع والمراد ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين امرك فقابلهم

من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما نغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما
يتحمل فيه من المشاق العظام ويجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا
في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجب على
كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلعم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده
من اجل ذلك وعظم تعالى له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا
جامعا لكل مجاهدة وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج
وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات
البليغ العذوبة حتى تضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين
متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام
بعضهم وبحران احدهما مع الاخر ممزوج وماء العذب منهما بالاجاج ممزوج برزخا
حايلا من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته وقرئ ملح
على فعل وقيل كانه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا
يريد باردا وحجرا محجورا

فان قلت ما معناه قلت هي الكلمة التي تقولها المتعوذ
وقد فسرناها وهي هاهنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه
ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي
ثمة كالتعوذ هنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من
احسن الاستعارات واشهدها على البلاغة ك وهو الذي مرج البحرين الاية اي
خلق الماءين الحلو والمالح فالحلو كالانهار والعيون والابار هذا هو البحر الحلو العذب
الفرات الزلال قاله ابن جريج واختاره ابن جرير وهذا المعنى لا شك فيه فانه ليس
في الوجود بحر ساكن وهو عذب فرات والله سبحانه انما اخبر عن الواقع لينبه العباد على نعمه
عليهم ليشكروا فالبحر العذب هو هذا السارح بين الناس فرقه تعالى بين خلقه لاحتياجهم
اليها انهارا وعيونا في كل ارض بحسب حاجتهم وكفايتهم لانفسهم واراضيهم وقوله وهذا
ملح اجاج اي مالح مر زعاق لا يستطاع وذلك كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب
البحر المحيط وما يتصل به من الدقاق وبحر القلزم وبحر اليمن وبحر البصرة وبحر فارس
وبحر الصين والهند وبحر الروم وبحر الخزر وما اشبهها من البحار الساكنة التي لا تجري
ولكن تموج وتضطرب وتغتلم في زمن الشتاء وشدة الرياح ومنها ما فيه مد وجزر ففي
اول كل شهر يحصل منها مد وفيض فاذا شرع الشهر في النقصان جزرت حتى ترجع الى
غايتها الاولى فاذا استهل الهلال من الشهر الاخر شرعت في المد الى الليلة الرابعة عشرة
ثم تشرع في النقص فاجرى الله سبحانه وتعالى وله القدرة التامة العادة بذلك فكل هذه

البحار الساكنة خلقها الله مالحة الماء لئلا يحصل بسببها نتن الهوى فيفسد الوجود بذلك
ولئلا تجوى الارض بما يموت فيها من الحيوان ولما كان ماؤها ملحا كان هواؤها صحيحا
وميتتها طيبة ولهذا قال رسول الله صلعم وقد سئل عن ماء البحر وقد سئل انتوضأ به
هو الطهور ماؤه الحل ميتته رواه الائمة مالك والشافعي واحمد واهل السنن باسناد جيد
وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا
اراد فقسم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة
بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى ه وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا
وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه
ظهيرا وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما اسالكم عليه من اجر الا من
شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به
بذنوب عباده خبيرا الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير
عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روي انها
نزلت في ابي جهل ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء
الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور الله
وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه
هينا مهينا من قوله ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله
اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم مثال الا من شاء والمراد
الا فعل من شاء واستثناؤه من الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما
اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال
لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد فائدتين احدهما
قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب
الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا
ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله صلعم كان مع المبعوث اليهم
بهذا الصدد وفوقه ه ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم الزلفى عنده
بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله ه امره ان يثق
به ويسند امره اليه في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل واساس الالتجاء وهو
طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده
ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف انه قرأها فقال لا يصح

لذي عقل ان يثق بعبدها المخلوق ثم اراد انه لتبتى اليه من امر عباده ثبتوا امنوا ام كفروا
وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم الذي خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسال به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا في ستة ايام يعني في
مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة ايام من ايام الاخرة وكل
يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد اولها يوم الاحد واخرها يوم الجمعة ووجهه
ان يسمى الله للملائكة تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها وترتب امر العالم
على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد اعني الستة الايام
دون سائر الاعداد فلا شك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة وان
كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم اصحاب النار تسعة عشر
وحملة العرش ثمانية والشهور اثنا عشر والسموات سبعا والارضين كذلك والصلوات خمسا
واعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعي الحكمة في جميع افعاله
وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا
ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين
امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض
والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب
ايضا في ان لم يخلقها في لحظة وهو القادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة
ايام وهو قادر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم
الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدا والرحمن خبره او صفة للحي والرحمن خبر
مبتدا محذوف او بدل من المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي وقرئ فاسل
والباء في به صلة سل كقوله سال سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله ثم
لتسألن يومئذ عن النعيم فسال به كقولك اهتم به واعتنى به واشتغل به وسال عنه كقولك
بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه او صلة خبيرا ويجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه
رجلا عارفا يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسؤاله خبيرا كقولك
رايت به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سالته وجدته خبيرا او يجعله حالا عن الهاء يريد
فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من اسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة ولم
يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى تعرف من ينكره
ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له
رحمان اليمامة وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه

بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا
في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله لما تامرنا اي
للذي تامرنا بمعنى تامرنا بسجوده على قوله امرتك الخير او لامرك لنا وقرئ بالياء كان
بعضهم قال لبعض انسجد لما يامرنا محمد او يامرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفي زادهم
ضمير اسجدوا للرحمن لانه هو المقول تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها
سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد
شكورا البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج
التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من
التبرج لظهوره والسراج الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس
والكواكب الكبار معها وقرا الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهو جمع ليلة قمراء كانه
قيل وذا قمر منيرا لان الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف
بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب
والخلفة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما
الاخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل
والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة
واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه وقرئ يذكر ويذكر وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى
لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم انه لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل
ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل
والتصرف بالنهار كما قال عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه و
لتبتغوا من فضله وليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده من
العبادة قام به في الاخر وعن الحسن رضي الله عنه من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار
كان له بالليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له بالنهار مستعتب ك وقد جاء في الحديث
الصحيح ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء
الليل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا
عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا انفقوا

لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وعباد الرحمن مبتدا خبره في آخر السورة كانه
قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره
الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون
هونا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة
مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون
هينون لينون والمثل اذا عز اخوك فهن معناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون
بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك
كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله يمشون في الاسواق سلاما تسلما منكم لا
نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم
وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب
وسوء الرعة من قوله
الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وعن ابي العالية نسختها اية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة
مستحسن في الادب والمروة والشريعة واسلم للعرض والورع البيتوتة خلاف الظلول
وهو ان يدركك الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القران في الصلوة وان قل فقد بات
ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد صلوة العشاء والظاهر
انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما غراما هلاكا وخسرانا
ملحا لازما قال

يوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما	وقال
ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي	

ومنه الغريم لالحاحه والزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم
هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله
والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا
والمخصوص بالذم محذوف ومعناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة
باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا
حال او تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله
تعالى وحكاية لقولهم قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها
والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد
في النفقة ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله صلعم ولا

تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي
فاما في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير
وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال
وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام
فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فساله عن نفقته واحواله
فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الاية فقال لابنه يا بني
اهذا ايضا مما اعده وقيل اولئك اصحاب محمد صلعم كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة
ولا يلبسون للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم
ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر كفى سرفا ان لا يشتهي
الرجل شيئا الا اشتراه فاكله والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما
ونظيره القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به
الشيء يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني
بين ذلك قواما جائز ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان
يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على
انه مبني لاضافته الى غير متمكن كقوله
لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال
وهو من جهة الاعراب لا باس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير
قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة ك قوله يمشون على
الارض هونا اي من غير استكبار ولا اشر ولا بطر وليس المراد انهم يمشون كالمرضى
تصنعا ورياء فقد كان سيد ولد ادم اذا مشى كانما ينحط من صبب وكانما الارض
تطوى له وانما المراد بالهون هاهنا السكينة والوقار كما قال رسول الله صلعم اذا
اتيتم الصلوة فلا تاتوها وانتم تسعون واتوها وعليكم السكينة والوقار فما ادركتم
فصلوا وما فاتكم فاتموا وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي يعفون
ويصفحون كما كان رسول الله صلعم لا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما وعن النعمان بن مقرن
المزني ان رجلا سب رجلا عند رسول الله صلعم فقال المسبوب عليك السلام فقال
فقال رسول الله صلعم اما ان بينكما ملكا يذب عنك كلما شتمك هذا قال له بل انت وانت
احق به واذا قلت عليك السلام قال بل عليك وانت احق به رواه احمد واسناده حسن
وقوله والذين اذا انفقوا الاية عن ابي الدرداء عن النبي صلعم قال من فقه الرجل رفقه
في معيشته رواه احمد وروى ايضا عن ابن مسعود عن رسول الله صلعم انه قال ما

تعالى من اقتصد وعن حذيفة قال قال رسول الله صلعم ما احسن القصد في الغنى واحسن القصد في الفقر واحسن القصد في العبادة رواه البزار والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا حرم الله اي حرمها الله والمعنى حرم قتلها والا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون ونفي هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه اعدا المومنين من قريش وغيرهم كانه قيل والذين براهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير الحق يدخل فيه الواد وغيره وعن ابن مسعود رض قال قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقه وقرى يلق فيه اثاما وقرى يلقى باثبات الالف وقد مر مثله والاثام جزا الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال

جزا الله ابن عروة حيث امسى عقوقا والعقوق له اثام

وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزا اثام وقرى ابن مسعود اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم الشديد العصيب يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد كقوله

متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا

وقرى يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرى بالرفع على الاستيناف او على الحال وكذلك يخلد وقري ويخلد على البنا للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقري وتخلد بالتا على الالتفات يبدل مخفف ومثقل وكذلك سياتهم

فان قلت ما معنى مضاعفة العذاب وابدال السيات حسنات قلت اذا ارتكب المشرك المعاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف له العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيات حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا يريد ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب او فانه تائب متابا الى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمان الوارد

والعقيم الوالد او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واي مرجع

عن ابن مسعود قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما وعن المقداد قال رسول الله صلعم لاصحابه ما تقولون في الزنا قالوا حرمه الله ورسوله فهو حرام الى يوم القيمة فقال رسول الله صلعم لان يزني الرجل بعشر نسوة ايسر عليه من ان يزني بامراة جاره ثم قال ما تقولون في السرقة قالوا حرمها الله ورسوله فهي حرام الى يوم القيمة قال لان يسرق الرجل من عشرة ابيات ايسر عليه من ان يسرق جاره رواه احمد وعن الهيثم بن مالك عن النبي صلعم قال ما من ذنب بعد الشرك اعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له رواه ابن ابي الدنيا وروى ابن ابي حاتم عن مكحول قال جا شيخ كبير هرم قد سقط حاجباه على عينيه فقال يا رسول الله رجل غدر وفجر لم يدع حاجة ولا داجة الا اقتطعها بيمينه لو قسمت خطيئته بين اهل الارض لاوبقتهم فهل له من توبة فقال النبي صلعم اسلمت قال اما انا فاشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فقال النبي صلعم فان الله غافر لك ما كنت كذلك ومبدل سياتك حسنات فقال يا رسول الله وغدراتي وفجراتي قال وغدراتك وفجراتك فولى الرجل يكبر ويهلل

والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما يحتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركا فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب في وجوده والزيادة فيه لان الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى بن مريم صلوات الله عليه اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن محمد بن الحنفية اللهو والغنا وعن مجاهد اعياد المشركين اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنه مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا عنه وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقا والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها

واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية مبصرون بعيون راعية
لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على
استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم ربنا هب لنا من ازواجنا و
ذرياتنا قرة اعين وقرات اعين سالوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا
لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس في الدنيا شيء اقر لعين المؤمن من
ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا رآه يكتب الفقه
وقيل سالوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذرياتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم واجعلنا للمتقين اماما اراد
ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او اراد
واجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع آم كصائم وصيام او اراد واجعلنا اماما واحدا
لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الاية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب
ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الايات في العشرة المبشرين بالجنة **فان قلت**
من في قوله من ازواجنا ما هي قلت يحتمل ان تكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم
بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين
وهو من قولهم رأيت منك اسدا اي انت اسد وان تكون ابتدائية على معنى هب لنا من
جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح **فان قلت** لم قال قرة اعين فنكر
وقلل قلت اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف
اليه كانه قيل هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد اعين
المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور
ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي اعين المتقين ك جا في الحديث عن
رسول الله صلعم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يجلس على مائدة تدار عليها الخمر
وفي الصحيحين عن ابي بكرة قال قال رسول الله صلعم الا اخبركم باكبر الكبائر ثلاثا
قلنا بلى قال الشرك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس وقال الا وقول الزور
الا وشهادة الزور الا وقول الزور الا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا
ليته سكت وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم اذا مات ابن ادم
انقطع عمله الا من ثلث ولد صالح يدعو له او علم ينتفع به من بعده او صدقة جارية
اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت
مستقرا ومقاما قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما
المراد يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال
على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات امنون بما صبروا بصبرهم على الطاعات

وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع
في كل مصبور عليه وقرئ يلقون كقوله ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله يلق
اثاما والتحية دعا بالتعمير والسلام دعا بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون
عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من
كل افة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك وارزقنا مثل ما رزقتهم في دار رضوانك
لما ذكر عباد العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع
من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكترث باولئك وعبأ بهم واعلا ذكرهم
ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله ان يصرح للناس ويجزم لهم القول
بان الاكتراث بهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى اخر ولولا عبادتهم لم يكترث
لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالي به والدعاء العبادة وما متضمنة
لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي عبء
يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني انكم لا تستاهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة
قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبئا علي كما تقول ما
اكترثت له اي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تاويل ما يعبأ
بكم ربي اي وزن يكون لكم عنده ويجوز ان تكون ما نافية فقد كذبتم تقول اذا اعلمتكم
ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم
اثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان
من عادتي ان احسن الى من اطاعني (يطيعني) ويتبع امري فقد عصيت فسوف ترى ما يحل بك
بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما
يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة **فان قلت** الى من يتوجه هذا الخطاب قلت
الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد
في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما
وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى
اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم انه مما
توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف والله اعلم بالصواب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى اخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل
عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن
محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون
طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها الكتاب المبين الظاهر اعجازه
وصحة انه من عند الله والمراد به السورة او القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف
المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين البخع ان يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن
الفقار وذلك اقصى حد الذابح ح ابن الاثير في النهاية بحثت في كتب اللغة والتشريح فلم اجد
البخاع بالباء الجوهري النخاع بضم النون الخيط الابيض الذي في جوف الفقار و
الفقار جمع فقارة وهو منتظم عظم الظهر وفي كتب التفسير بخع الرجل نفسه اذا قتلها
غيظا من شدة وجده بالشيء ف ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة
على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او لامتناع ايمانهم او خيفة
ان لا يؤمنوا وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة ة اراد آية ملجئة الى الايمان قاسرة
عليه فظلت اعناقهم معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا ونظيره
فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقد قرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظل اعناقهم فان
قلت كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت
الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة كان
الاهل غير مذكور او لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي
ساجدين وقيل اعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم
الرؤوس والنواصي والصدور قال

وموقف قد كفيت الغايبين به في محفل من نواصي الناس مشهود

وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت اعناقهم لها
خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة
فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة اي وما يجدد الله لهم
بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به فان قلت
كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض والتكذيب والاستهزاء قلت انما
خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا
به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا
عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له
فسيأتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة
ما الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو القرآن وسيأتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية

عليهم اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لآية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وصف الزوج وهو الصنف من النبات
بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله
وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال

ولا يخيم اللقاء فارسهم حتى يشق الصفوف من كرمه

لا يخيم اي لا يجبن واللقاء منصوب بحذف في وايصال الفعل من كرمه اي من كونه مرضيا
في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع ان في ذلك في انبات
تلك الاصناف لآية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع
على قلوبهم غير مرجو ايمانهم وان ربك لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن
تاب وآمن وعمل صالحا فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا
فيها من زوج كريم لكان كافيا قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل
التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه
نبه على كمال قدرته فان قلت فما معنى وصف الزوج بالكريم قلت يحتمل معنيين احدهما
ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات
النافع وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم
وينبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة
بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون فان قلت
فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا
عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لآية وهلا قال لآيات قلت فيه وجهان ان يكون ذلك
مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في ذلك الانبات لآية اي آية وان يراد ان في
كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبقت لهذا الوجه نظائر واذ نادى ربك موسى
ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون قال رب اني اخاف ان يكذبون
ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هارون ولهم علي ذنب فاخاف ان
يقتلون سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان
كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما عبارتان تعتقبان على مؤدى
واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم
من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم بكفرهم وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل
باستعبادهم لهم وقرئ الا تتقون بكسر النون بمعنى الا تتقونني فحذفت
النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة فان قلت بم تعلق قوله الا

يتقون قلت هو كلام مستانف اتبعه عز وجل اذ ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون الا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرا الا تتقون على طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض اخصائه والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستحي من الناس **فان قلت** فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون قلت اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من اية انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمومنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه اخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا ويضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع فيه يفيد ان فيه ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلاثة **فان قلت** في النصب تعليق الخوف بالامور الثلثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف بالامور انما هو غم يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها لمعة يسيرة **فان قلت** اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى اني خايف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة وقبل استجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل واخي هرون هو افصح مني لسانا ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا وآزرني به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير القصة الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم

تدميرا

تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة اولها واخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم كذبوا بايات الله فاراد الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم **فان قلت** كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يامره الله بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله من ورائه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل ولهم علي ذنب اراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهو قود ذلك القتل فاخاف ان يقتلوني به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة **فان قلت** قد ابيت ان تكون تلك الثلث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والوعد بالكلاءة والدفع قال كلا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرايل قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين قال فعلتها اذا وانا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرايل جمع الله له الاستجابتين معا في قوله كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون **فان قلت** علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون وقوله معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز ان يكونا خبرين لان او يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا **فان قلت** لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه سميع وسامع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اي اصغى اليه وادركه بحاسة سمعه

ومنه قوله عليه السلام من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب الله في اذنيه الآنك
فان قلت هلا ثنى الرسول كما ثنى في قوله انا رسولا ربك قلت الرسول يكون بمعنى
المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثمّ بمعنى المرسل فلم يكن بدّ من تثنيته وجعله ههنا
بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل
بالصفات نحو صوم وزور قال

أَلِكْنِي اليها وخيرُ الرسو ... لِ أعلمُهم بنواحي الخَبَرْ

والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله

لقد كذب الواشون ما فهتُ عندهم ... بسرٍّ ولا ارسلتهم برسولِ

ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك
وللاخوة كان حكما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد منا ان ارسل بمعنى
اي لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لتضمن الرسول معنى
الارسال لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا
الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين
وكانت مسكنهما ه ويروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب
ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا
اليه الرسالة فعرف موسى فقال له ألم نربك حذف فأتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم
لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل ه الوليد الصبي لقرب عهده
بالولادة وفي رواية عن ابي عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل مكث عندهم ثلثين
سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثرها والله اعلم
بصحة ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكزة وهو
ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة ه عدد عليه نعمه من تربيته
وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه
بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته
وانت لذلك من الكافرين بنعمتي او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى
عليه او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله عز وعلا عاصم من يريد ان يستنبئه
من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين
حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم
بدعا منه او بانه من الكافرين بفرعون والاهيته او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد
كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد بذلك قوله تعالى ويذرك وآلهتك وقرئ والاهتك

فاجابه موسى صلوات الله عليه بان تلك الفعلة انما فرطت منه وهو من الضالين اي من
الجاهلين وفي قراءة ابن مسعود من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل اولي
الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون
او المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل او الذاهبين عن الصواب او الناسين من
قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ه وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر
عن نفسه وبرّأ ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين ربأ بمحل من رشح للنبوة
عن تلك الصفة ثم كرّ على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله واستأصله من
سنخه وابى ان تسمى نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل
لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه امتن
عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت
الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال

علامَ يُعبِّدني قومي وقد كثرت ... فيهم أباعرُ ما شاؤوا وعِبدانُ

فان قلت اذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع
جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له
موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت جديرة عنده بان تجازى بنحو
ذلك الجزاء **فان قلت** لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت
قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله بدليل
قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد **فان قلت**
تلك اشارة الى ماذا وان عبدت ما محلها من الاعراب قلت تلك اشارة الى خصلة شنعاء
مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره
قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين والمعنى تعبيدك
بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون ان في موضع نصب المعنى انما
صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في
اليم قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما
ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين
قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما
ان كنتم تعقلون لما قال له بوابه ان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين قال له عند
دخوله وما رب العالمين يريد اي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما ان يريد
به اي شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل به عليه

من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجسام والاعراض وانه شيء
مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق تفتيشا عن
حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته
بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك واما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي
هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب
للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون
للعالمين اله سواه لادعائه الالهية فلما اجاب موسى بما اجاب به عجب قومه من
جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به
حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير اخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيري
لاجعلنك من المسجونين وهذا يدل على صحة هذا الوجه الاخير **فان قلت** كيف قيل
وما بينهما على التثنية والمرجوع اليه مجموع قلت اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما
فعل بالظاهر من قال

لامتنع الحي اوبادا ولم يجدوا عند التفرق في الهيجا جمالين

فان قلت ما معنى قوله ان كنتم موقنين وان كنتم تعقلون قلت
معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا
لم ينفع وان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله
فان قلت ومن كان حوله قلت اشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم
الاساور وكانت للملوك خاصة **فان قلت** ذكر السموات والارض وما بينهما قد
استوعب به الخلائق فما معنى ذكرهم وذكر ابائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب
قلت قد عمم اولا ثم خصص من العام للبيان انفسهم واباءهم لان اقرب المنظور فيه من
العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل
من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق
والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الاخر على تقدير مستقيم
في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج
به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذي كفر وقرئ
رب المشارق والمغارب الذي ارسل اليكم بفتح الهمزة **فان قلت** كيف قال اولا
ان كنتم موقنين واخرا ان كنتم تعقلون قلت لاين اولا فلما راى منهم شدة الشكيمة
في العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
بقوله ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال اولو

جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان
مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال للملإ حوله ان هذا لساحر عليم يريد
ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وابعث في المدائن
حاشرين ياتوك بكل سحار عليم **فان قلت** الم يكن لاسجننك اخصر من لاجعلنك
من المسجونين ومؤديا مؤداه قلت اما اخصر فنعم واما مؤد مؤداه فلا لان معناه
لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان ياخذ من يريد
سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع
وكان ذلك اشد من القتل واشد الواو في قوله اولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة
الاستفهام معناه اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي جائيا بالمعجزة وفي قوله ان كنت
من الصادقين انه لا ياتي بالمعجزة الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله
لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي
على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات
وتقديره ان كنت من الصادقين في دعواك اتيت به فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل
عليه ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة
بالشعوذة والسحر وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة
الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسالك بالذي ارسلك
الا اخذتها فاخذها فعادت عصا للناظرين دليل على ان بياضها كان شيئا يجمع النظارة
على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نورانيا روي ان فرعون لما ابصر الاية
الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فادخلها في
ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق **فان قلت** ما العامل
في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي
ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال ولقد تحير فرعون
لما ابصر الايتين وبقي لا يدري اي طرفيه اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط
عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة
لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم ان طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره منه
وتوقعه واحس به من جهة موسى وغلبته على ملكه وارضه وقوله ان هذا لساحر عليم
قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا لزم وماذا تامرون من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر
الذي هو ضد النهي جعل العبيد امرين وربهم مامورا لما استولى عليه من فرط
الدهش والحيرة وماذا منصوب اما لكونه في معنى المصدر واما لانه مفعول به من قوله

امرتك الحية فافعل ما امرت به قرى ارجئه وارجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال
ارجاته وارجيته اذا اخرته ومنه المرجيه وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون
هم مرجون لامر الله والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه حاشرين
شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر بقوله بكل سحار فجاوا بكلمة الاحاطة
وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرا الاعمش بكل ساحر فجمع السحرة
لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم
الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم
وانكم لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم
وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون
فالقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون اليوم المعلوم
يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات الله عليه
من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به
اي حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام هل انتم مجتمعون استبطا لهم
في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق
اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كانه يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو
واقف ومنه قول تابط شرا

هل انت باعث دينار لحاجتنا ... او عبد رب اخا عون بن مخراق
(اسم رجل) (اسم رجل)

يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة اي في دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع
موسى في دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام
مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى قرئ نعم بالكسر وهما لغتان
ولما كان قوله ان لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله انكم اذا لمن المقربين
معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذا قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء
وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون به موسى القربة عنده
والزلفى اقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية وكذا كل حلف بغير الله والرحمن
وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلعم
لا تحلفوا بابائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم
صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسبت لها الجاهلية
الاولى وذلك ان الواحد منهم لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد
بها حتى يقسم براس سلطانه فاذا اقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف

لحالف ما يافكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون
في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او افكهم تسمية لتلك
الاشياء افكا مبالغة روي انهم قالوا ان كان ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان
كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما القى عصاه فتلقفت ما اتوا به علموا انه من الله فامنوا
وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع
الالقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين راوا ما راوا
لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا
فان قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح به قلت هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق
او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى سقطوا
وخروا رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون لعنه الله كان يدعي
الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي يدعو
اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما اجرى قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم
الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم
اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان
كنا اول المؤمنين فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم الضير والضر والضور واحد
ارادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله
من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة او لا ضير علينا فيما توعدتنا به
من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهون
اسبابه واروحها او لا ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع
في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف
والمعنى لا ضير في ذلك او علينا ان كنا معناه لان كنا وكانوا اول جماعة مؤمنين
من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر
وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول
المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله
عز وجل ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك
واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون فارسل فرعون في المداين
حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون
فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل
فاتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال

كلا ان معي ربي سيهدين قرى اسر بقطع الهمزه ووصلها وسر انكم متبعون
علل الامر بالاسرآ باتباع فرعون وجنوده اثارهم والمعنى انى بنيت تدبير امركم
وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم في طريق
البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم روى انه مات في تلك الليله في كل بيت من بيوتهم ولد
فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل
كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجدآ واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سامر الملئكه
ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسامرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه
اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فياتيك امري فارسل فرعون في اثره
الف الف وخمسمائه الف ملك مسورة مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت
مقدمته سبعمائه الف كل رجل على حصان وعلى راسه بيضه وعن ابن عباس خرج
فرعون في الف الف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائه الف
وسبعين الفا وسماهم شرذمة قليلين ان هولاء محكي بعد قول مضمر والشرذمة
الطائفة القليله ومنه قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال
على القله ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع
السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة
والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم
ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر
واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير
اعتذر بها الى اهل المداين لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرى حذرون
وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل
المؤدي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال

احب الصبي السوء من حب امه ... وابغضه من بغضها وهو حادر

اراد انهم اقويا اشدآ وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم عن
مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام المكان يريد المنازل
الحسنة والمجالس البهيه وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك يحتمل
ثلثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفناه والجر على انه
وصف لمقام اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر مبتدا محذوف
اي الامر كذلك فاتبعوهم فلحقوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس
شروقا اذا طلعت سيهدين طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم وقرى فلما ترآءت



القسان انا لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشي اذا تتابع ففنى ومنه قوله
تعالى بل ادارك علمهم في الاخرة قال الحسن جهلوا علم الاخرة وفي معناه بيت الحماسه

ابعد بني امي الذين تتابعوا ... ارجي الحيوة ام من الموت اجزع

والمعنى انا لمتتابعون في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد واوحينا الى موسى ان اضرب
بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم الاخرين وانجينا موسى
ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم الفرق الجزء المتفرق منه وقرى كل فلق والمعنى واحد
والطود الجبل العظيم المتطاد في السمآء وازلفنا ثم حيث انفلق البحر الاخرين قوم فرعون
اي قربناهم من بني اسرائيل وادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد
وقدمناهم الى البحر وقرى وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا
عزهم كقوله

تداركتما عبسا وقد ثل عرشها ... وذبيان اذ زلت باقدامها النعل

ويحتمل ان يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه
عن عطاء بن السايب ان جبريل كان بين بني اسرائيل وبين ال فرعون فكان يقول لبني اسرائيل
ليلحق اخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم ليلحق اخركم فلما انتهى موسى الى البحر
قال له مومن ال فرعون وكان بين يدي موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك
ال فرعون فقال امرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب
بعصاك البحر فضربه فكان فيه اثنى عشر طريقا لكل سبط طريق وروى ان يوشع قال
يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع المآء
وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شي
والمكون لكل شي والكائن بعد كل شي ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من
ورآء مصر يقال له اساف ان في ذلك لاية اية واية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع
امرها فيهم وما تنبه عليها اكثرهم ولا امن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى
المخصوصين بالانجا قد سالوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة
وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم نبا ابرهيم
اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين قال
هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك
يفعلون كان ابرهيم صلوات الله عليه يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سالهم ليريهم
ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شي كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم

ان ماله التوفيق ثم تقول لها الترقيق جمال ولبس بال **فان قلت** ما تعبدون
سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله ويسألونك ماذا
ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قلت هؤلاء
قد جاؤوا بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابرهيم
وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا
على قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول
لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري الحي
وانما قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل لا بد في يسمعونكم من تقدير
حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة يُسمِعونكم اي هل يسمعونكم
الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع ايقاعه في اذ على حكاية
الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل
سمعوا او اسمعوا قط وهذا ابلغ في التبكيت قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم
الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو
يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين لما اجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رقوا الامر
في تقليدكم هذا الى اقصى غاياته وهي عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان التقدم
والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من
عبد هذه الاصنام الا عبادة اعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون
بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغري على عبادتها اعدى اعداء الانسان وهو
الشيطان وانما قال عدو لي تصويرا للمسألة في نفسه على معنى اني فكرت في امري
فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه واراهم
بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا
ابرهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول
وابعث على الاستماع منه ولو قال فانهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل
في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل فيه
فربما قاده التامل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رح ان رجلا واجهه بشيء
فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا
بيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال
وقوم علي ذوي مئرة اذا هم عدوا وكانوا صديقا ❁

المئرة بالهمز الحقد والعداوة ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها
بالمصادر للموازنة كالقبول والولوغ والحنين والصهيل الا رب العالمين استثناء
منقطع كانه قال لكن رب العالمين فهو يهدين يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح
عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان
يغتذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى
معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد ❁
وانما قال مرضت دون امرضني لان كثيرا من اسباب المرض تحدث بتفريط من الانسان في
مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثمة قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا
التخم قرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون
مختارون على العالمين وقيل هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله
لسارة هي اختي وما هي الا معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها
الاستغفار **فان قلت** اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي تقع مكفرة فما له
اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان تغفر له قلت الجواب ما سبق لي ان استغفار
الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة
وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة
مما يفرط منهم **فان قلت** لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في
الدنيا قلت لان اثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم رب هب لي حكما والحقني
بالصالحين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه كان من الضالين
ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم
الحكم الحكمة او الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله
والالحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد
اجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين والاخزاء من الخزي وهو الهوان او من
الخزاية وهي الحياء وهذا ايضا من نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور وفي يبعثون ضمير
العباد لانه معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعني ولا تخزني
يوم يبعث الضالون وابي فيهم الا من اتى الله الا حال من اتى الله وهو من قوله ❁
تحية بينهم ضرب وجيع ❁ وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال
وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب
له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كانه
قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان

غناه في دنياه بماله وبنيه وكان يجعل الاستثناء منقطعاً ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف
وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى إلى
أن المال والبنين لا ينفعان وإنما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء
معنى وقد جعل من مفعولاً لينفع أي لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلاً سلم قلبه مع ماله
حيث أنفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على
هذا إلا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته
من آفات الكفر والمعاصي ومما أكرم الله به خليله ونبه به على جلالة قدره ومحله في الإخلاص
أن حكى استثناءه هذا حكاية راض بإصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله وإن من شيعته
لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية
الله وقول آخر هو الذي سلم وسلّم وأسلم وسالم واستسلم وما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام
كلامه مع المشركين حين سألهم أولاً عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم نحى على آلهتهم
فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الأقدمين فكسره
وأخرجه من أن يكون شبهة فضلاً عن أن يكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص
منها إلى ذكر الله عز وجل فعظم شأنه وعدد نعمه من لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته
مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك بأن دعاه بدعوات المخلصين وابتهل إليه
ابتهال الأوابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع إليه المشركون
يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا
ويطيعوا وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم
تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون
وجنود إبليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين
إذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا إلا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين
وإن ربك لهو العزيز الرحيم الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون إليها و
يغتبطون بأنهم المحشورون إليها والنار تكون بارزة مكشوفة للأشقياء بمرأى منهم
يتحسرون على أنهم المسوقون إليها قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد
وقال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ثم يجمع الله عليهم الغموم كلها و
الحسرات فيجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غماً في كل لحظة ويوبخون على إشراكهم
فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم
لأنهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم أي الآلهة والغاوون

وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلاً على
التكرير في المعنى كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم
أجرنا منها يا خير مستجار وجنود إبليس شياطينه أو متبعوه من عصاة الإنس والجن
ويجوز أن ينطق الله الأصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجري ذلك بين العصاة
والشياطين والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا إنا أطعنا
سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وعن السدي الأولون الذين اقتدينا بهم وعن
ابن جريج إبليس وابن آدم القاتل لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصي فما لنا من
شافعين كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق حميم كما نرى المؤمنين
لهم أصدقاء لأنه لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادي
والتباغض قال الله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين أو فما لنا
من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء لأنهم كانوا
يعتقدون في أصنامهم أنها شفعاؤهم عند الله وكان لهم الأصدقاء من شياطين
الإنس أو أرادوا أنهم وقعوا في مهلكة علموا أن الشفعاء والأصدقاء لا ينفعونهم ولا
يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لأن ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم
والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة
وهو الصديق الخاص **فإن قلت** لم جمع الشافع ووحد الصديق قلت لكثرة
الشفعاء في العادة وقلة الصديق ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت
جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة
وأما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما يهمك فأعز من بيض الأنوق
وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز أن يريد بالصديق
الجمع صح الأنوق بفتح الهمزة الرخمة يقال في المثل أعز من بيض الأنوق يضرب لما
لا يكاد يوجد لأنها تحرز بيضها في رؤوس الجبال فلا يظفر به وقد أحسن من قال في عزة
الصديق الصادق

لما تعبدت بني الزمان فلم أجد خلاً وفياً للشدائد أصطفي
أيقنت أن المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل الوفي

ف الكرة الرجعة إلى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كأنه قيل فليت لنا كرة
وذلك لما بين معنيي لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز أن تكون على أصلها ويحذف الجواب
وهو لفعلنا كيت وكيت كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون
إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري

الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظير
قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة
وبرد وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم
ومنه بيت الحماسة

لا يسألون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش واطيعون في نصحي لكم وفيما ادعوكم
اليه من الحق عليه على هذا الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاءه ونصحه ومعنى
فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع
تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم
قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على
ربي لو تشعرون وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير مبين وقرئ واتباعك
جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال والواو للحال وحقها ان تضمر بعدها قد
في واتبعك وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم اراذلنا والرذالة
والنذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل
كانوا من اهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت
قريش تقول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت اتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم
وامارتهم الا ترى الى هرقل حين سأل ابا سفيان عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء
الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس هم الغاغة وعن
عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة وما علمي واي شيء علمي والمراد انتفاء علمه
باخلاص اعمالهم واطلاعه على سرائرهم وباطنهم وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم
في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة انما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم
في قوله الذين هم اراذلنا بادي الرأي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الاراذلين
بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة
عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظاهر دون التفتيش عن اسرارهم
والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر
لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتساقون مع الجهل حيث يسير بكم
وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم
نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما انا بطارد المؤمنين يريد ليس
من شأني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم

وما علي الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل
ثم انتم اعلم بشأنكم قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي
كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين فانجيناه ومن معه
في الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة
اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما غاظوني واذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل
دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح
الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات الفلك السفينة وجمعه
فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد كسروا
فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا اسد واسد
وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد
بوزن كناز والجمع بوزن كرام والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا كذبت
عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل
ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين
فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات
وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قرئ بكسر الراء وفتحها ريع وهو المكان المرتفع
قال المسيب بن علس

في الآل يرفعها ويخفضها ريع يلوح كانه سحل

ومنه قولهم كم ريع ارضك اي ارتفاعها والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في
اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم
وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون
لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد الى الارض وفي حرف ابي
كانكم تخلدون وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا واذا بطشتم بسوط او سيف كان ذلك ظلما وعلوا
وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب
لا تتثبتون متفكرين في العواقب بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا
بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم
المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر
على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد

فان قلت كيف قرن البنين بالانعام قلت هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها
قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما
نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم فان قلت لو قيل اوعظت ام لم تعظ كان اخصر و
المعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا
الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم
بوعظه من قولك ام لم تعظ من قرا خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق
الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية
نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرا خلق بضمتين وبواحدة
فالمعنى ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينون
به ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت
الا عادة لم يزل الناس عليها من قديم الدهر او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة
الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر
ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا امنين في جنات وعيون وزروع
ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين فاتقوا الله واطيعون
ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون اتتركون يجوز
ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة
في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة فيما
ههنا الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وهذا
ايضا اجمال ثم تفصيل فان قلت لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول
النخل اول شيء كما تتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة
ولا يقصدون الا النخل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير

كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا

قلت فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده
عنها بفضله عليها وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل
الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج
من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم
وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفا وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون

فذكرهم نعمة الله في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني
اجوده واطيبه ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت
من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم
اللين النضيج كانه قيل ونخل قد ارطب ثمره وقرا الحسن وتنحتون بفتح الحاء وقرى
فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامتثال
الامر وارتسامه طاعة الامر المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد
الامر ومنه قولهم لك علي امرة مطاعة وقوله تعالى اطيعوا امري فان قلت
ما فائدة قوله ولا يصلحون قلت فائدته ان فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح
كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة بالصلاح قالوا انما انت من المسحرين ما انت
الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم
شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها
فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو
من السحر الرئة وانه بشر الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من
السقي والقوت وقرى بالضم روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة
فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل
فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى الاشعري
ذريعت
رايت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت
ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء بسوء بضرب او عقر او غير ذلك عظم اليوم
لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه
كان موقعه من العظم اشد روي ان مصدعا الجاها الى مضيق في شعب فرماها
بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى
ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون على المراة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك
صبيانهم فان قلت لم اخذهم العذاب وقد ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين
ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور رايا فاسدا
ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي او ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة
وذلك عند معاينة العذاب وقال عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الاية
وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب اشارة الى عذاب
يوم عظيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول

أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين
أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم
قوم عادون أراد بالعالمين الناس أي أتأتون من بين أولاد آدم على فرط كثرتهم
وتفاوت أجناسهم وغلبة إناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كأن الإناث قد
أعوزتكم أو أتأتون أنتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني أنكم يا قوم
لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان
من أزواجكم يصلح أن يكون تبيينا لما خلق وأن يكون للتبعيض ويراد بما خلق
العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم وكأنهم
كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد و
معناه أترتكبون هذه المعصية على عظمها بل أنتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا
من جملة ذاك أو بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه
العظيمة قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال إني لعملكم من القالين
رب نجني وأهلي مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين
ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين إن في ذلك لآية وما
كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح
أمرنا لتكونن من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا
يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال من تعنيف به واحتباس لأملاكه كما يكون حال
الظلمة إذا أجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة
ومن القالين أبلغ من أن يقول لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون أبلغ من
قولك فلان عالم لأنك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته
لهم في العلم ويجوز أن يريد من الكاملين في قلاكم والقلا البغض الشديد كأنه
بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلا من حيث
الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله تعالى حتى تقرب كراهته للمعاصي
من الكراهة الجبلية مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل أن يريد
بالتنجية العصمة **فإن قلت** فما معنى فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا
قلت معناه أنه عصمه وأهله من ذلك إلا العجوز فإنها كانت غير معصومة منه
لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية في حكم العاصي
فإن قلت كان أهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت
الكافرة منهم قلت الاستثناء إنما وقع من الأهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة

بحق الأزواج وإن لم يشاركهم في الدنيا **فإن قلت** في الغابرين صفة لها كأنه قيل إلا عجوزا
غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه إلا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى
الغابرين في العذاب والهلاك غير أنها حين قيل إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر
عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم وأما الأمطار فعن قتادة أمطر الله
على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه
مطرا من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم إنما هو
للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال
لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم
عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين
وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض
مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين قرئ أصحاب الأيكة بالهمزة
وبتخفيفها وبالجر على الإضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن
ليلة اسم بلد فتوهم أدى إليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي
سورة ص بغير ألف وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وإنما
كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب أصحاب النحو لان ولولى على هذه الصورة
لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة واحدة على أن ليكة
اسم لا يعرف وروي أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم
فإن قلت هلا قيل أخوهم شعيب كما في سائر المواضع قلت قالوا إن شعيبا لم يكن من
أصحاب الأيكة وفي الحديث أن شعيبا أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة الكيل على
ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء ونهى عن المحرم الذي هو
التطفيف ولم يذكر الزائد وكأن تركه عن الأمر والنهي دليل على أنه إن فعله فقد أحسن
وإن لم يفعله فلا عليه قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون
فإن كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس وإلا فهو رباعي وقد
قيل هو بالرومية العدل يقال بخسته حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للمكس البخس
وهو عام في كل حق ثبت لأحد أن لا يهضم وفي كل ملك أن لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف
منه ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفا شرعيا يقال عثا في الأرض وعاث وذلك نحو قطع
الطريق والغارة وإهلاك الزرع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فنهوا
عن ذلك وقرئ الجبلة بوزن الأبلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد أي ذوي الجبلة
وهو كقولك والخلق الأولين قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن

نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم
بما تعملون فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم **فان قلت** هل
اختلف المعنى بادخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود قلت اذا دخلت الواو فقد قصد معنيان
كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا
ولا يجوز ان يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا
ثم قرر بكونه بشرا مثلهم **فان قلت** ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على
فعل الظن وثاني مفعوليه قلت اصلهما ان تتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيدا
لمنطلق فلما كان البابان اعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل
ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا قرئ كسفا بالسكون
والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة
وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة وما كان طلبهم لذلك الا لتصميمهم
على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا
ان يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء ربي
اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فان اراد ان
يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا اخر فاليه الحكم والمشية فاخذهم
الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان اراد والسماء السحاب وان اراد والمظلة
فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد
فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا شراب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية
فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي
ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل
واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة **فان قلت** كيف كرر في هذه السورة في اول
كل قصة واخرها ما كرر قلت كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في
غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما
اختتمت به وفي التكرير تقرير للمعاني في الانفس وتثبيت لها في الصدور الا ترى انه
لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان امكن
له في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص
طرقت بها اذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ
والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق ذهنا

او يصقل عقلا طال عهده بالصقال او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا وانه
لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان
عربي مبين وانه لفي زبر الاولين والله وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه
القصص والايات والمراد بالتنزيل المنزل والباء في نزل به الروح ونزل به الروح
على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك اي
حفظكه وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى
بلسان اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا
اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد عليهم السلام واما ان يتعلق
بنزل فيكون المعنى نزله بلسان عربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان العجمي لتجافوا
عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان
تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه ويفهمه
قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانه يسمع اجراس حروف
لا يفهم معانيها ولا يعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي
لقنها اولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا
يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها
كان نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان
عربي مبين وانه وان القران يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل
ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة رح في جواز القراءة بالفارسية في الصلوة
على ان القران قران اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون
معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلعم وكذلك في ان يعلمه وليس بواضح اولم
يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه
عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به
حتى يروا العذاب الاليم فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن
منظرون افبعذابنا يستعجلون افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا
يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون قرئ يكن بالتذكير واية بالنصب على
انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتانيث وجعلت اية اسما وان يعلمه خبرا وليست
كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه اخر ليتخلص من
ذلك فقيل في تكن ضمير القصة واية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا
ان يكون لهم اية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا عن اية ويجوز مع نصب الاية تاء

تانيث بكى كقوله لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ومسه ست لبيد

فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها

وقرى تعلمه بالتا وعلما بني اسرايل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين **فان قلت** كيف خط في المصحف علمؤا بني اسرايل بواو قبل الالف قلت خط على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة يا النسبة زيادة تاكيد وقرا الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفهمون كلامه قيل له اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهايم والطيور وغيرها اعجم قال حميد

فلم ار مجزونا له مثل صوتها ولا عربيا شاقه صوت اعجما

سلكناه ادخلناه ومكناه والمعنى انا انزلنا هذا القران على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علما الكتب المنزلة قبله على ان البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير الاولين كما زعموا فلم يومنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترايه ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقراه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر والتكذيب له وضعناه فيها فكيف ما فعل بهم وصنع وعلى اي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين **فان قلت** كيف اسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته قلت اراد الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم اشد التمكن واثبته فجعله بمنزلة امر قد جبلوا عليه وفطروا الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لان الامور الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله لا يومنون به **فان قلت** ما موقع قوله لا يومنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه

فيها غير مومن به وقرا الحسن فتاتيهم بالتا يعني الساعة وبغتة بالتحريك وفي حرف ابي ويروه بغتة **فان قلت** ما معنى التعقيب في قوله فياتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رويه العذاب ومفاجاته وسوال النظرة فيه في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل لا يومنون بالقران حتى تكون رويتهم للعذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة فما هو اشد منه وهو سوالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسات مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسي وانه يحصل له بسبب الاساة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم تقع في هذا الاسلوب فيحل موقعه افبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسال فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يوميذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه اخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كاين ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال عز وعلا افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزا واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينيذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاه فقال عظني فلم يزد على تلاوة هذه الاية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت وقرى يمتعون بالتخفيف

وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين

منذرون رسل ينذرونهم ذكرى منصوب بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة واما لانها مفعول له على معنى انهم ينذرون لاجل التذكرة والموعظة او مرفوعة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها ووجه اخر وهو ان يكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا

بعضوا امثل غضبا نهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول
فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله وما اهلكنا
من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لانها صفة لقرية واذا زيدت
فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم ﴿ كانوا يقولون ان
محمدا كاهن وما ينزل عليه من جنس ما ينزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما
لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن
استماع كلام اهل السماء وقرا الحسن الشياطون ووجهه انه راى اخره كاخر يبرين و
فلسطين فتخير بين ان يجري الاعراب على النون وبين ان يجريه على ما قبله فقال الشياطين
والشياطون كما تخيرت العرب بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين
وحقه ان يشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ في
قراءته الشياطون ظن انها النون التي على هجائين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول
العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع انا
نعلم انهما لم يقرآ به الا وقد سمعا فيه ﴿ فلا تدع مع الله الها آخر ﴾ قد علم ان ذلك لا
يكون ولكنه اراد ان يحرك منه لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين
كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان كنت في شك مما انزلنا اليك وانذر عشيرتك
الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين فان عصوك فقل اني
بريء مما تعملون فيه وجهان ان يومر بانذار الاقرب من قومه فالاقرب
ويبدا في ذلك بمن هو اولى بالبداية به ثم من يليه وان يقدم انذارهم على انذار غيرهم
كما روي عنه عليه السلام لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين واول
ما اضعه ربا العباس والثاني ان يومر ان لا ياخذه ما ياخذ القريب للقريب من العطف
والرافة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف وروي انه صعد الصفا لما نزلت فنادى
الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس
عم النبي يا صفية عمة النبي رسول الله صلعم اني لا املك لكم من الله شيئا سلوني من مالي
ما شئتم وروي انه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم ياكل
الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا وشربوا حتى صدروا
ثم انذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي
قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم
يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عايشة بنت ابي بكر
ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني

لا اغني عنكن شيئا **تنبيه** هذه الرواية الاخيرة لا صحة لها لان الاية مكية بالاجماع
وانما بنى رسول الله صلعم بعايشة وتزوج حفصة بالمدينة كما هو معروف ولم تثبت هذه
الرواية مذكورة في شيء من كتب الحديث المعتمدة والله اعلم ح قوله يا عايشة بنت
ابي بكر بضم عايشة ونصب بنت ولا يجوز في نحو هذا من الاتباع ما جاز في نحو زيد
بن عمرو وما جاز في نحو عايشة ابنة ابي بكر منه وذلك لان بنت لم يكثر استعمالها كما
كثر استعمال ابنة فلم يجر في الموصوف ببنت من الاتباع ما جاز في الموصوف بابنة يعني
ضمها ولم يجر فتحها اتباعا عند جمع ابنه هذه الصفة ع ابن عباس قال لما نزلت
وانذر عشيرتك الاقربين صعد رسول الله صلعم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر
يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا
لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد
ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا فنزلت تبت يدا ابي لهب
وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب هذه رواية البخاري ومسلم ﴿ ابو هريرة قال قام
رسول الله صلعم حين انزل الله عز وجل وانذر عشيرتك الاقربين قال يا معشر قريش
او كلمة نحوها اشتروا انفسكم لا اغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من
الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله لا
اغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا اغني عنك من
الله شيئا وفي رواية نحوه ولم يذكر بني عبد مناف وذكر بدلهم بني عبد المطلب هذه رواية
البخاري ومسلم وفي الحديثين روايات اخر نحو ما ذكر والله اعلم ف الطاير اذا اراد
ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل
خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم

وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلا

ينهاه عن التكبر بعد التواضع **فان قلت** المتبعون للرسول هم المومنون
والمومنون هم المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المومنين قلت فيه
وجهان ان يسميهم قبل الدخول في الايمان مومنين لمشارفتهم ذلك وان يريد بالمومنين
المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله صلعم فيما جاء به وصنف
ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق و
الفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المومنين من عشيرتك الاقربين وغيرهم
يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرا
منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين

وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم وتوكل على الله يكفيك شر من يعصيك
منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره
وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله تعالى فعلى
هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول
دفع ما نزل به بمعصية الله وفي مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرأ نافع
وابن عامر وله محملان في العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع على العزيز الرحيم
على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك برحمته ثم اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من
اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه
في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر امرهم
وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة
ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير
الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين
المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلوة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه
فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سأل ابا حنيفة رضي
هل تجد الصلوة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضرني فتلا هذه الآية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك
كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين انه هو السميع لما تقوله العليم
بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله عليه السلم اتموا الركوع والسجود
فوالله اني لاراكم من خلف ظهري اذا ركعتم وسجدتم وقرئ ويقلبك هل انبئكم على من تنزل
الشياطين تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون كل افاك اثيم هم
الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل
ان حجبوا بالرجم يسمعون الى الملأ الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه
من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم من اولئك واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم
يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اي المسموع من الملائكة وقيل الافاكون
يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين ما
لم يوحوا اليهم وترى اكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها
في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقر الصب فان قلت كيف دخل
حرف الجر على من المتضمنة معنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام الا ترى الى قولك
اعلى زيد مررت ولا تقول على زيد امررت قلت ليس معنى التضمن ان الاسم دل على معنيين
معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر

الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل كما قال الشاعر
سائل فوارس يربوع بشدتنا اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم
فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كأنك تقول اعلى
من تنزل الشياطين كقولك اعلى زيد مررت فان قلت يلقون ما محله قلت يجوز
ان يكون في محل النصب على الحال اي تنزل عليهم ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك
لانه في معنى الجمع وان لا يكون له محل بان يستأنف كأن قائلا قال لم تنزل على الافاكين
فقيل يفعلون كيت وكيت فان قلت كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد ما قضى
عليهم ان كل واحد منهم افاك قلت الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك
على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن
الجني واكثرهم مفتر عليه فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به
الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن اخوات قلت اريد التفريق
بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع الى المجيء بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة
فيدل بذلك على ان المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله
ان يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن
الرجوع اليه عن عائشة قالت سأل رسول الله صلعم عن الكهان فقال ليسوا بشيء قالوا
يا رسول الله انهم يحدثونا احيانا بالشيء فيكون حقا فقال رسول الله صلعم تلك الكلمة من
الحق يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة زاد في رواية فيقرقرها
في اذن وليه كقرقرة الدجاجة وفي رواية فيقرها في اذن وليه قر الدجاجة اخرجه البخاري
ومسلم وفي معناه احاديث اخر والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد
يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا
الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون
والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول
قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والنسيب بالحرم والغزل
والابتهار ح وهو ادعاء اتيان المرأة كذبا بهتا ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن
ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون
الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن
ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت
قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون
اشعارهم واهاجيهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره

الفاحش قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النضب فراحماله الحطب والسارق والسارقة
وسودة ابنة زمعة ... وقد يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها بالبعة
بعضد ح قال المص لما غيروا في عضد الضمة ودا فعة بعد الفتحة فلان يغيرها واقعة
بعد الكسرة اولى ف ذكر الواوي والهجوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول
واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا
أجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وبهتوا البري ويفسقوا التقي وعن الفرزدق
ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبي مصرعات وبت أفض أغلاق الختام

فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المومنين قد درأ الله عني الحد بقوله وانهم يقولون
ما لا يفعلون ثم استثنى الشعراء المومنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة
القرآن وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله و
الثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلعم و
الصحابة وصلحاء الامة وما لا باس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون
بشائبة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله
الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله
تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد ان رجلا
من العلوية قال له ان صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا باس به والقول
فيه ان الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين
عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون
عن رسول الله صلعم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلعم قال
له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان بن ثابت
قل وروح القدس معك ع كعب بن مالك قال ان رسول الله صلعم قال ان من الشعر حكمة
اخرجه البخاري ومسلم وللترمذي مثله من رواية ابن مسعود وله ولابي داود مثله
من رواية ابن عباس وقال حكما ع عايشة قالت كان رسول الله صلعم يضع لحسان
منبرا في المسجد يقوم قايما يفاخر عن رسول الله صلعم او ينافح هذه رواية البخاري ولابي
داود والترمذي نحوه ع عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت رسول الله صلعم يوما
فقال هل معك شي من شعر امية بن ابي الصلت قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه
فانشدته بيتا فقال هيه فانشدته بيتا فقال هيه حتى انشدته مائة بيت وفي رواية نحوه
وزاد فقال رسول الله صلعم ان كاد ليسلم وفي اخرى لقد كاد يسلم في شعره اخرجه مسلم

جابر بن سمرة قال جالست رسول الله صلعم اكثر من مائة مرة فكان اصحابه يتناشدون الشعر
ويتذاكرون اشيا من الجاهلية وهو ساكت فربما تبسم معهم اخرجه الترمذي ع البراء ان
رسول الله صلعم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك اخرجه البخاري ومسلم ع
عايشة قالت استاذن حسان رسول الله صلعم في هجاء المشركين فقال رسول
الله صلعم فكيف بنسبي فقال حسان لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين وفي رواية
قال حسان يا رسول الله ايذن لي في ابي سفين بن الحرث بن عبد المطلب قال كيف بقرابتي
منه قال والذي اكرمك لاسلنك كما تسل الشعرة من العجين فقال حسان

ان سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
وانت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

بعده
قصيدته هذه اخرجه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد عليها من
رشق النبل فارسل الى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض ثم ارسل الى كعب بن مالك
ثم ارسل الى حسان بن ثابت فلما دخل حسان قال قد آن لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد
الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك بالحق لافرينهم بلساني فري
الاديم فقال رسول الله صلعم لا تعجل فان ابا بكر اعلم قريش بانسابها وان لي فيهم نسبا
حتى يخلص لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع فقال والذي بعثك بالحق لاسلنك منهم كما تسل الشعرة
قالت عايشة فسمعت رسول الله صلعم يقول لحسان ان روح القدس لا يزال يويدك ما نافحت
عن الله ورسوله وقالت سمعت رسول الله صلعم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى قالت
حسان قصيدة منها قوله

الا ابلغ ابا سفين عني فانت مجوف نخب هواء
هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء
فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
وجبريل امين الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

ح روي ان النبي صلعم لما سمع قوله وعند الله في ذاك الجزاء قال جزاك الله الجنة وعند قوله
لعرض محمد منكم وقاء قال وقاك الله النار والله اعلم ع ابو هريرة ان رسول الله صلعم قال لان
يمتلي جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتلي شعرا اخرجه البخاري ومسلم والترمذي
واخرجه ابو داود ولم يذكر حتى يريه واخرج البخاري مثله من رواية ابن عمر واخرج مسلم
والترمذي مثله من رواية ابي وقاص وفي حديث اخرجه مسلم والنسائي مثله من رواية
الخدري وذكر رزين في كتابه قال وزاد النسائي روايته عن عايشة هجيت به وانكر بت

معنى هذه الزيادة ولم اجد هذه الزيادة ولا الحديث باسره في كتاب النسائي الذي قرأته
ولعله قد وقع له في بعض النسخ فاثبته انتهى وفي الوسيط للواحدي عن كعب بن مالك
انه قال يا رسول الله ماذا تقول في الشعر فقال ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي
بيده لكأنما تنضحونهم بالنبل وعن عائشة انها كانت تقول الشعر كلام فمنه حسن ومنه
قبيح فخذ الحسن ودع القبيح ولقد رويت اشعارا منها القصيدة اربعون بيتا ودون ذلك
وعن الشعبي قال كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي اشعر الثلاثة
رضوان الله عليهم ف ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء اهيب منه واهول ولا انكى
لقلوب المتأملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد
البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها
ابو بكر لعمر حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون
شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الامن خير من ان تأمن فتبلغ
الخوف وقرأ ابن عباس اي منفلت ينفلتون ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا
من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا
ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين
ظلموا والله اعلم بالصواب

سورة النمل مكية وهي ثلاث وقيل اربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم
اعمالهم فهم يعمهون اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم
الاخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم طس قرئ بالتفخيم والامالة
تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين اما اللوح المحفوظ وابانته انه قد خط فيه
كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة واما السورة واما القرآن وابانتهما انهما
يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازهما ظاهر مكشوف
واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف
الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان قلت لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم
بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر فان قلت
ما وجه عطفه على القرآن اذا اريد به القرآن قلت كما تعطف احدى الصفتين
على الاخرى كقولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك

المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل تلك الآيات
آيات المنزل المبارك واي كتاب مبين وقرأ ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على
تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قلت
ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قلت لا فرق بينهما الا
ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار
مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله وقولوا
حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله شهد الله انه لا
اله الا هو والملائكة واولوا العلم هدى وبشرى في محل النصب او الرفع فالنصب
على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة والرفع
على ثلثة اوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى ان يكون خبرا بعد
خبر اي جمعت انها آيات وانها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين انها
زائدة في هداهم قال الله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا فان قلت
وهم بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله قلت يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول
ويحتمل ان تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون
الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه
انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة
حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة
يحملهم على تحمل المشاق فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد
اسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق
وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله تعالى مجاز وله طريقان في
علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من
المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام
الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح
والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين
لهم بذلك اعمالهم واليه اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم
حتى نسوا الذكر والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة
للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات وقيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم
ان يعملوها زينها الله لهم فعموا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه التحير والتردد

كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط
فقال رأيت الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم سوء العذاب
القتل والاسر يوم بدر والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو امنوا لكانوا من
الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله تعالى لتلقى القرآن
لتؤتاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الاية بساط
وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق
علمه اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم
تصطلون فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين
يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم والق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى
مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل
حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء
في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة
قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان
عاقبة المفسدين اذ منصوب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بعليم روي انه لم يكن مع موسى عليه
غير امرأته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا
ح قوله وهو قوله امكثوا ليس في هذه الاية وانما هو في طه ف الشهاب الشعلة والقبس
النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل
القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به في حال الطريق لانه كان قد ضله
فان قلت سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترج والاخر
تيقن قلت قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة
فان قلت كيف جاء بسين التسويف قلت عدة لاهله انه يأتيهم به وان ابطأ او
كانت المسافة بعيدة **فان قلت** لم جاء باو دون الواو قلت بنى الرجاء على
انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار
ثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه
ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الاخرة ان هي
المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك من في النار **فان قلت**
هل يجوز ان تكون هي المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك والضمير ضمير
الشأن قلت لا لانه لا بد من قد **فان قلت** فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة

لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول
مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى
نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ويدل عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن
حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها
حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله موسى عليه السلام واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه
ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله ذلك الخير في اقاصيها ويبث آثار يمنه
في اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك
فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض
وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام لقد جعل الله ارض الشام موسومة
بالبركات في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان
تكون كذلك فهي مبعث الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم
احياء وامواتا **فان قلت** فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه قلت
هي بشارة له بانه قد قضي امر عظيم تنتشر في ارض الشام كلها البركة وسبحان الله رب
العالمين تعجيب لموسى من ذلك وايذان بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين
تنبيها على ان الكائن من عظائم الامور وجلائل الشؤون والهاء في انه يجوز ان يكون
ضمير الشأن والشأن انا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون
راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان
للمبين وهذا تمهيد لما اراد ان يظهره على يده من المعجزات يريد انا القوي القادر
على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير
فان قلت علام عطف قوله والق عصاك قلت على بورك لان المعنى نودي
ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك
من في النار وقيل له الق عصاك والدليل على ذلك قوله عز وجل وان الق عصاك بعد قوله
ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان
شئت ان حج واعتمر وقرأ الحسن جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين
فقال دأبة وشأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين ولم يعقب ولم يرجع يقال
عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال

فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون والا
بمعنى لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطروء الشبهة فاستدرك

ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرطت
من ادم ويونس وداود وسليمن واخوة يوسف ومن موسى بوكزه القبطي ويوشك
ان يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف ماخذها
وسماه ظلما كما قال موسى عليه السلم رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسوء حسن التوبة
وقبح الذنب وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا
في تسع ايات كلام مستانف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع ايات
الى فرعون ونحوه

فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم نحسد الانس الطعاما

ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع الايات اي في جملة تسع
ايات اي في جملة تسع ايات وعدادهن ولقايل ان يقول كانت الايات احدى عشرة ثنتان
منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم • المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار
لها وهو في الحقيقة لمتاملها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها
ويجوز ان يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة اولي العقل وان يراد ابصار
فرعون وملائه لقوله واستيقنتها انفسهم او جعلت كانها تبصر فتهتدي لان العمي
لا تقدر على الاهتدا فضلا ان تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة
الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلا الا رب
السموات والارض بصاير فوصفها بالبصارة كما وصفها بالابصار • وقرا علي بن
الحسين وقتادة مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة اي مكانا يكثر فيه التبصر •
الواو في واستيقنتها انفسهم واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع عن
الايمان بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين
مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا وفايدة
ذكر الانفس انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمايرهم والاستيقان
ابلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين واي ظلم افحش من ظلم من اعتقد واستيقن
انها ايات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة
فيه ولقد اتينا داود وسليمن علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على
كثير من عباده المومنين وورث سليمن داود وقال يايها الناس علمنا
منطق الطير واوتينا من كل شي ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمن
جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا اتوا على واد

النمل قالت نملة يايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده
وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك
التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين علما طايفة من العلم او علما سنيا غزيرا **فان قلت**
اليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن
عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشي من مواجبه
فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد اتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا
حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يوت
علما او من لم يوت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الاية
دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل
النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال
والذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلعم ورثة الانبيا الا لمداناتهم
لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه
النعمة الفاضلة لوازم منها ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم
وفيها التذكير بالتواضع وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير
مثلهم وما احسن قول عمر رضه كل الناس افقه من عمر • ورث منه النبوة
والملك دون ساير بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود اكثر تعبدا وسليمن
اقضى واشكر لنعمة الله تعه قال يايها الناس تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا
بمكانها ودعا للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك
مما اوتيه من عظايم الامور والمنطق كلما يصوت به من المفرد والمولف المفيد
وغير المفيد وقد ترجم يعقوب بن السكيت كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا
مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته و
الذي علمه سليمن من منطق الطير هو ما يفهمه بعضه من بعض من معانيه واغراضه
ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما
يقول فقالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا • وصاحت
فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان
وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت
وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول
سبحان ربي الاعلى مل سمايه وارضه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال

الحدا تقول كل شيء هالك إلا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا
همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت
والعقاب يقول في البعد من الناس أنس والضفدع تقول سبحان ربي القدوس و
أراد بقوله من كل شيء كثرة ما أوتي كما تقول فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء تريد
كثرة قصاده ورجوعه إلى غزارة في العلم واستكثاره منه ومنه قوله وأوتيت من كل
شيء إن هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله
صلعم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكرا ولا أقوله فخرا **فإن قلت**
كيف قال علمنا وأوتينا وهو من كلام المتكبرين قلت فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسه
وأباه والثاني أن هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل
طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك
وتفخيمه وإظهار آيينه وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلعم
يفعل نحوا من ذلك إذا وفد عليه وفد واحتاج إلى أن يرجح في عين عدو ألا ترى كيف
أمر العباس بأن يحبس أبا سفيان حتى تمر عليه الكتائب وروي أن معسكره كان مائة فرسخ
في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير
وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة
وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وإبريسم فرسخا في فرسخ وكان
يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب ويقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب
وفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول
الناس الجن والشياطين وتظلله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا
البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء
تسيره فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك أن لا يتكلم
أحد بشيء إلا ألقته الريح في سمعك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتي آل داود
ملكا عظيما فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال إنما مشيت إليك لئلا تتمنى
ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما أوتي آل داود ○ يوزعون
يحبس أولهم على آخرهم أي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي
فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة قيل هو واد بالشام كثير
النمل **فإن قلت** لم عدي أتوا بعلى قلت يتوجه على معنيين أحدهما أن إتيانهم
كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب

ولشد ما جاورت قدرك صاعدا ولشد ما قربت عليك الأنجم

لما كان قربا من فوق والثاني أن يكون المراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم

أتى على الشيء إذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادي لأنهم
ما دامت الريح تحملهم في الهوى لا يخاف حطمهم وقرئ نملة يا أيها النمل بضم الميم وبضم
النون والميم وكان الأصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف
عنه كقولهم السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا أيها النمل
الآية فسمع سليمن كلامها من ثلثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة أنه دخل
الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة حاضرا وهو غلام
حدث فقال سلوه عن نملة سليمن أكانت ذكرا أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة
كانت أنثى فقيل له من أين عرفت ذلك فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت
ذكرا لقال قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى
فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي ح قلت فهذا
نظر لجواز أن يكون ذكرا وإنما أنث الفعل المسند إليها باعتبار اللفظ لأن أهل النحو قد نصوا
على جواز غردت حمامة ذكر وعندي ثلث من البط ذكور اعتبارا للفظ ولا يجوز مثل
ذلك في علم المذكر الذي فيه علامة التأنيث كطلحة لا يقال قالت طلحة إلا عند الكوفيين
وعدم السماع مع الاستقراء فاض عليهم ف وقرئ مسكنكم وقرئ لا يحطمنكم بتخفيف
النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح وكسرها وأصله يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا
لهن كما يكون في أولي العقل أجرى خطابهن مجرى أولي العقل خطابهم **فإن قلت**
لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل أن يكون جوابا للأمر وأن يكون نهيا بدلا من الأمر والذي
جوز أن يكون بدلا منه أنه في معنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم على طريقة لا أرينك ههنا
أراد لا يحطمنكم جنود سليمن فجاء بما هو أبلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن إشفاقها ومعنى
تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك وكذلك
ضحك الأنبياء وأما ما روي أن النبي صلعم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في
وصف ما وجد منه من الضحك النبوي وإلا فبدو النواجذ على الحقيقة إنما يكون عند الاستغراق
وقرأ ابن السميفع ضحكا **فإن قلت** ما أضحكه من قولها قلت شيئان إعجابه بما دل
من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب
التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني أنهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه
الله مما لم يؤت أحدا من إدراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في
الصغر والقلة ومن إحاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما أنعم
به عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى وحقيقة أوزعني
اجعلني أزع شكر نعمتك عندي وأكفه وأرتبطه لا ينفلت عني حتى لا أنفك شاكرا لك

وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة
الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المومنين لهما
كلما دعوا له فقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي ان النملة احست بصوت الجنود
ولا يعلمون انهم في الهوى فامر سليمن الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن
ثم دعا بالدعوة ومعنى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من اهل الجنة
عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال كان داود عليه السلم فيه غيرة شديدة وكان
اذا خرج اغلقت الابواب فلم يدخل على اهله احد حتى يرجع فخرج ذات يوم وغلقت الابواب
فاقبلت امراة تطلع الى الدار فاذا رجل قايم وسط الدار فقالت لمن في البيت من اين دخل هذا
الرجل والدار مغلقة ولتفتضحن بداود فجا داود عليه السلم واذا الرجل قايم وسط الدار
فقال له داود من انت فقال انا الذي لا يهاب الملوك ولا يمتنع من الحجاب فقال له داود
انت اذن والله ملك الموت مرحبا بامر الله فوقف داود مكانه حتى قبضت نفسه
حتى فرغ من شانه فقال سليمن عليه السلم للطير اظلي على داود فاظلت عليه الطير حتى اظلمت
عليه الارض فقال لها سليمن عليه السلم اقبضي جناحا قال ابو هريرة يا رسول الله كيف فعلت
الطير فقبض رسول الله صلعم يده وغلبت عليه يوميذ المضرحية رواه احمد قال ابو الفرج
بن الجوزي المضرحية النسور الحمر وعن ابي الصديق الناجي قال خرج سليمن يستسقي
فاذا هو بنملة مستلقية على ظهرها رافعة قوايمها الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق
من خلقك لا غنا بنا عن سقياك وان لا تسقنا تهلكنا فقال سليمن عليه السلم ارجعوا فقد سقيتم
بدعوة غيركم رواه ابن ابي حاتم وفي الصحيحين عن النبي صلعم قال قرصت نبيا
من الانبيا نملة فامر بقرية النمل فاحرقت فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة اهلكت
امة من الامم تسبح فهلا نملة واحدة انتهى وفي الوسيط للواحدي عن ابي هريرة
قال نزل كتاب من السماء الى داود عليه السلم مختوم فيه عشر مسايل ان سل ابنك سليمن
فان هو اخرجهن فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود عليه السلم سبعين قسا وسبعين حبرا
واجلس سليمن بين ايديهم وقال يا بني نزل كتاب من السماء فيه عشر مسايل امرت
ان اسالكهن فان انت اخرجتهن فانت الخليفة من بعدي فقال سليمن ليسال نبي الله عما
بدا له وما توفيقي الا بالله قال اخبرني يا بني ما ابعد الاشيا وما اقرب الاشيا وما
انس الاشيا وما اوحش الاشيا وما القايمان وما المختلفان وما المتباغضان وما
الامر اذا ركبه حمد اخره وما الامر اذا ركبه الرجل ذم اخره قال سليمن عليه السلم اما
اقرب الاشيا فالاخرة واما ابعد الاشيا فما فاتك من الدنيا واما انس الاشيا فجسد
فيه روح واما اوحش الاشيا فجسد لا روح فيه واما القايمان فالسما والارض

واما المختلفان فالليل والنهار واما المتباغضان فالموت والحيوة كل يبغض صاحبه واما
الامر اذا ركبه الرجل حمد اخره فالحلم عند الغضب واما الامر اذا ركبه الرجل ذم اخره
فالحدة على الغضب قال ففك الخاتم فاذا فيه هذه المسايل سوا على ما نزل من السما سوا
قال القسيسون والاحبار لن نرضى حتى نسال له نحن مسلة فان هو اخرجها فهو الخليفة
من بعدك قال سليمن سلوني وما توفيقي الا بالله قالوا ما الشي اذا اصلح من
الانسان صلح كل شي منه واذا فسد فسد كل شي منه قال هو القلب اذا صلح صلح كل شي
منه واذا فسد فسد كل شي منه فقالوا صدقت انت الخليفة بعده ودفع اليه داود
قضيب الملك ومات من الغد وعن محمد بن جعفر بن محمد عن ابيه قال اعطي سليمن بن
داود ملك مشارق الارض ومغاربها فملك سبعماية سنة وستة اشهر ملك اهل الدنيا
كلهم من الجن والانس والشياطين والدواب والطير والسباع واعطي علم كل شي و
منطق كل شي وفي زمانه صنعت الصنايع المعجبة التي سمع بها الناس وذلك قوله علمنا
منطق الطير واوتينا من كل شي وملك سبعماية سنة وستة اشهر فيه نظر لان
المذكور في كتب التاريخ ان عمر سليمن عليه السلم انما كان نيفا وخمسين سنة ... وعن
عمر قال قال رسول الله صلعم الديك الابيض صديقي وصديق صديقي وعدو عدوي
قالوا فما تقول الديكة اذا صاح قال يقول اذكروا الله يا غافلين قال اهل المعاني ومعرفة
النملة سليمن معجزة له الهمها الله معرفته حتى عرفته وحذرت النملة خطمه وهو قولها
يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده والنمل تعرف
كثيرا من منافعها منها انها تكسر الحبة بقطعتين لئلا تنبت الا الكزبرة فانها تكسرها
باربع لانها تنبت اذا كسرت قطعتين وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد
ام كان من الغايبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتيني بسلطان
مبين فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجيتك من سبا بنبا يقين
اني وجدت امراة تملكهم واوتيت من كل شي ولها عرش عظيم وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم
فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء
في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا
اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غايب
فاضرب عن ذلك واخذ يقول ام هو غايب كانه يسال عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم
انها لابل ام شاه وذكر من قصة الهدهد ان سليمن عليه السلم حين تم له بنا بيت المقدس

تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة الف
ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من
مكة صباحاً يؤم سهيلاً فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضاً
حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه
ح القناقن بالضم الذي يعرف منابط الماء وجمعه قناقن بالفتح ف وكان يرى الماء
من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب
ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمن حلق الهدهد فرأى هدهداً واقعاً
فانحط اليه فوصف له ملك سليمن وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس
وان تحت يدها اثنا عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع
الا بعد العصر وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمن فنظر فاذا موضع الهدهد
خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير
وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق
الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك
قال وما استثنى قالت بلى او ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمن ارخى ذنبه وجناحيه
يجرها على الارض تواضعاً له فلما دنا منه اخذ برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر
وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمن وعفا عنه ثم سأله تعذيبه ان يؤدب بما يحتمله
حاله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمن للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل
ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل تأكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق
بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة
الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه **فان قلت** من اين حل له تعذيب
الهدهد قلت يجوز ان يبيح الله له ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة كما اباح ذبح البهائم
والطير للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من اجله الا بالتأديب
والسياسة جاز ان يباح له ما يستصلح به وقرئ ليأتينني وليأتين والسلطان الحجة والعذر
فان قلت قد حلف على ثلثة اشيا فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه
على فعل الهدهد ومن اين درى انه يأتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان قلت
لما نظم الثلاثة باو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن احد الامور يعني ان
كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس في هذا ادعاء
دراية على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله انه سيأتيه بسلطان مبين
فثلث بقوله او ليأتيني بسلطان مبين عن دراية واتقان فمكث قرئ بفتح الكاف وضمها

غير بعيد غير زمان بعيد كقولك عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه
خوفاً من سليمن وليعلم كيف كان الطير مسخراً له ولبيان ما اعطي من المعجزة الدالة على
نبوته وعلى قدرة الله عز وجل احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق الهمه
الله الهدهد فكافح سليمن بهذا الكلام على ما اوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم
الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه و
اضعفه من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا في
ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء واعظم بها فتنة والاحاطة بالشيء علما ان يعلم من جميع جهاته
لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء
ولا يكون في زمانه احد اعلم منه سبا قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء
وعن ابن كثير في رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا ايدي سبا وهو سبا بن يشجب بن يعرب
بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي او للاب الاكبر صرفه قال

من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من دون سيله العرما

وقال الواردون وتيم في ذرى سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس

ثم سميت مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن اد
ويحتمل ان يراد المدينة والقوم والنبأ الخبر الذي له شان وقوله من سبا بنبا من
جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام التي تتعلق باللفظ
بشرط ان يجيء مطبوعا او يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده
ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان
بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح لما في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال
المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولده اربعون ملكا
ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير
في تملكهم راجع الى سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريد به المدينة فمعناه
تملك اهلها وقيل في وصف عرشها كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل كان
ثلثين في ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر
واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق **فان قلت**
كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمن قلت يجوز ان يستصغر حالها الى
حال سليمن فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمن مثله وان عظمت مملكته
في كل شيء كما يكون لبعض امراء الاطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم امرهم
ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها



وقومها يسجدون للشمس فرّ من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ
كتاب الله عز وجل **فإن قلت** كيف قال وأوتيت من كل شيء مع قول سليمان
وأوتينا من كل شيء كأنه سوّى بينهما قلت بينهما فرق بيّن لأن سليمان عليه السلام عطف قوله
على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع أولاً إلى ما أوتي من النبوة و
الحكمة وأسباب الدين ثم إلى الملك وأسباب الدنيا وعطفته الهدهد على الملك فلم يرد إلا
ما أوتيت من أسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد **فإن قلت**
كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة ثلث
بين صنعاء ومأرب قلت لعل الله أخفى ذلك عنه لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف
على يعقوب **فإن قلت** من أين للهدهد التهدي إلى معرفة الله ووجوب السجود
له وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلى الشمس وتزيينه قلت لا يبعد أن يلهمه الله ذلك
كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الراجحة
العقول يهتدون لها ومن أراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصاً في زمن
نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له ❁ من قرأ بالتشديد أراد فصدهم عن
السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع أن ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون
إلى أن يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو ألا يا اسجدوا ألا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه
محذوف كما حذفه من قال ❁

ألا يا اسلمي يا دارمي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر ❁

وفي حرف عبد الله وهي قراءة الأعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاءً وعن عبد الله هلا
تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب وفي قراءة أبيّ ألا تسجدون لله الذي يخرج الخبء
في السماوات والأرض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر
وغيرهما مما خبأه الله عز وعلا من غيوبه وقرئ الخبَ على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا
على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك ابن دينار ووجهها أن تخرج على لغة من
يقول في الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبي ثم أجري الوصل مجرى الوقف
لا على لغة من يقول الكماة والحماة لأنها ضعيفة مسترذلة وقرئ يخفون ويعلنون
بالتاء والياء وقيل من أحطت إلى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفي
إخراج الخبء أمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض وذلك
بإلهام من يخرج الخبء في السماوات والأرض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد يخفى
على ذي الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة أو فن من العلم في روائه
ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملاً إلا ألقى الله عليه رداء عمله ❁

فإن قلت أسجدة التلاوة واجبة على القراءتين جميعاً أم في إحداهما قلت هي واجبة
فيهما جميعاً لأن مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح لمن أتى بها أو ذم لمن تركها وإحدى
القراءتين أمر بالسجود والأخرى ذم للتارك وقد اتفق أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله
على أن سجدات القرآن أربع عشرة وإنما اختلفا في سجدة ص فهي عند أبي حنيفة سجدة
تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب
السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع إليه **فإن قلت** هل يفرق الواقف
بين القراءتين قلت نعم إذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ ألا يا اسجدوا وإن شاء وقف
على ألا يا ثم ابتدأ اسجدوا وإذا شدد لم يقف إلا على العرش العظيم **فإن قلت**
كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وبين عرش الله في الوصف بالعظيم قلت بين الوصفين
بون عظيم لأن وصف عرشها بالعظيم تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك
ووصف عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة إلى ما خلق الله من السماوات والأرض وقرئ
العظيم بالرفع قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا
فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ إني
ألقي إلي كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا
تعلوا علي وأتوني مسلمين سننظر من النظر الذي هو التأمل والتصفح وأراد
أصدقت أم كذبت إلا أن كنت من الكاذبين أبلغ لأنه إذا كان معروفاً بالانخراط
في سلك الكاذبين كان كاذباً لا محالة وإذا كان كاذباً اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم
يوثق به ❁ تول عنهم تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه
بمسمع منك ويرجعون من قوله تعالى يرجع بعضهم إلى بعض القول فيقال دخل عليها
من كوة فألقى الكتاب إليها وتوارى في الكوة **فإن قلت** لم قال فألقه إليهم على
لفظ الجمع قلت لأنه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه إلى الذين هذا
دينهم اهتماماً منه بأمر الدين واشتغالاً به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع
لذلك ❁ كريم حسن مضمونه وما فيه أو وصفته بالكرم لأنه من عند ملك كريم أو مختوم
قال عليه السلام كرم الكتاب ختمه وكان عليه السلام يكتب إلى العجم فقيل له إنهم لا يقبلون إلا كتاباً
عليه خاتم فاصطنع خاتماً وعن ابن المقفع من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به
وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم هو استئناف وتبيين لما ألقي إليها كأنها لما قالت إني
ألقي إلي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم
وقرأ عبد الله وإنه من سليمان وإنه عطفاً على إني وقرئ أنه من سليمان وأنه بالفتح على أنه
بدل من كتاب كأنه قيل ألقي إلي أنه من سليمان ويجوز أن يريد لأنه من سليمان ولأنه كأنها

علمت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرأ أبيّ أن من سليمان وأن بسم الله الرحمن
على أنّ المفسرة وأن في أن لا تعلوا علي مفسرة أيضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك
وقرأ ابن عباس بالغين المعجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى أن نسخة الكتاب
من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا
تعلوا علي وأتوني مسلمين وكانت كتب الأنبياء جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب
بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت
غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها
وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والقادة والجنود حواليها
فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت قارية
كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت
لقومها ما قالت مسلمين منقادين أو مؤمنين ك قال الحسن البصري هي بلقيس بنت شراحيل
ملكة سبأ وقال قتادة كانت أمها جنية وكان مؤخر قدميها مثل حافر الدابة من بيت مملكة
وقال الأعمش عن مجاهد كان تحت ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل تحت كل قيل مائة ألف مقاتل
وفي رواية عبد الرزاق عن قتادة كانت من بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثلثمائة و
اثني عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل وكانت بأرض يقال لها مأرب على ثلث
ليال من صنعاء وهذا القول هو أقرب على أنه كثير على مملكة اليمن والله أعلم قال علماء الأخبار
التاريخ وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم كان فيه ثلثمائة وستون طاقة
من شرقه ومثلها من غربه قد وضع بناؤه على أن يدخل الشمس كل يوم من طاقة وتغرب
من مقابلتها فيسجدون لها صباحا ومساء وعن أبي هريرة قال نهى رسول الله صلعم عن قتل
أربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه
وإسناده صحيح وعن ميمون بن مهران أن كان رسول الله صلعم يكتب باسمك اللهم حتى نزلت
فكتب بسم الله الرحمن الرحيم قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا
حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري
ماذا تأمرين قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة
أهلها أذلة وكذلك يفعلون وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع
المرسلون الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتا في السن
والمراد بالفتوى ههنا الإشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتدبير
وقصدت بالانقطاع إليهم والرجوع إلى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم
وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها قاطعة أمرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود

قاضية أي أبتّ أمرا إلا بمحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا
كل واحد على عشرة آلاف أرادوا بالقوة قوة الأجساد وقوة الآلات والعدد وبالبأس
النجدة والبلاء في الحرب والأمر إليك أي هو موكول إليك ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك
نطعك ولا نخالفك كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من
أبناء الرأي والمشورة وأنت من أبناء الرأي والتدبير فانظري ماذا تأمرين نتبع
أمرك ثم لما أحست منهم الميل إلى المحاربة رأت من الرأي الميل إلى الصلح والابتداء
بما هو أحسن ورتبت الجواب فزيفت أولا ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه بأن
الملوك إذا دخلوا قرية عنوة وقهرا أفسدوها أي خربوها ومن ثم قالوا للفساد
الخربة وأذلوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب
وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون أرادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير
لأنها كانت من بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية
وما رأت من الرأي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في
الأرض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لأنفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فإذا
احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين وإني مرسلة إليهم بهدية أي
مرسلة رسلا بهدية أصانعه بها عن ملكي فناظرة ما يكون منه حتى أعمل على حسب
ذلك فروي أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الأساور والأطواق
والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر
وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر
والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب
وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت إن كان
نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت
للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وإن رأيته بشا لطيفا فهو نبي
فأقبل الهدهد وأخبر سليمان فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان
بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة
وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر
بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي
من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والإنس صفوفا فراسخ والسباع والوحوش
والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على
اللبن فتقاصرت إليهم نفوسهم ورموا بما كان معهم ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم

بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال ابن الحق واخبره جبريل بما فيه وقال لهم ان فيه كذا وكذا
ثم امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجر واخذت دودة بيضاء
الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها
فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية
وقال للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبي ما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف
قيل تحت كل قيل الوف فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال فما اتاني الله خير مما
اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها
ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون في قراءة ابن مسعود فلما جاؤا اتمدونني
وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله اتحاجوني وبنون واحدة
اتمدوني الهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى
له تقول هذه هدية فلان تريد التي اهداها او اهديت له والمضاف اليه هاهنا هو
المهدى اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك ان الله اتاني الدين الذي فيه
الحظ الاوفر والغنى الاوسع واتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى
مثلي بان يمد بمال ويصانع به بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك
تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم ولا ارضى
منكم بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية **فان قلت** ما الفرق
بين قولك اتمدني بمال وانا اغنى منك وبين ان تقوله بالفاء قلت اذا قلته بالواو
فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال
واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه
الى المستزادة كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما اتاني
الله خير مما اتاكم **فان قلت** فما وجه الاضراب قلت لما انكر عليهم الامداد وعلل
انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح
الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى
المهدي ويكون المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك
بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كانه قال انتم من حقكم ان تاخذوا
هديتكم وتفرحوا بها ارجع خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا اخر لا قبل لا طاقة وحقيقته
القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم وقرا ابن مسعود لا قبل لهم بهم و
الضمير في منها لسبا والذل ان يذهب ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا
في اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا قال يا ايها الملا

ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان
تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به
قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر
ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم يروى انها امرت
عند خروجها الى سليمان عليه السلام فجعل عرشها في اخر سبعة ابيات بعضها في بعض في اخر قصر من
سبعة قصور لها وغلقت الابواب ووكلت بها حرسا يحفظونه ولعله اوحي الى سليمان
عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به
من اجراء العجائب على يديه مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان
ويصدقها وعن قتادة اراد ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له
اخذ مالها وقيل اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها
وقرئ عفرية والعفر والعفري والعفرية والعفارية والعفاريت من الرجال الخبيث
المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان لقوي
على حمله امين اتي به كما هو لا اختزل منه شيئا ولا ابدله الذي عنده علم من الكتاب
رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شيء الها واحدا
لا اله الا انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن الله والرحمن وقيل هو اصف
بن برخيا كاتب سليمان وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبريل
وقيل ملك ايد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كانه استبطأ العفريت فقال له انا
اريك ما هو اسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني انه الخضر عليه السلام علم من الكتاب
المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه هو جبريل عليه السلام
واتيك في الموضعين يجوز ان يكون فعلا او اسم فاعل الطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت
فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف في نحو قوله

وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر

وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك
ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك ويروى ان اصف بن برخيا
قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا اصف فغار
العرش في مكانه بمارب ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله قبل ان يرتد طرفه
ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة
وفي ردة طرف والتفت ترني وما اشبه ذلك تريد السرعة يشكر لنفسه لانه يحط عنها
عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر

قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين ان كفران النعم
بوار وقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها
بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا غني
عن الشكر كريم بالانعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمن عند رؤية العرش شاكرا
لربه جري على شاكلة ابناء جنسه من انبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة
بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر ك في صحيح مسلم يقول الله تعالى
يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك
في ملكي شيا يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل منكم
ما نقص ذلك من ملكي شيا يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد
الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي ام
تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو و
اوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها
كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت
عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت
مع سليمن لله رب العالمين نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل
للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه اسفله وقرئ ننظر
بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستيناف اتهتدي لمعرفته او للجواب الصواب اذا
سئلت عنه او للدين والايمان بنبوة سليمن اذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها
وقد خلفته واغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس هكذا ثلث كلمات حرف التنبيه
وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل اهذا عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا
فقالت كانه هو ولم تقل اهو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل
واوتينا العلم من كلام سليمن وملائه **فان قلت** علام عطف هذا الكلام وبم اتصل
قلت لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه
سليمن وملاؤه ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كانه هو قد
اصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة
الله وصحة النبوة بالايات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الاية العجيبة من
امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء
من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم الى
الاسلام العلم بالله والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس

ونشوءها بين ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كانه
هو والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمن قبل هذه المعجزة
او قبل هذه الحالة يعني ما تبينت من الايات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام
ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل
وصدها الله او سليمن عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرئ
انها بالفتح على انه بدل من فاعل صد او بمعنى لانها الصرح القصر وقيل صحن
الدار وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه انه سمع سؤقا فاجرى عليه الواحد
والممرد المملس وروي ان سليمن امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من
زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع
سريره في صدره فجلس عليه وعكفت عليه الطير والانس والجن وانما فعل ذلك
ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا
ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له
ولد منها تجتمع له فطنة الانس والجن فيخرجون من ملك سليمن الى ملك هو اشد منه
وافظع فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر
عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هي
احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره وناداها انه صرح ممرد
من قوارير وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها فازالوا
بها الشعر عن ساقيها واستنكحها سليمن واحبها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا
لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلثة ايام
وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة
امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمن ظلمت
نفسي تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت ان سليمن يغرقها في اللجة فقالت ظلمت
نفسي بسوء ظني بسليمن ك والاقرب في امثال هذه الاشياء التي هي متلقاة عن
اهل كتاب مما يوجد في صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله فيما نقلاه
الى هذه الامة من بني اسرائيل من الاوابد والغرايب والعجايب مما كان ومما
لم يكن ومما حرف وبدل ونسخ وقد اغنى الله سبحانه عن ذلك بما هو اصح منه وانفع
واوضح وابلغ ولله الحمد والمنة ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله
فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا
تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم

عبد الله بل أنتم قوم تفتنون وقرئ أن اعبدوا الله بالضم على اتباع النون الباء
فريقان فريق مؤمن وفريق كافر وقيل أريد بالفريقين صالح وقومه قبل أن يؤمن
منهم أحد يختصمون يقول كل فريق الحق معي السيئة العقوبة والحسنة
التوبة **فإن قلت** ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وإنما يكون
ذلك إذا كانتا متوقعتين إحداهما قبل الأخرى قلت كانوا يقولون لجهلهم إن العقوبة
التي يعدها صالح إن وقعت على زعمه تبنا واستغفرنا مقدرين أن التوبة مقبولة
في ذلك الوقت وإن لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم و
اعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها
لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه وكان الرجل يخرج مسافرا فيمر
بطائر فيزجره فإن مر سانحا تيمن وإن مر بارحا تشاءم ح السانح ما مر بين
يديك فولاك ميامنه والعرب تتيمن به والبارح ما ولاك مياسره والعرب
تتطير به لأنه لا يمكنك رميه إلا بأن تنحرف ف فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر
استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذي هو السبب
في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك أي قدر الله الغالب الذي ينسب إليه
الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم أي تشاءمنا وكانوا
قد قحطوا قالوا طائركم عند الله أي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو
قدره إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم ويجوز أن يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه
نزل بكم ما نزل من عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طائركم معكم وكل إنسان ألزمناه
طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الأصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه
تفتنون تختبرون أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة وكان
في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله
لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ومكروا
مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا
دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم
يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون المدينة الحجر وإنما جاز تمييز التسعة
بالرهط والنفر لأنه في معنى الجماعة فكأنه قيل تسعة أنفس والفرق بين الرهط والنفر
أن الرهط من الثلاثة إلى العشرة أو من السبعة إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى
التسعة وأسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رئاب بن مهرج مصدع
بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف

وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم ولا
يصلحون يعني أن شأنهم الإفساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض
المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح تقاسموا يحتمل أن يكون أمرا وخبرا في محل
الحال بإضمار قد أي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ لنبيتنه بالتاء والياء والنون
فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح فيه إلا أن يكون خبرا
والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا وعن
الإسكندر أنه أشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ
مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من أهلك ويحتمل المصدر
والمكان والزمان **فإن قلت** كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا
فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كأنهم اعتقدوا أنهم إذا بيتوا صالحا
وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك أهله فذكروا أحدهما
كانوا صادقين لأنهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما وفي هذا دليل قاطع على
أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم
ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سووا
للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب مكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك
بصالح وأهله ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة
روي أنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا
إلى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلي
قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت
الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله
كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهري سيوفهم وقد أرسل
الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا إنا
دمرناهم استئناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره
هي تدميرهم أو نصبه على معنى لأنا أو على أنه خبر كان أي كان عاقبة مكرهم الدمار
خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر
المبتدأ المحذوف ك عن عطاء بن أبي رباح في قوله يفسدون في الأرض ولا يصلحون
قال كانوا يقرضون الدراهم يعني أنهم كانوا يأخذون منها وكأنهم كانوا يتعاملون
بها عددا وعن ابن المسيب قطع الذهب والورق من الفساد في الأرض وفي الحديث
الذي رواه أبو داود وغيره أن رسول الله صلعم نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم

اى عادتهم

الا من بابه ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه واذ بدل على الاول طرف على الثاني له وانتم تبصرون من بصر القلب اى تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه دليل على ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين او تبصرون بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابا نواس بنى على مذهبهم قوله

وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر

او تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم **فان قلت** فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل انتم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء قلت اراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها **فان قلت** تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون قلت اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة وقرأ الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة احسن يتطهرون يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس هو استهزاء قدرناها قدرنا كونها من الغابرين كقوله قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما تشركون ام من خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها آله مع الله بل هم قوم يعدلون امر رسول الله ان يتلو هذه الآيات الدالة الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين

واصغائهم اليه وانزاله في قلوبهم المنزلة التي يبغيها المستمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسول الله صلعم امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والصلوة على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم انه لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم اثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما اثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطا المفرط والجهل المورط واضلال التمييز ونبذ المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون لاجل الخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه انه ليس لموسى مثل انهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد تعالى الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما عددها في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ تشركون بالتاء والياء وعن رسول الله صلعم انه كان اذا قراها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم **فان قلت** ما الفرق بين ام وام في اما تشركون وام من خلق قلت تلك متصلة لان المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله خير ام الآلهة قال بل امن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الاعمش امن بالتخفيف ووجهه ان يجعل بدلا من الله كانه قال امن خلق السموات والارض خير اما تشركون **فان قلت** اي نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم عن ذاته في قوله فانبتنا قلت تاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانتفاء اراد ان تاتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة رايهم والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما تقول النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به ءاله مع الله



أفيه يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ أإلها مع الله بمعنى أتدعون أو تشركون ولك أن تحقق
الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين هم قوم يعدلون به غيره أو يعدلون
عن الحق الذي هو التوحيد أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا
وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون
أم من جعل وما بعده بدل من أم من خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها
للاستقرار عليها حاجزا كقوله برزخا أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء
ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون الضرورة الحالة المحوجة
إلى اللجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر
والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجأ والتضرع
إلى الله وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي هو الذي لا حول له ولا قوة وقيل
المذنب إذا استغفر **فإن قلت** قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر إذا دعاه
وكم من مضطر يدعو فلا يجاب قلت الإجابة موقوفة على أن يكون المدعو به مصلحة
ولهذا لا يحسن دعاء العبد إلا شارطا فيه المصلحة وأما المضطر فمتناول للجنس مطلقا
يصلح لكله ولبعضه فلا طريق إلى الجزم على أحدهما إلا بدليل وقد قام الدليل على البعض
وهو الذي إجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء الأرض خلفاء فيها وذلك
توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط وقرئ
يذكرون بالياء مع الإدغام وبالتاء مع الإدغام والحذف وما مزيدة أي تذكرون تذكرا
قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي أمن يهديكم في ظلمات
البر والبحر ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما
يشركون يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الأرض إذا جن الليل عليكم مسافرين
في البحر والبر أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله
مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين **فإن قلت** كيف قيل لهم أمن
يبدأ الخلق ثم يعيده وهم منكرون للإعادة قلت قد أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة
والإقرار فلم يبق لهم عذر في الإنكار من السماء الماء ومن الأرض النبات إن كنتم صادقين
أن مع الله إلها فأين دليلكم عليه قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله
وما يشعرون أيان يبعثون بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل
هم منها عمون **فإن قلت** لم رفع اسم الله والله يتعالى أن يكون ممن في
السموات والأرض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار أحد إلا حمار
يريدون ما فيها إلا حمار كأن أحدا لم يذكر ومنه قوله

عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل إلا المشرفي المصمم
وقولهم ما أتاني زيد إلا عمرو وما إعانة إخوانكم إلا إخوانه **فإن قلت** ما الداعي
إلى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت إليه نكتة سرية حيث أخرج المستثنى
مخرج قوله إلا اليعافير بعد قوله ليس بها أنيس ليؤول المعنى إلى قولك إن كان الله ممن
في السموات والأرض فهم يعلمون الغيب يعني أن علمهم الغيب في استحالته كاستحالة أن
يكون الله منهم كما أن معنى ما في البيت إن كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس بتا للقول بخلوها
عن الأنيس **فإن قلت** هلا زعمت أن الله ممن في السموات والأرض كما يقول
المتكلمون الله في كل مكان على معنى أن علمه في الأماكن كلها فكأن ذاته فيها حتى لا تحمله على
مذهب بني تميم قلت يأبى ذلك أن كونه في السموات والأرض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وإرادة
المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على أن قولك من في السموات والأرض
وجمعك بينه وبينهم في إطلاق اسم واحد فيه إيهام تسوية والإيهامات مزالة عنه وعن
صفاته ألا ترى كيف قال عليه السلام لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم أنت وعن
عائشة رض من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل
لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وعن بعضهم أخفى غيبه عن الخلق
ولم يطلع عليه أحدا لئلا يأمن أحد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين
سألوا رسول الله صلعم عن وقت الساعة ع عدي بن حاتم أن رجلا خطب عند
رسول الله صلعم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال
له رسول الله صلعم بئس الخطيب أنت قل ومن يعص الله ورسوله أخرجه مسلم وأبو
داود والنسائي بنحوه ع مسروق قال كنت متكئا فقالت يا أبا عائشة ثلاث من
يتكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية قال وكنت متكئا فجلست فقلت يا أم المؤمنين أنظريني
ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل ولقد رآه بالأفق المبين ولقد رآه نزلة أخرى فقالت
أنا أول الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلعم فقال إنما هو جبريل لم أره على صورته التي
خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء
إلى الأرض فقالت أولم تسمع أن الله يقول لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو
اللطيف الخبير أولم تسمع أن الله تعالى يقول وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو
من وراء حجاب أو يرسل رسولا إلى قوله علي حكيم قالت ومن زعم أن رسول الله صلعم
كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل
إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته قالت ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد
فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا

كذا
لا يعلم ما يكون

انتهى هذه احدى روايات البخاري ومسلم قتادة خلق الله هذه النجوم لثلاث
جعلها الله زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير
هذه فقد اخطأ حظه واضاع نصيبه وتكلف ما لا يعنيه وما لا علم له به وما عجز عن علمه
الانبياء والملائكة صلوات الله عليهم اجمعين وعن الربيع مثله وزاد والله ما جعل الله في نجم
حياة احد ولا موته ولا رزقه وانما يفترون على الله الكذب ويتعللون بالنجوم انتهى
ولم يذكر مخرجه ك قال قتادة ان الله انما جعل هذه النجوم لثلاث خصال جعلها
زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد
قال برأيه واخطأ حظه واضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به وان ناسا جهلة بامر الله
قد احدثوا من هذه النجوم كهانة من غرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ومن سافر بنجم
كذا وكذا كان كذا وكذا ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ولعمري ما من نجم الا يولد
به الاحمر والاسود والقصير والطويل والحسن والذميم وما علم هذا النجم وهذه
الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب وقضى الله ان لا يعلم من في السموات والارض الغيب
الا الله وما يشعرون ايان يبعثون رواه ابن ابي حاتم عنه بحروفه وهو كلام جليل صحيح
متين ف ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين ولا انصرف وقرئ ايان
بكسر الهمزة قرئ بل ادرك بل ادارك بل تدارك بل ادّرك بهمزتين بل آادرك
بالف بينهما بل ادّرك بالتخفيف والنقل بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله
بل أدرك على الاستفهام بلى أدرك بلى آادرك ام تدارك ام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة
وادارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك علمهم
انتهى وتكامل وادارك تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم
وتكامله بان القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون
جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات
والارض لانهم لما كانوا من جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما
فعله ناس منهم **فان قلت** ان الاية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وان
العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون
به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم
والتمكن من المعرفة **قلت** لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون
البعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور
علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد ان يكون
وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به

والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس
ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه
ومعرفته مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادرك
علمهم وادارك وجه آخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة
لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك
بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك **فان قلت** ما وجه قراءة من قرأ بل أأدرك
على سبيل الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرأ
أم أدرك وأم تدارك لانها أم التي بمعنى بل والهمزة **فان قلت** فمن قرأ بلى أدرك
وبلى أأدرك قلت لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر
الشعور بقوله ادرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي
العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على
ابلغ ما يكون واما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون
متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها
لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في شأن الآخرة ومعناها في
فان قلت هذه الاضرابات الثلاث ما معناها قلت ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم
اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون
في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع اختلاف
المذاهب وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم
لا يتشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون
مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة
وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر
بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يبصرون وقال الذين كفروا ائذا
كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا
اساطير الاولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين
ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون العامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون
وهو نخرج لان بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام
وان ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعت والمراد الاخراج من
الارض او من حال الفناء الى الحياة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان
جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير

في إتيانهم وآبائهم لأن كونهم تراباً قد تناولهم وآباءهم **فإن قلت** قدم في
هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفي آية أخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا قلت التقديم
دليل على أن المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وأن الكلام إنما سيق لأجله ففي إحدى
الآيتين دل على أن إعادة البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الأخرى على إعادة المبعوث
بذلك الصدد ولم يلحق علامة التأنيث بفعل العاقبة لأن تأنيثها غير حقيقي
ولأن المعنى كيف كان آخر أمرهم وأراد بالمجرمين الكافرين وإنما عبر عن الكفر
بلفظ الإجرام ليكون لطفاً للمسلمين في ترك الإجرام وتخوف عاقبته ألا ترى إلى قوله فدمدم
عليهم ربهم بذنبهم فسواها وقوله مما خطيئاتهم أغرقوا ولا تحزن عليهم لأنهم
لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم
إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً في ضيق في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال
بذلك فإن الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقاً وضيقاً بالفتح والكسر وقد قرئ بهما
والضيق أيضاً تخفيف الضيّق قال الله تعالى ضيقاً حرجاً قرئ مخففاً ومثقلاً ويجوز أن يراد
في أمر ضيق من مكرهم ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون
ردف لكم بعض الذي تستعجلون وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون
وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السماء والأرض إلا
في كتاب مبين استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو
عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أو ضمن معنى فعل
يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال

فلما ردفنا من عمير وصحبه … تولوا سراعاً والمنية تعنق

يعني دنونا من عمير وقرأ الأعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر أفصح
وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده وما لا مجال
للشك بعده وإنما يعنون بذلك إظهار وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام لإدلالهم
بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بأن عدوهم لا يفوتهم وأن الرمزة إلى الأغراض كافية
من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده الفضل والفاضلة الإفضال ولفلان
فواضل في قومه وفضول ومعناه أنه مفضل عليهم بتأخير العقوبة وأنه لا يعاجلهم
بها وأكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع
العذاب وهم قريش قرئ تكن يقال كننت الشيء وأكننته إذا سترته وأخفيته يعني أنه يعلم
ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلعم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك
بما يستوجبونه سمى الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها

في العاقبة والعافية ونظيرهما النطيحة والرمية والذبيحة في أنها أسماء غير صفات
ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء
كأنه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته في
اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل
أكثر الذي هم فيه يختلفون وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين إن ربك يقضي بينهم بحكمه
وهو العزيز العليم فتوكل على الله إنك على الحق المبين إنك لا تسمع الموتى ولا
تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع
إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه أحزاباً ووقع
بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضاً وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا
فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين لمن أنصف منهم وآمن
أي من بني إسرائيل أو منهم ومن غيرهم بينهم أي بين من آمن بالقرآن ومن كفر به
فإن قلت ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه
بما يحكم به وهو عدله لأنه لا يقضي إلا بالعدل فسمى المحكوم به حكماً أو أراد بحكمته ويدل عليه
قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له وبمن
يقضي عليه أو العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين أمره
بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج الذي لا يتعلق
به الشك والظن وفيه أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وبنصرته وأن مثله لا يخذل
فإن قلت إنك لا تسمع الموتى يشبه أن يكون تعليلاً آخر للتوكل فما وجه ذلك
قلت وجهه أن الأمر بالتوكل جعل مسبباً عما كان يغيظ رسول الله من جهة المشركين وأهل
الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والأذى فلاءم ذلك أن يعلل توكل متوكل
مثله بأن اتباعه أمر قد يئس منه فلم يبق إلا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء
شرورهم وأذاهم وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس لأنهم إذا سمعوا ما يتلى
عليهم من آيات الله فكانوا أقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت
حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الأموات الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك
تشبيههم بالصم الذي ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق ولا
يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء إلا الله عز وجل **فإن قلت**
ما معنى قوله إذا ولوا مدبرين قلت هو تأكيد لحال الأصم لأنه إذا تباعد عن الداعي
بأن تولى عنه مدبراً كان أبعد عن إدراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم وما أنت بهاد
العمي على الأصل وتهدي العمي وعن ابن مسعود وما أن تهدي العمي وهداه عن الضلال

كقولك سقاه عن العيمة اي ابعده عنها بالسقي وابعده عن الضلال بالهدى «ان تسمع» اي ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون بآياته اي يصدقون بها «فهم مسلمون» اي مخلصون من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن جعله سالما لله خالصا له **﴿واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾** سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة ودابة الارض الجساسة جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي ان لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها ذات رأس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وروي لا تخرج الا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا تخرج الا ثلثها وعن النبي صلعم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة على الله واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن والمقام حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون يعني ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي تخرج من اجياد وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض من تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه او فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو تلك النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروي فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وروي تكلمهم من

من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز ان يكون تكلمهم من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم اي مجرح ويجوز ان يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة علي رضي الله عنه وان يستدل بقراءة ابي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بان الناس على انه من الكلام والقراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اي تقول الدابة ذلك وهي حكاية لقوله تعالى عند ذلك **فان قلت** اذا كان حكاية لقول الدابة فكيف تقول بآياتنا قلت قولها حكاية لقول الله عز وجل او على معنى بآيات ربنا او لاختصاصها بالله واثرتها عنده وانها من خواص خلقه اضافت آيات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار اي تكلمهم بان ع حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع رسول الله صلعم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قلنا الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تطرد الناس الى محشرهم اخرجه مسلم وفي رواية ابي داود كنا في ظل غرفة لرسول الله صلعم فذكرنا الساعة فارتفعت اصواتنا فقال رسول الله صلعم لن تكون او لن تقوم حتى يكون قبلها عشر آيات طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وخروج يأجوج ومأجوج والدجال وعيسى بن مريم والدخان وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك تخرج نار من اليمن من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر وفي رواية الترمذي نحو الاولى وزاد في ذكر النار قال ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس او تحشر الناس فتبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا م ابو هريرة ان رسول الله صلعم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها او الدخان او الدجال او الدابة او خاصة احدكم او امر العامة وفي رواية مثله والجميع بدأ والعطف وفي اخرى وخويصة احدكم اخرجه مسلم م ابن عمرو بن العاص قال حفظت من رسول الله صلعم حديثا لم انسه بعد سمعت رسول الله يقول ان اول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا اخرجه مسلم **﴿ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاءوا قال اكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون﴾** فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصف

جنود سليمن بذلك وكذلك قوله فوجا فوجا ان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون
في دين الله افواجا وعن ابن عباس ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون
بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر سائر قادة الامم بين ايديهم الى النار

فان قلت

اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الاوثان
الواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادي الراي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها
وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اي اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم
لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع [ح]
ان يكون الكتاب صحيحا مع ذلك ان يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه أمّا ذا كنتم
تعملون بها للتبكيت لا غير وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا
قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها او التكذيب ومثاله ان تقول لراعيك وقد عرفته
رويعي سوء اكل نعمي ام ماذا عملت بها فتجعل ما ابتدأت به وتجعله اصل كلامك واساسه
هو الذي صح عندك من اكله وفساده وترمي بقولك ام ماذا عملت بها مع علمك انه لا يعمل بها
الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك بانه لا يجيء منه الا اكلها وانه لا يقدر ان يدعي الحفظ والاصلاح
لما اشتهر من خلاف ذلك او اماذا كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب بايات الله
ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا للكفر
والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون
فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم يريد ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم [كلامهم]
وهو التكذيب بايات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون
ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون
جعل الابصار للنهار وهو لاهله

فان قلت

ما للتقابل لم يراع في ليسكنوا فيه ومبصرا
حيث كان احدهما علة والاخر حالا قلت هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير
المتكلف لان معنى مبصرا ليتبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب **ويوم ينفخ في الصور ففزع**
من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل اتوه داخرين وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون من
جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون ومن جاء بالسيئة فكبت
وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون فان قلت لم قيل ففزع
دون فيفزع قلت لنكتة وهي الاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع
على اهل السموات والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا
به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله الا من ثبت الله قلبه

من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك
الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لانه صعق مرة ومثله قوله
تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وقرئ
اتوه واتاه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر
وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز ان يراد رجوعهم
الى امره وانقيادهم له ح يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي قال سمعت
عبد الله بن عمرو وجاءه رجل فقال ما هذا الحديث الذي تحدث به الناس تقول ان الساعة
تقوم الى كذا وكذا فقال سبحان الله ولا اله الا الله او كلمة نحوها لقد هممت ان لا احدث
احدا شيئا ابدا انما قلت انكم سترون بعد قليل امرا عظيما يحرق البيت ويكون ويكون
ثم سمعته يقول قال رسول الله صلعم يخرج الدجال في امتي فيمكث اربعين لا ادري
وفي رواية قال ابن عمرو لا ادري اربعين يوما او شهرا او عاما فيبعث الله عيسى بن
مريم كانه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة
ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض احد في قلبه مثقال ذرة
من خير او ايمان الا قبضته حتى لو ان احدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه
قال سمعتها من رسول الله صلعم قال فيبقى شرار الناس في خفة الطير واحلام السباع
لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول الا تستجيبون فيقولون
فما تامرنا فيامرهم بعبادة الاوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم
ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا فاول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله
فيصعق ويصعق الناس قال ثم يرسل الله او قال ينزل الله مطرا كانه الطل او الظل نعمان
يعني الراوي عن يعقوب رحمه فتنبت منه اجساد الناس ثم ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام
ينظرون ثم يقال يا ايها الناس هلموا الى ربكم وقفوهم انهم مسئولون ثم يقال اخرجوا بعث النار
فيقال كم فيقال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك
يوم يكشف عن ساق اخرجه مسلم ف جامدة من جمد مكانه اذا لم يبرح تجمع الجبال
فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد وهي تمر
مرا حثيثا كما تمر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد
تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش

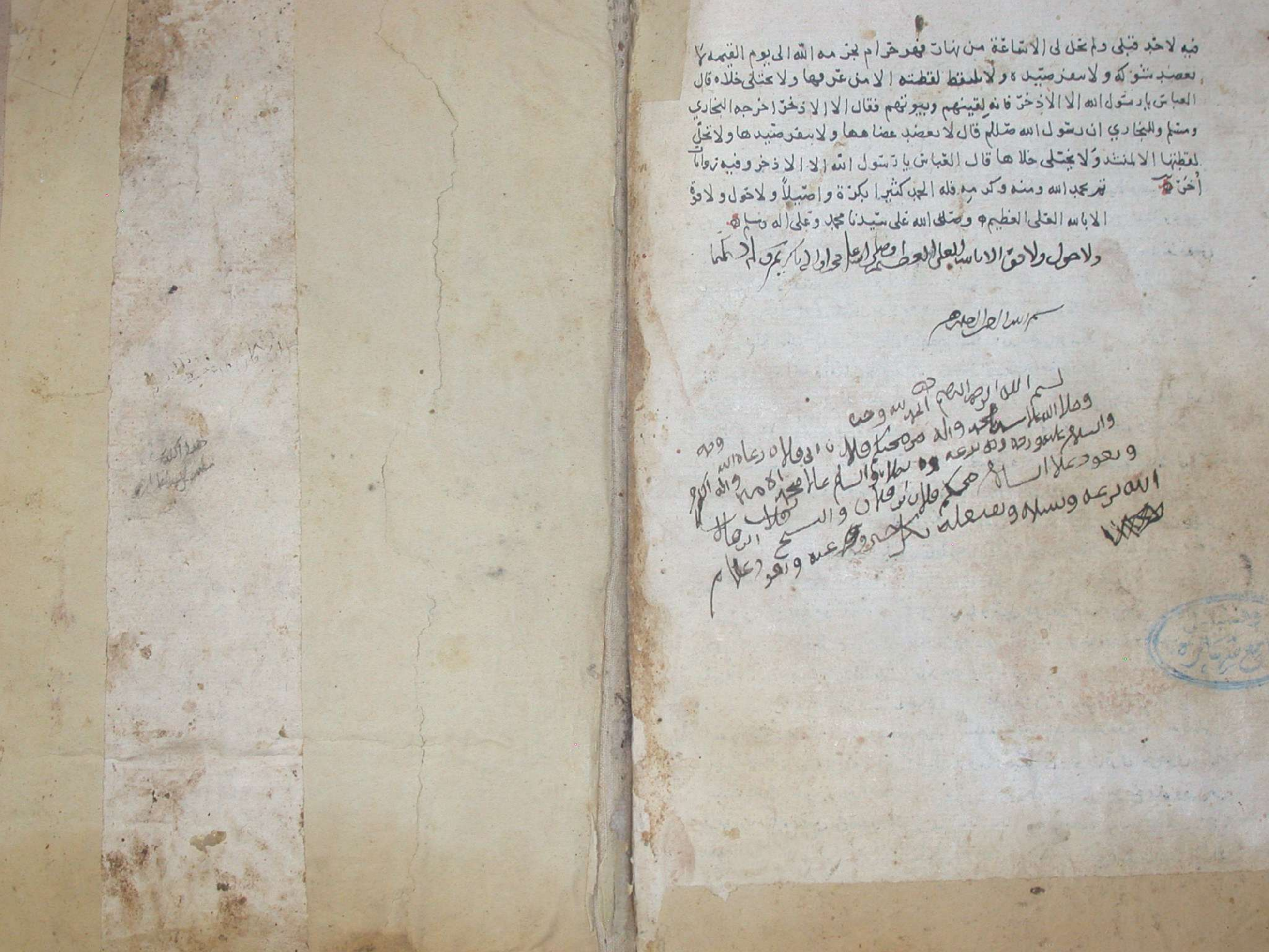
بارعن مثل الطود تحسب انهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج

صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهي
الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين

ثم قال صنع الله يريد الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشيا التي اتقنها واتى
بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي اتقن كل شي يعني ان مقابلته الحسنة
بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشيا واتقانه لها واجرائه لها على قضايا
الحكمة انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص
ذلك بقوله من جا بالحسنة الى اخر الايتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه
وترتيبه ومكانة اضماره ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجزة بعض كانما افرغ افراغا
واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جا عقيب كلام
كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون الا على ما قد كان
الا ترى الى قوله صنع الله الذي اتقن كل شي وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد ما وسمها
باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي اتقن كل شي ومن احسن من الله صبغة ان الله
لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله • وقرى تفعلون على الخطاب • فله خير منها يريد
الاضعاف وان العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد
وقيل فله خير منها اي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة
وقرى يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه اضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع
فان قلت ما الفرق بين الفزعين قلت الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند
الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يامن من لحاق الضرر
به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة
واحسان وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب **فان قلت** فمن قرا من فزع
بالتنوين ما معناه قلت يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان
من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظايم فلا يخلون منه لان البشرية تقتضي ذلك
وفي الاخبار والاثار ما يدل عليه • ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو
خوف النار • امن يتعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر الله • وقيل السيئة
الشرك • يعبر بالجملة عن الوجه والراس والرقبة فكانه قيل فكبوا في النار كقوله فكبكبوا
فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم يكبون فيها على وجوههم منكوسين • هل
تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول • انما امرت ان
اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شي وامرت ان اكون من المسلمين
وان اتلو القران فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما انا
من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم اياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون
امر رسوله بان يقول امرت ان اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت



قريش وان اكون من الحنفا الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القران من التلاوة
او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك • البلدة مكة حرسها الله واختصها من بين سائر
البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده
وهكذا قال رسول الله صلعم حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه
الكريم وقال اني اعلم انك احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت
واشار اليها اشارة تعظيم وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف
ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها
بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من
عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجي اليها امن
وجعل دخول كل شي تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك اشارة
الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة لعظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شي • اللهم
بارك لنا في سكناها وامنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك
وقرى التي حرمها • واتل عليهم هذا القران عن ابي وان اتل عن ابن مسعود • فمن
اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول في
الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي فمنفعة اهتدايه راجعة اليه لا الي ومن
ضل ولم يتبعني فلا علي وما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ المبين
ثم امره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وان يهدد
اعداءه بما سيريهم الله من اياته التي تلجيهم الى المعرفة والاقرار بانها ايات الله
وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الاخرة عن الحسن وعن الكلبي الدخان وانشقاق
القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم الاية • وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان
على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين • وقرى يعملون بالتاء والياء • ع عبد الله بن
عدي بن حمرا قال رايت رسول الله صلعم واقفا على الحزورة وهو يقول والله انك لخير ارض
الله واحب ارض الله الي ولولا اني اخرجت منك ما خرجت اخرجه الترمذي • ابن عباس
قال قال رسول الله صلعم لمكة ما اطيبك من بلد وما احبك الي ولولا ان قومي اخرجوني منك ما
سكنت غيرك اخرجه الترمذي • ح الحزورة بوزن القسورة موضع بمكة وقيل هو
قرب باب ابرهيم وقيل تل صغير • ابن عباس ان رسول الله صلعم قال يوم فتح مكة لا هجرة
بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وقال يوم فتح مكة ان هذا البلد
حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة وانه لم يحل القتال



فيه لاحد قبلي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة لا
يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه قال
العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر اخرجه البخاري
ومسلم وللبخاري ان رسول الله صلعم قال لا يعضد عضاهها ولا ينفر صيدها ولا تحل
لقطتها الا لمنشد ولا يختلى خلاها قال العباس يا رسول الله الا الاذخر وفيه روايات
أخر

تم بحمد الله ومنه وكرمه فله الحمد كثيرا بكرة واصيلا ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله ...

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد وآله ...
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...